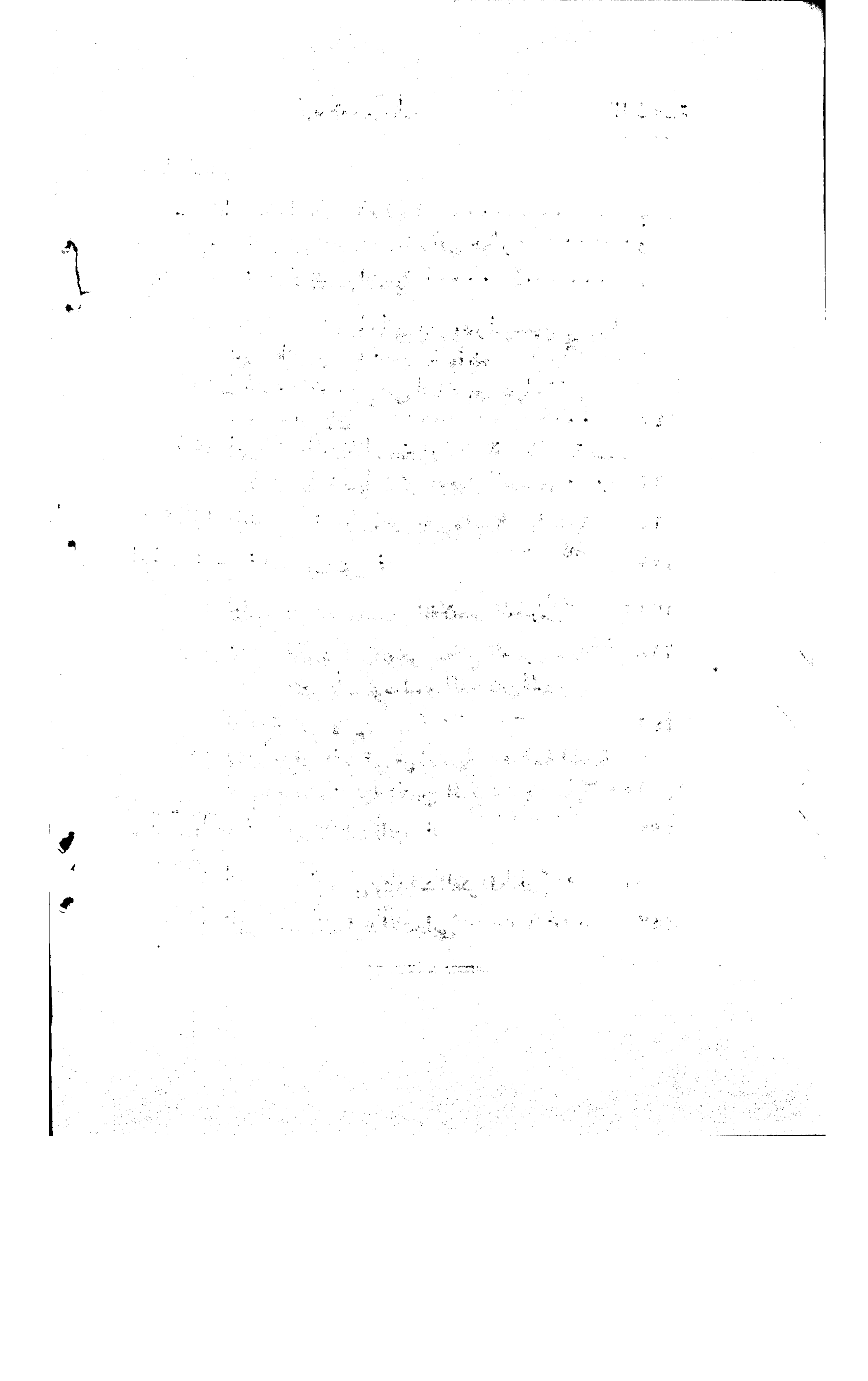
علم النفس ومشكلات مجتمعنا

نحن ... والفلاح ... والمشكلة السكانية

دكتور
قدري حفني
أستاذ علم النفس المساعد

دكتور
محمد خليل
مدرس علم النفس

المحتويات	الصفحة



مقدمة هذا الكتاب

هذه هي الطبعة الثالثة من "علم النفس ومشكلات مجتمعنا" . ولقد اختتمنا الطبعة الثانية الصادرة عام ١٩٨٠ بما مؤداه أن المشكلات التي نتناولها ليست بالضرورة اهم مشكلاتنا . وسيظل ذلك صحيحا مهما اسرفنا على انفسنا وعلى القارىء في تنويع المشكلات وزيادة عددها . فالمشكلات التي تواجه مجتمعنا - شأن غيره من المجتمعات - تفيض عن العصر . ومن هنا فقد كان أصعب ما يواجهنا عند اعداد صفحات هذا الكتاب عملية انتقاء مشكلات بعينها دون غيرها . ولذلك فقد تعددت المشكلات التي تناولناها في الطبعتين السابقتين لتشمل الامية ، السكان ، والعنف ، والحوادث ، ... الى آخره . وكدنا ان نواجه نفس الموقف هذه المرة ايضا : اى المشكلات نختار؟ وايها ندع ؟ .

وحاولنا فى البداية ان ننظر فى محاولاتنا السابقة ساعين الى تبين الطريق ، فاتضحت لنا حقيقتين :

الاولى : ان الفصل بين المشكلات فصل تعسفى لم يكن يلبث طويلا حتى يتهاوى خلال المناقشات بحيث لانستطيع ان نناقش مشكلة بمعزل عن غيرها . فالمشكلات تترك بصماتها على بعضها البعض . فالعنف الجماهيرى يرتبط بالكثافة السكانية التى تؤثر بدورها على ظاهرة الامية وعلى توزيعات الحوادث وهكذا .

الثانية : ان تعدد المشكلات التى نتطرق لها يوحى للقارىء اننا نراها اهم المشكلات التى تواجه بلادنا مهما كانت تحفظاتنا فى المقدمات .

ونتيجة لذلك كله فقد آثرنا فى هذه الطبعة ان نقصر حديثنا على مشكلة واحدة هى المشكلة السكانية واثقين اننا من خلال مناقشتنا لها سوف نتطرق بالضرورة الى العديد من غيرها من المشكلات التى قد لاتقل عنها اهمية . ولقد حرصنا فى عرضنا لهذه المشكلة أن نلقى الضوء على قطبيها الاساسيين : دعاة تنظيم الاسرة من ناحية ،

والفلاح المصرى من ناحية أخرى .

ولم يكن بد والامر كذلك من أن تتسع صفحات هذه الطبعة لمساهمة الزميل العزيز الدكتور محمد خليل الذى كرس الجانب الاعظم من جهده العلمى فى محاولة دووب لفهم الفلاح المصرى والذى يعد بذلك أول المتخصصين فى هذا المجال .

دكتور
قدرى حفنى
القاهرة فى سبتمبر ١٩٨٢

مقدمة الطبعة الاولى

ورد في الفقرة الاخيرة من مقدمة الترجمة العربية لكتاب " اليسار الفرويدي "(1) أنه " ماأحوجنا بعامة الآن ، وما احوج المتخصصين منا في العلم على وجه الخصوص ، لحوار حر خلاق بين الافكار جميعا ، حوار لاتحده الا قضيتان : حتمية الربط بين العلم والمجتمع ، واحقية جميع الافكار في التعبير عن نفسها دون خوف أو ارهاب . ولعل هاتين القضيتين تمثلان معا المحور الرئيسي الذي قامت عليه مدرسة عين شمس في علم النفس ... " . وتستهدف محاولتنا الراهنة أن نتيح للقارىء اطلالة سريعة على بعض من سعى مدرسة عين شمس في هذا السبيل .

ولعل من حق القارىء علينا أن نقرر له منذ البداية أن ذلك الذي نقدمه له لايعدو أن يكون جزءا فحسب مما حاولت وتحاول أن تنجزه مدرسة عين شمس في هذا الصدد . بل أنه في حقيقة الامر ليس سوى جانبا من اسهام أحد الذين يتشرفون بانتسابهم لهذه المدرسة . ومن ثم فان صفحات هذا الكتيب ليست " عينة ممثلة " لجهد مدرسة عين شمس في سبيل دمج علم النفس بقضايا الحياة والمجتمع . كما أنها لاتنطبق بوجهة نظر محددة يتبناها ابناء المدرسة . ولكنها – أي هذه الصفحات – تلتزم فحسب بالقضيتين المحوريتين اللتين أقام عليهما استاذنا الدكتور مصطفى زيور دعائم مدرسة عين شمس في علم النفس : أعني حتمية الربط بين العلم والمجتمع ، وحتمية الحوار بين مختلف الاجتهادات الفكرية .

ولعلنا بعد ذلك لسنا في حاجة الى سوق الادلة على اهمية المشكلات التي سوف نحاول التعرض لها ، فأهميتها غنية عن أي بيان

---

(1) بول روبنسون ، اليسار الفرويدي : فيلهلم رايش ، جيزا روهايم ، هربرت ماركوز ، ترجمة : لطفي فطيم وشوقي جلال ، مراجعة وتقديم قدري حفني ، دار الطليعة (بيروت) ، ١٩٧٤م .

غير أن ما يتطلب ايضاحا ، بل وتبريرا ، هو اختيارنا لهذا الاسلوب من أساليب العرض : اعنى تجميع عدد من البحوث والمقالات المؤلفة والمترجمة ، والتى سبق نشر غالبيتها فى أماكن متفرقة .

لعله تسارع ايقاع الحياة المعاصرة ، ولعله تسارع تدفق الانتاج الفكرى فى كافة فروع العلم ، ولعله ذلك الطابع الامبيريقى الذى يسود الحياة الفكرية العلمية المعاصرة ولعلها زيادة مشاغل القارئ والكاتب على حد سواء ، ولعل كل ذلك وغيره ايضا من العوامل قد أسهم فى تراجع " الكتاب " الى حد ما عن مكانته الاولى فى مجال النشر العلمى ، ليفسح مكانه للدوريات المتخصصة التى تزايد عددها ، واتسع نطاق تخصصاتها ليشمل كافة مناحى الفكر الانسانى من علم وأدب وفلسفة وفن ، وأصبحنا لانكاد نجد فرعا من فروع العلم مهما كانت دقة ومحدودية تخصصه يخلو من دورية أو أو اكثر تنشر وتتابع انتاج ابنائه من المتخصصين شهريا أو فصليا ، وتقوم على تيسير سبل الاتصال فيما بينهم .

ورغم ما لهذا الاسلوب من مميزات عديدة ، فانه قد أسهم فى ضياع العديد من الملامح المميزة للاتجاه النظرى العام للعديد من الباحثين المتخصصين فى فرع بعينه . ولم تعد مسألة تبين ملامح الموقف النظرى ، بل حتى تبين مجالات الاهتمام الرئيسية لعالم معين أمرا ميسورا هينا . لم يكن مثل هذا الامر ليتطلب سوى النظر فى المؤلفات الرئيسية لهذا العالم لنستبين جوانب المسألة جميعا . اما الان فالامر يتطلب غالبا أن يلهث المرء من دورية الى أخرى فى مجال التخصص الدقيق ، ثم فى مجالات اخرى اكثر عمومية وهكذا لتتجمع لديه فى النهاية حصيلة من البحوث والمقالات الصغيرة المتفرقة . وعليه بعد ذلك أن يستقرئها جميعا ليخلص الى تبين الاتجاه النظرى العام ومجالات الاهتمام الرئيسية للباحث المعنى .

واذا ما أضفنا الى كل ماسبق بعض خصائص النشر العلمى فى بلادنا ، لاتضح لنا أن هذا الاسلوب التجميعى — رغم سلبياته —

يعد بمثابة الاسلوب الأمثل ، خاصة وأن الدوريات العلمية لدينا محدودة سواء من حيث العدد او من حيث مدى الانتشار بين أهل الاختصاص .

دكتور
قدري حفني
القاهرة في سبتمبر ١٩٧٨

مقدمة الطبعة الثانية

" دعوة الى حوار "

وردت فى تقديمنا للطبعة الاولى من كتيب " علم النفس ومشكلات مجتمعنا (1) " اشارة الى القضيتين المحوريتين اللتين أقام عليهما أستاذنا الدكتور مصطفى زيور دعائم مدرسة عين شمس فى علم النفس: حتمية الربط بين العلم والمجتمع ، وحتمية الحوار بين مختلف الاجتهادات الفكرية . ولقد التزمت مدرسة عين شمس ومازلنا ـ نحن ابناؤها ـ ملتزمين بهاتين القضيتين فيما يصدر عنا وعن مدرستنا من اجتهادات فى مجال التخصص ، سواء تمثلت تلك الاجتهادات فى سطور بين يدى قارئ ، أو فى كلمات يتلقاها دارس عن معلم ، أو حتى فى تعليق عابر أو توجيه متأن من معلم لتلاميذه داخل قاعات الدراسة أو خارجها .

واذا ما كان التزامنا بهاتين القضيتين يفصح عن نفسه فى كافة ما يصدر عنا ، فانه ينبغى بالضرورة أن يكون أشد وضوحا فى مقرراتنا الدراسية الاكاديمية سواء من حيث المضمون أو من حيث أسلوب التدريس . ولعل خير تجسيد للمناخ الاكاديمى الملتزم لمدرسة عين شمس انما يتمثل فى موضوع هذا الكتيب " أعنى مادة " مشكلات نفسية اجتماعية " .

حين بدأ تدريس هذه المادة فى قسمنا كانت تحت عنوان " الامراض النفسية الاجتماعية " ولعلنا كنا نحاول آنذاك أن نتستر بالمعاطف البيضاء للمعالجين وما لها من وقار وجهامة وتحفظ لنناقش أشد القضايا راديكالية وخطرا : قضية الربط بين العلم والمجتمع ، أى بين علم النفس ومشكلات مصر . ولكن هذا العنوان لم يلبث أن أثار العديد من المشكلات سواء من حيث التعريفات وتبين الحدود أو من حيث القضايا المنهجية . ترى هل ثمة مايمكن أن نطلق عليه بحق المرض النفسى الاجتماعى ؟ الايحمل تعبير " المرض " ايحاءا بأن السبيل الصحيح لمعالجة العلل الاجتماعية ـ أو لعلاجها ـ لابد وأن يكون عبر العيادات النفسية ؟ الى آخر تلك التساؤلات الاجتماعية "

وهو عنوانها الحالي ٠ ولكن ذلك التعديل لم يضع حدا لماتثيره مادتنا من مجادلات ٠

ترى ماذا نقصد بتعبير المشكلات النفسية الاجتماعية ؟ ثمة تصورات ثلاثة في هذا الصدد :

التصور الاول : أننا نعني بها نوعا خاصا من المشكلات ، يحتل موقعا وسطا بين المشكلات النفسية الخالصة ، والمشكلات الاجتماعية الخالصة ٠

التصور الثاني : اننا نعني بها تفسيرا نفسيا للمشكلات الاجتماعية ، باعتبار أن العامل النفسي هو الجذر الرئيسي لتلك المشكلات ، ومن ثم فانه مصدر التفسير ، بل ومكمن الحل لمشكلات المجتمع كلها ٠

التصور الثالث : اننا نعني بها تفسيرا اجتماعيا للمشكلات التي تندرج عادة ضمن المشكلات النفسية الخالصة ، باعتبار أن العامل الاجتماعي هو مصدر كل شيء ٠

والايسر بلا شك أن نتبنى واحدا من تلك التصورات ، محاولين ترجيح كفته على غيره ، واضعين بذلك حدا لمجادلات طالت ٠ ولكن الانسب والاصوب - فيما نرى - أن نبدأ نترفض تلك التصورات جميعا مفندين اياها ، فاتحين بذلك آفاقا أرحب لمجادلات نتمنى ازدهارها ٠

ترى هل توجد بالفعل مشكلة يمكن أن تكون مشكلة نفسية خالصة لاتحلق بها شائبة اجتماعية ؟ وهل يمكن أن نتصور مشكلة اجتماعية خالصة لاتشوبها شائبة نفسية ؟٠

اننا نعرف أن الاضطراب النفسي ، بل والسواء النفسي أيضا انما يدور حول محور أساسي هو العلاقة بالآخر ٠ فالسوى - اذا ما صح أن هناك أسوياء بالمعنى الدقيق - هو ذلك الذى تتزن علاقته بالاخر وفقا لمعيار نرتضيه ٠ والمريض النفسي هو ذلك الذى تضطرب علاقته بالاخر فتخرج به عن حدود السواء ٠ واذا ما حاولنا أن نحدد

على وجه الدقة ما نعنيه بذلك " الاخر " الذى يمثل العلاقة بــــــه محك السواء والمرض جميعا ، لوجدنا أنه لا يخرج عادة عن كونه "الاسرة" أو " رفاق العمل " أو " الاصدقاء " أو " أفراد الجنس الاخر " أو " ممثلو السلطة " الى آخره . وغنى عن البيان أن " الاخر " لا يمكـــن أن يعنى سوى " المجتمع " ومن ثم فاننا لا نستطيع أن نتصور وجود مشكلـــة نفسية خالصة لا علاقة لها بالمجتمع أى بالآخر .

والامر أشد جلاء فيما يتعلق بالمشكلة الاجتماعية " الخالصـــة " فالمشكلات الاجتماعية لابد وان تتناغم — تأثرا وتأثيرا — مع ما يحكـــم الوعى الانسانى من قوانين هى " علم النفس " ذاته دون زيــــادة أو نقصـــان .

والمسألة اذ تضرب بجذورها الى أبعد مما كانت تبدو عليـــه انها فى حقيقة الامر قضية التفرقة بين ماهو نفسى وما هو اجتماعـــى ، أو بعبارة أخرى قضية تعيين الحدود الفاصلة بين علمى النفس والاجتمـاع ، اذا كانت ثمة حدود بالفعل . وهى قضية يحتاج حسمها الى تضافـــر جهود المتخصصين فى كل من العلمين وهو أمر يتطلب اقناعا واقتناعـــا وجهدا ووقتا . ولكن لابد للمسيرة الطويلة من بداية صغيرة متواضعـــة قد تغرى غيرنا من أبناء تخصصنا أو من أبناء التخصصات الاخــــرى بالمشاركة فى حوار يستهدف فى النهاية تصنيفا جديدا للعلوم الانسانية .

وبدايتنا المتواضعة هى محاولة اعادة النظر فى حدود تخصصنـــا باعتباره فرعا من فروع العلوم الانسانية . ولقد سبق أن تناولنا منذ فتـــرة ظاهرة تأخر ظهور العلوم الانسانية وأرجعنا ذلك التأخر الى أن هـــذه العلوم لا تقف بحكم طبيعتها عند حدود الوصف بل أنها تكاد تجمع بيـــن الوصف والدعوة الاجتماعية معا ، بمعنى انها تعبر — مهما حاولت التخفــ ـــعن موقف فكرى حيال النظام الاجتماعى السائد . وعرضنا بشئ مـــن التفصيل للمحاات من ذلك الصراع الاجتماعى الضارى الذى اكتنــف ارهاصات "علم النفس " فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ثـــم تكريس عام ١٨٧٩ ، باعتباره البداية "الرسمية" لهذا العلم (١) .

في عام ١٨٧٩ صدرت شهادة ميلاد رسمية تعلن اسم الوليد : علم النفس ، ومحل الميلاد : مدينة ليبزج بالمانيا ، كما أنها تحمل توقيعا لطبيب شهير : ولهلم فونت (٢) . ولكنها شأن شهادات الميلاد الواقعية التي نعرفها اليوم لا تتضمن شيئا ذا بال عن هوية المولود أو ملامحه ، تاركة كل شيء ليتحدد فيما بعد . وبذلك ينفتح الف سبيل للمراجعة والتعديل والتشكيك بل حتى للطعن بالتزوير في بيانات شهادة الميلاد جميعا . وتكفينا نظرة موضوعية متأنية لما جرى بعد صدور هذه الشهادة ، ولما تجمع من معلومات عن وقائع جرت قبلها ، لكي نطعن في بيانات تلك الشهادة كلها : ابتداء من اسم المولود ، الى تاريخ الميلاد ، الى محل الميلاد ، بل وأن نطعن حتى في مدى مشروعية أن يمهرها ذلك " الطبيب " بتوقيعه . ولا شك ان سردنا لتلك الطعون جميعا بالتفصيل يمكن ان يستغرق ما قد ماقد يزيد عن حجم هذا الكتاب ، ويخرج بنا كثيرا عن موضوعه ولذلك فسوف نكتفي بعرض سريع لاهم ما توصل اليه تنقيبنا في هذا الصدد ، مدركين لخطورة الاقدام على عرض نتائج من هذا القبيل دون عرض مسهب لمقدماتها . ولعل احساسنا بمدى هذه الخطورة وماقد يثيره تقصيرنا من مناقشات ، يدفعنا الى الاسراع في انجاز ما بدأنا ، مؤخرا من دراسة نقدية تاريخية في هذا الصدد .

ان النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم يشهد — كما هو شائع — تبلور حاجة اجتماعية واحدة لعلم جديد واحد في المجال الانساني ، بل لقد شهد تبلور حاجتين اجتماعيتين لظهور علمين جديدين كلاهما يتخذ من الانسان المغترب موضوعا له .

أ — حاجة الطبقات الراسمالية الحاكمة الى زيادة أرباحها والحفاظ على مواقعها ، جعلتها تتطلع الى علم بالانسان يدلها على السبيل الاقتصادي للحصول على اقصى انتاجية من العامل ، ولاثارة أقصى دافعية لدى المستهلك ، ثم ضمان أن يتم ذلك كله دون أن يحس العامل بحجم اسهام قوة عمله في تحقيق الربح النهائي ، ودون ان يعي المستهلك أيضا بحقيقة العلاقة

بين تكلفة السلعة وسعرها ومدى حاجته الموضوعية اليهـــا .
بعبارة اخرى فقد كان المستهدف علما يقدم معرفة موضوعيـــة
مضبوطة بالقوانين التي تحكم تصرفات الافراد العملية .

ب — حاجة الجماهير العاملة الى التخفف من معاناتها التي تمثلت
آنذاك فيما يتعلق بمجال اهتمامنا في احساس جارف باغترابهـا ،
جملتها تحلم بعلم يكفل لها فض الجهلة والقضاء على الاغتـراب ،
بعبارة اخرى فقد كان المستهدف علما يتيح معرفة صادقــــة
بأسباب احساس الفرد بالعزلة والتعاسة والشقاء .

أى ان النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد شهد تبلور الحاجة الاجتماعية لظهور " علم السلوك " كما شهد تبلور الحاجة الاجتماعيـــة لظهور " علم الوعي " وشهدت أوربا مولد التوأمين معا ، ولكن شهادة الميلاد التي أشرنا اليها والتي صدرت آنذاك كانت المولود واحـــد ، بل انها لم تكن تحمل الاسم الحقيقي لاى من التوأمين : فلاهى حملت اسم " علم السلوك " ولاهى حملت اسم " علم الوعي " بل حملت اسمـــا يضفي قدرا هائلا من الغموض على الموقف كله : " علم النفس " . ويكفـــى ان نشير الى أن مصطلح " النفس " (٩) الذى تسمى به الوليد المزعـــوم لم يستخدم في مجال هذا العلم مطلقا ابتداءا من كتابات فونت وحتـــى العدد الاخير من مجلة ملخصات سيكلوجية الصادر في اغسطس ١٩٨٠ .
لقد وقع الاختيار اذن على اسم غامض لكائن لا وجود له . ولم يكن ذلـــك الاختيار عبثا . فلقد كان اعلان الاسم الحقيقي لاى من التوأميـــن يعني مباشرة الكشف عن هوية التوأم الاخر . ومن ثم فان اختيار تلـــك التسمية المريبة كان يحقق الغرض تماما . فمن خلالها تم استبعاد " علـــم الوعي " ومحاصرة جذوره الأصيلة داخل حدود الابداع الفني والفكـــر الفلسفي والاعتقاد الديني باعتبار أن كل ذلك ليس من العلم في شـــئ . ومن خلال تلك التسمية المريبة أيضا تبلور " علم السلوك " ونضج وتحددت ملامحه وان ظل مصرا على التخفي — رسميا على الاقل — تحت نفـــس التسميــــة .

ورغم كل ذلك فاننا لانستطيع أن ندعي أن "علم الوعي" قد ظل قابعا في قلاعة القديمة لايبرحها ابداء ولاحتى ان ندعي ان سعي "علم السلوك" للبروز والاكتمال كان متسقا مستمرا دون تعرجات ومرة أخرى فاننا لسنا في مجال العرض التفصيلي لمسارات نمو العلمين ، وكل ما يعنينا في هذا العجالة ان سعي كلا العلمين قد بلغ غاية لم يعد معها بد من اعلان حقيقة تمايزهما ، ان عباءة علم "النفس" التي تعرفها اليوم تضم في الحقيقة جسد ين متمايزين تاريخا وموضوعا ومنهجا ولاعلاقة بين أى منهما وبين مصطلح "النفس": "علم السلوك" ويرجع بتاريخه القديم الى جذور العلم الطبيعي القائم على الملاحظة الموضوعية متخذا من السلوك القابل للملاحظة والضبط موضوعا له ، ومن التجريب منهجا "أما "علم الوعي" فيرجع بتاريخه القديم الى جذور التعبير الفني والعقيدة الدينية والفكر الفلسفي ، متخذا من الوعي بشقيه الشعوري واللاشعوري موضوعا له ، ومن الملاحظة المشاركة منهجا ،

ان الحديث عن أزمة "علم النفس" قد أصبح حديثا متكررا [1] ، والمحاولات التي بذلت لحل هذه الازمة قد اخفقت جميعا ، سواء تلك التي استهدفت التوحيد التلفيقي باصطناع موضوع جديد للعلم المأزوم [2] ، أو تلك التي استهدفت اثبات أن الازمة لاتعدو أن تكون خلافا لفظيا حول المصطلحات المعبرة عن نفس الوقائع [3] ، او تلك التي استهدفت استبعاد أحد العلمين لصالح الاخر والدليل على اخفاق تلك المحاولات جميعا أن الازمة مازالت مستمرة ، ويرجع ذلك الاخفاق فيما نرى الى أن منطلق كافة تلك المحاولات على اختلافها كان يتمثل في التسليم ابتداء بأن مصطلح "علم النفس" يشير الى علم واحد متجانس أو ينبغي أن يكون كذلك ، الامر على عكس ذلك تماما ، فالخروج من الازمة الراهنة يتطلب فيما نرى تكريس الانفصال والتمايز بين علمين ناضجين هما "علم السلوك" ، و "علم الوعي" ، والسعي الى تأصيل كل منهما ، حتى ولوضحينا في سبيل ذلك بمصالح الفناء طويلا سمو "علم النفس"

وبعد هذا الاستطراد الطويل ، لابد من كلمة بشأن هــذا الكتيب ، ورب من يتساءل عن موقع محتوياته من تلك المجادلة التي أثرناها حول علم السلوك وعلم الوعي والدعوة الى تصنيف جديد للعلوم الانسانية واجابتنا شديدة التواضع ، بل قد تكون مخيبة للآمال ، وان كنا نرجو الا تكون مثبطة للهمم ، فعلم الوعي الذي ندعو الى تكريسه مازال متناثرا مشتتا بل ومطاردا ، وعلم السلوك الذي ندعو الى سفوره مازال متمسكا بحجابه مطمئنا اليه ، وعباءة " علم النفس " تتسع لهما جميعا بل ولغيرهما ايضا ، وتحتها يختلط كل شيء بكل شيء ، فكل من ضاق بعلمه المتخصص ، أو ضاق به هذا العلم ، هرع الى عباءة " علم النفس " — وهي على ماهي عليه من اهتراء — ليلتحفها ، فاذا به قادر على الفتوى في أمور الدنيا والدين جميعا ، دون مانظر الى تخصصه الاصل ولا حتى الى طبيعة موضوع فتواه.

خلاصة القول أن محتويات هذا الكتيب لاتعدو أن تكون محاولة للاطلالة على عدد من مشكلات مجتمعنا ، لانزعم بحال أنها أهم مشكلاته ولاندعي ايضا أنها أكمل تناول لتلك المشكلات ، أنها اشبه بجزء من جملة تنقصها كلمات عديدة ليكتمل معناها ، ولا سبيل لاكتمالها الا بحوار نشارك فيه جميعا على اختلاف تخصصاتنا.

دكتور

قدري حفني

هوامـــــش

(١) أنظـر:
قدري حفني ، علم النفس مشكلات المجتمع : السكان والامية والجريمة ، القاهرة ، ١٩٧٨.

(٢) انظـر :
قدري حفني ، تاريخ علم النفس : محاولة اجتهاد يـــــة ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

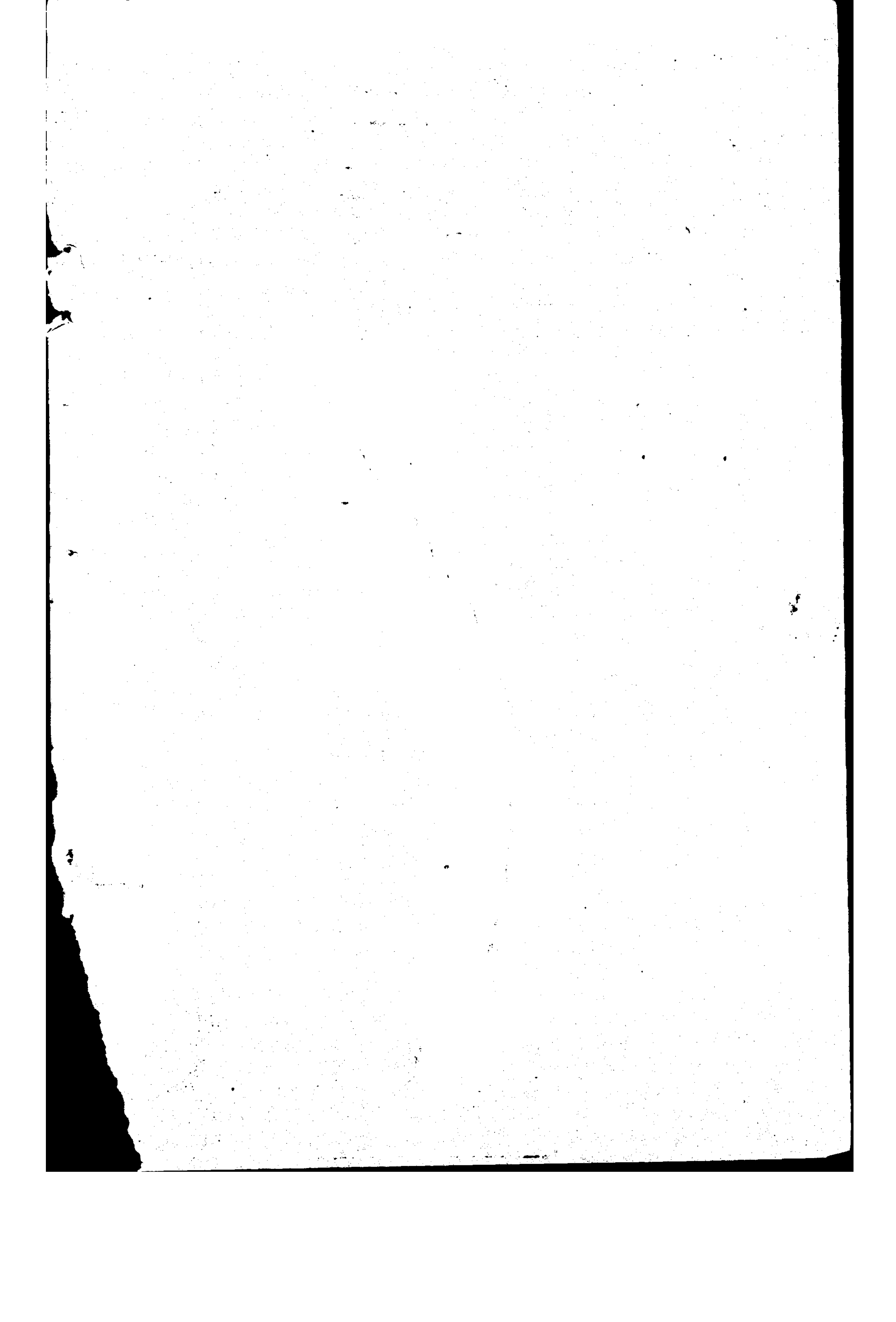
(٣) من الطريف أن ولهلم فونت قد بدأ حياته العلمية طبيبا اذ حصـل على أجازة الطب من هيدلبرج عام ١٨٥٦.

(٤) يعرف قاموس ويستر "ـ Psych" باعتبارها بادئة تشير فـــي اصلها اليوناني الى التنفس باعتباره أساس الحياة ، وهي بذلـك تعادل معاني : الحياة ، والروح .

(٥) انظـر:
قدري حفني ، " الاصول الطبقية لعلم النفس المعاصـــر: الازمة الراهنة وجذورها " ، دراسات عربية ، العدد ١٢ ، اكتوبـر ١٩٧٥م.

(٦) انظر في هذا العدد وعلى سبيل المثال لا الحصر:
جورج بوليتزيـر، ازمة علم النفس المعاصـر .
دانييـل لاجاش وحدة علـــم النفـس .

(٧) لعل أبرز مثال على ذلك محاولات سيرز لاعادة قراءة نتائـــج التجارب المعملية التي اجريت على الحيوان بلغة التحليـــــل النفـــسي .

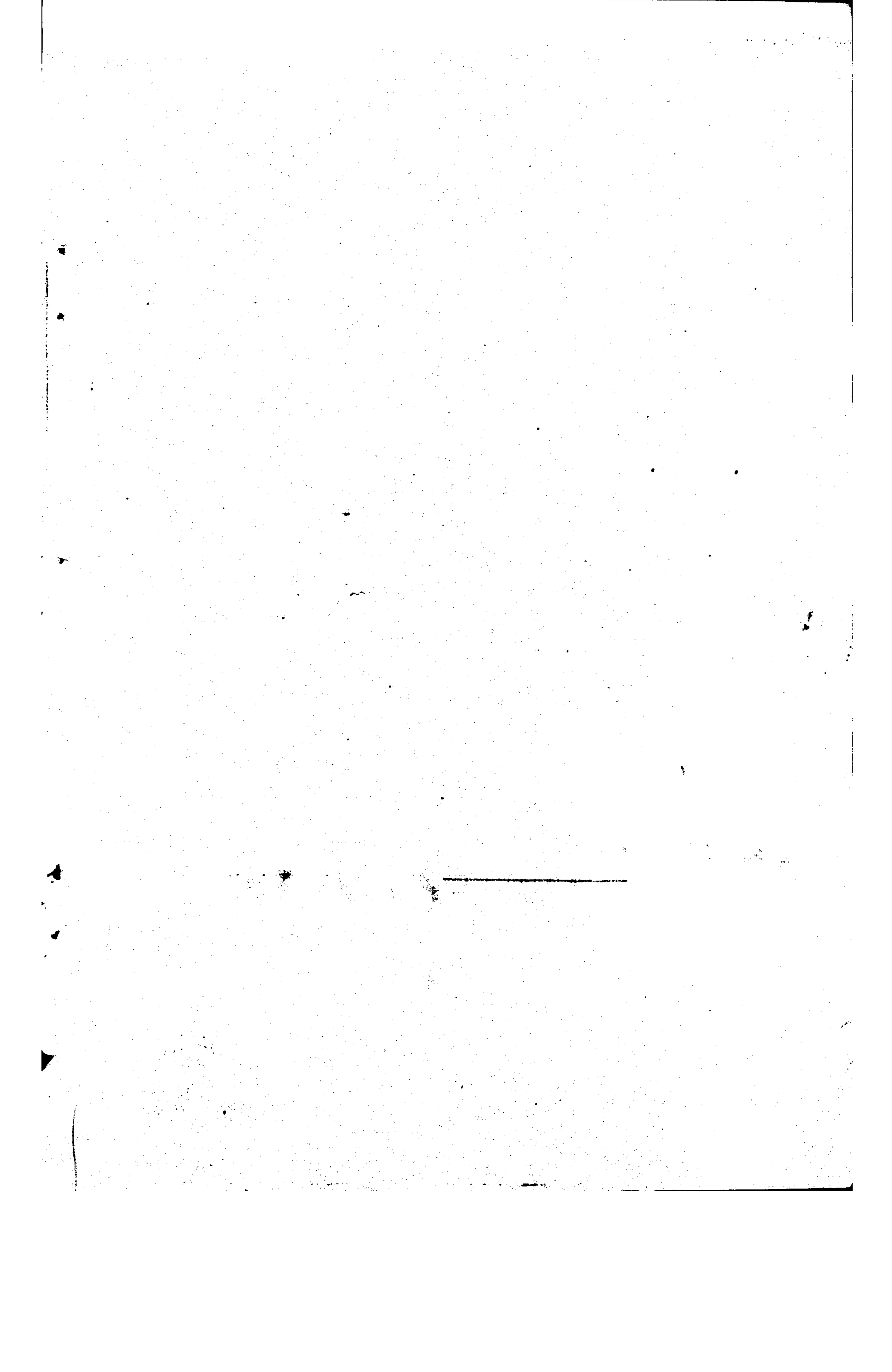


الباب الاول
دعـاة تنظيـم الاســرة

(١) اتجاهات الدعاة الرسميين وغير الرسميين فى مجال تنظيم الاسرة ... دراسة مقارنة.

(٢) المصريون ونظرتهم الى الفلاحين ، دراسة فى شخصية الجماعة.

(٣) اجتماعات اللجنة الاستشارية للسكان والتنمية فى قرية مصرية.. دراسة فى تحليل المضمون .



١٠١ • اتجاهات الدعاة الرسميين وغير الرسميين *
في مجال تنظيم الاسرة •• دراسة مقارنة

---

* تم هذا البحث من خلال وحدة البحوث النفسية بجهاز تنظيم الاسرة والسكان ، تحت اشراف الدكتور سليمان الخضرى الشيخ والدكتور قدرى حفنى ، وقد نشر ضمن مطبوعات الجهاز في مايو ١٩٧٦ •

وقد شارك في انجاز هذا البحث من اعضاء الوحدة كل من :

- السيدة / سهير كامل احمد
- السيدة / نجوى حسين فريد
- السيدة / انصاف يسرى هنداوى
- الانسة / سلوى عبد الباقى
- الانسة / سهام زكى

مقدمــــة

تحتل هذه الدراسة موقعها – كما يتضح من اسمها – فى بـؤرة تتشابك عندها حلقات ثلاث من تيارات البحث فى علم النفس : الاتجاهات attitudes ، والاتصال الجمعـــى mass communication وتنظيم الاسرة Family Flanning فهى من حيث المجـال النظرى وكذلك من حيث أداة القياس تندرج ضمن دراسات الاتجاهـات . وهى من حيث البشر الذين تهتم بهم – اى الدعاة – يمكن أن تنـدرج ضمن دراسات الاتصال الجماعى . ثم انها – اخيرا من حيث المجـال التطبيقى او النشاط العملى يمكن ان تعد ضمن اسهامات علم النفس فى مجال تنظيم الاسرة . ولكى نوضح ما نعنيه بتشابك تلك الحلقات الثلاث من تيارات البحث فى علم النفس ، ينبغى أن نلقى اولا نظرة سريعـة على كل مجال او تيار على حدة من حيث الوضع الراهن لحجم الاهتمام بـه ومن ثم يتيسر لنا الالمام بطبيعة ما بينها من تشابك .

١) الاتجاهـات :

يعتبر ماكجوير Mcguire, W.J.[1] أن موضوع الاتجاهات يعد واحدا من أهم موضوعات علم النفس الاجتماعى ، بل انـه يقرر أن مجال الاتجاهات قد اجتذب بالفعل الجانب الاكبـر من علم النفس الاجتماعى فى الخمسة عشر عاما الاخيرة .

ويدلل على ذلك بأن موضوع الاتجاهات قد شغل مايقـرب من ٢٥٪ من حجم احدث خمسة كتب دراسية صدرت مؤخرا فـى علم النفس الاجتماعى ، وهو مايفوق بكثير ما شغله اى من موضوعات

(1) Mcguire, william j. "The nature of attitude and a attitude change;
G. Lindzey and E. Arouson, (eds), The hand-book of Social psychology, second edition, addison-wesley, 1969 P. 136.

علم النفس الاجتماعي الاخرى في هذا الكتيب • ويفصح هـــذا الموءشر عن نفسه ايضا وبصورة اوضح فيما تضمنته مجلة الملخصـــات السيكولوجية Psychological Abstra. في مجلد اتهـــا الخمسة التي تغطي مانشر من بحوث نفسية في الفترة مـــن ١٩٦١ الى ١٩٦٥ حيث فاق عدد بحوث الاتجاهات عدد بحوث علـــم النفس الاجتماعي الاخرى مجتمعـــة •

٢) الاتصال الجمعـــي :

المقصود بالاتصال الجمعي او الجماهيري نوع من أنـــواع الاتصال يستهدف نقل معنى أو فكرة من مصدر معين الى قطـــاع عريض من الافراد • وبطبيعة الحال فان الاتصال الجمعي بهـــذا المعنى لايمكن ان يقتصر على تلك الاتصالات القائمة على استخـــدام الوسائل التكنولوجية الحديثة كالسينما والاذاعة والتليفزيـــون والملصقات الى آخره • فالاتصال الشخصي يلعب دورا هاما في هذا المجال • ويرجع اهتمام علماء النفس بالاسهام في مجال دراســـة الاتصال الى اعقاب الحرب العالمية الثانية ومنذ ذلك الحيـــن تراكمت البحوث وتنوعت وشاعت الى الحد الذي جعل ناثان ماكوبي يعتبرها بمثابة اللغة الجديدة للعلم [1] • بل ان وليام ستيفنسون قد حاول ان يرقى بنتائج تلك البحوث الى حد ان يستخلص منها نظرية في علم النفس تفسر السلوك الانساني بعامة ولاتقتصر علـــى مجال الاتصـــال وحـــده [2] •

(1) Maccoby, N. "The new scientific rhetoric ", W. Schramm, (ed.) The science of communication N. T: Basic Books, 1963.

(2) Stephenson, W. "Application of communication theory: I. The substructure of science, The Psychological Record, 1972, 22, 17-36.
"Application of communication theory: II. Interpretations of Keats, Ode on a grecian urn", The Psychological Record, 1972, 22, 177-192
"Application of communication theory: III. Intelligence and multivalued choice". The Psychological Record, 1973, 23, 17-32.

٣) تنظيم الاســـــرة :

لم يكن هناك حتى مشارف الستينات سوى قلة من علمـــاء النفس تهتم ببحوث السكان [1] وفي اكتوبر ١٩٦٩ شكلت الرابطـــة النفسية جماعة عمل لدراسة علم النفس وتنظيم الاسرة والسياســـة السكانيـــة [2] .

وعقدت هذه الجماعة العديد من الاجتماعات منذ ذلـــك الحين ، وأسفر هذا النشاط عن اتضاح عدة أمور اهمها :

١ ــ ان العديد من المشتغلين بعلم النفس لا يبدون اهتمامــا كافيا بمجال الدراسات السكانية [3] .

٢ ــ تركزت الاسهامات القليلة لعلم النفس في مجال السكان فـــي نطاق الدول المتقدمة التي لا تعاني أصلا من مشكلة انفجـــار سكاني [4] .

---

(1) Sills, D.L. "Forward, " J.T. Fawcett, (ed.), Psychological Perspectives on Pouplation, N. T: Basic Books, 1973.

(2) APA Task Force on Psychology, Family Planning, and Population Policy, " Population and Family Planning: Growing involvement of Psychologists", American Psychologist, 1972, 27 - 30.

(3) Bartz, W.R. "While Psychologists doze on ", American Psychologist.,
David, H.P. "Psychology and Fertility ", Contemporary Psychology, 1970, 15-538.
Lipe, D. "Incentives, Fertility control, and research" American Psychologist 1971, 26, 617 - 625.

(4) Pohlman, E.H. Psychology of Birth Planning, Schenkman. 1969.
Darroch, R.E. "Psychologists and Population research: A need for discipline Planning", American Psychologist, 1973, 28 683 - 693.

أهميـة البحـــث

تتمثل اهمية البحث الحالى فى أنه محاولة اولية لسد فجوات ثلاثـة فى مجالـه :

أولا : " ان أغلب الابحاث التقليدية عن الاتصال الجماهيرى تركز علـــى انتقال الرسالة من القائم بالاتصال الى المستقبل ، وعلـــى استجابة المستقبل على هذه الرسالة التى تعمل كمنبه "(١) .

ويعانى هذا المجال من ندرة شديدة فى البحوث المتركزة على الدعاة او القائمين بالاتصال . ولسنا على أى حال بصـــدد تفسير هذه الندرة الا أننا نستطيع ان نتصورها راجعة الى ميـــل عام لدى غالبية المشتغلين بالعلوم الانسانية الى دراسة "الجمهور" وعزوف عن دراسة " الصفوة " لاعتبارات عملية فى المقام الاول .

ثانيا : يعد الاهتمام بدراسة تأثير الدور على تغيير الاتجاه امرا جديـدا نسبيا ، حيث يقرر جانيس وكنج (٢) فى دراستهما المنشورة عـام ١٩٦٦ انها – اى تلك الدراسة ، أول الدراسات التـى دار محورها حول لعب الادوار role playing وتأثيره علـــى تغير الاتجاهات . ولا يتعارض ذلك على اى حال مع حقيقـــة أن نظرية الدور role theory ترجع بتاريخها الى ماهـو

---

(١) جيهان احمد رشتى " عملية الاتصال بالجماهير ونماذجهـا " ، دليل المدربين فى تنظيم الاسرة : الجزء الاول ، المجلس الاعلـى لتنظيم الاسرة : الجهاز التنفيذى ، القاهرة : ١٩٧١ ـ ص١٩٠ .

(2) Janis, I.L. and B.T. King " The influence of playing on opinion change", Alan c. Elms, (ed.), Role playing, reward., and attitude change.: An enduring problem in Psychology Van Mostrand Reinhold company, 1969, P.1-

أبعد من ذلك بكثير[1].

ثالثا : يعانى البحث فى مجال تنظيم الاسرة بعامة من ندرة الدراسات السيكلوجية التى تتناول المشكلة فى الدول النامية[2]. اما فى مصر فان أول فريق سيكولوجى متخصص فى الدراسات السكانية لم يمضى على تكوينه الا مايقرب من عامين[3]، ولم يصدر عنه سوى بحث واحد[4]. وبالاضافة الى هذه الندرة فيما يتعلق بالدول النامية ، فان البحوث السيكلوجية فى مجال السكان — على قلتها تكاد تتركز جميعا فى دراسة اتجاهات " الجمهور " وتغييرها[5]. ولم يسفر فحصنا لما هو متيسر من تلك البحوث عن دراسة واحدة تهتم بسيكلوجية الدعاة فى هذا المجال . وفضلا عن ذلك فان للبحث اهمية تطبيقية تتمثل اساسا فى الاسهام فى ترشيد عملية اختيار العاملين فى مكاتب تنظيم الاسرة.

---

(1) Sarbin, T.R. and V.L. Allen "Rol Theory ", G. Lindzey and E. Aronson, (eds), The hand-book of social psychology, second edition, Addison- wesley, 1968, Vol. I, P. 412.

(2) Pohlman, E. H. Ibid
Darroch, R. K. Ibid

(٣) انشئت " وحدة البحوث النفسية " بجهاز تنظيم الاسرة والسكان عام ١٩٧٤.

(٤) السيد محمد الحسينى وقدرى حفنى " بحث فى بعض الخصائص والاتجاهات لعينة من طلاب الجامعة المصريين ، دراسات سكانية العدد العشرون مايو ١٩٧٥م ، ١ — ٧١.

(5) Fawcett, J.T. (ed.) Psychological Perspectives on Population, N. Y: Basic Books, 1973.

تعريفات أساسية

أولا : الدعاة الرسميون :

الدعاة الرسميون فى هذا البحث هم " أولئك الذين يشتغلون فى أجهزة تنظيم الاسرة وظائف ثابته يتقاضون عليها اجرا . وتتطلب وظائفهم الاتصال بالجمهور اتصالا مباشرا او غير مباشر" ووفقا لهذا التعريف وبناء على طبيعة التركيب الوظيفى لمكاتب تنظيم الاسرة فى مصر فان من ينطبق عليهم هذا التعريف هم :

١) الاطباء .
٢) الاخصائيون الاجتماعيون .
٣) الاخصائيون الاعلاميو ن .
٤) رجال الدين .
٥) الاخصائيون الاحصائيون .

ثانيا : الدعاة غير الرسميين :

ونعنى بهم " الاطباء والاخصائيون الاجتماعيون والاخصائيون الاعلاميون ورجال الدين والاخصائيون الاحصائيون من غير العاملين فى اى من اجهزة تنظيم الاسرة سواء بشكل ثابت أو موقت " ويرجع اعتبارنا لهولاء " دعاة " وان لم يكونوا على صلة باجهزة تنظيم الاسرة الى سببين :

١) يلعب المثقفون — على أختلاف تخصصاتهم وتباين مستويات ثقافتهم — دورا هاما متميزا فى الدول النامية حيث ينخفض المستوى الثقافى العام للجمهور . ويزداد بالتالى ارتباط التعليم بالمكانة الاجتماعية . ويودى هذا الوضع الى أن يشغل المثقفون فى هذه الدول النامية مركز " القدوة " أو " قادة الرأى " بالنسبة للجمهور . ومن ثم فانهم يمارسون دور الدعاة حتى وان لم يكونوا على وعى بذلك الدور .

٢) عادة مايلجأ الجمهور الذى تستهدفه نشاطات اجهـــزة تنظيم الاسرة فى مصر الى أصحاب هذه المهن لطلب المشورة فيما يتعلق بتنظيم اسرهم أو مشكلاتهم الاسرية بعامـــة . وذلك دون ما تفرقة — فى كثير من الاحيان — بين المشتغلين منهم فى اجهزة تنظيم الاسرة أو فى غيرها من المؤسسات والمصالـح .

أسئلـة البحـث

١ — هل تختلف اتجاهات الدعاة الرسميين عـن إتجاهات اقرانهـم غير الرسمييـن

٢ — هل يختلف السلوك الفعلى للدعاة الرسميين فيما يتعلق بتنظيم أسرهم عـن سلوك اقرانهم غير الرسميين؟

٣ — هل تتباين الفروق بين اتجاهات الدعاة الرسميين واقرانهـم غير الرسميين — اذا ما وجدت — بتباين الجنس ؟

٤ — هل تتباين الفروق بين اتجاهات الدعاة الرسميين واقرانهـم غير الرسميين — اذا ما وجدت — بتباين تخصصاتهم المهنية ؟

٥ — هل تختلف اتجاهات الدعاة الرسميين باختلاف تخصصاتهـم المهنيـة ؟

أداة البحث وإعدادها

الاداة الرئيسية التي استخدمت في جمع البيانات بدراسة اتجاهات المبحوثين هي " استمارة البحث " وقد مرت الاستمارة في اعدادها بعدة خطوات او مراحل ، حتى أصبحت في صورتها النهائية وهذه المراحل هي :

١) تحديد اهداف الاستمارة تفصيلا .
٢) تحديد مواصفات الاستمارة ومكوناتها الاساسية .
٣) صياغة بنود الاستمارة وفقراتها .
٤) تجريب الاستمارة على عينة استطلاعية .
٥) التحليل الاحصائي لفقرات الاستمارة .
٦) تعديل الاستمارة وصياغتها في صورتها النهائية .

ونعرض فيما يلي الخطوات بشيء من التفصيل .

أهداف الاستمارة :

تحددت أهداف الاستمارة في ضوء الهدف الرئيسي للبحث ، وهو الكشف عن اتجاهات العاملين في مكاتب تنظيم النسل ، ويمكن حصر هذه الاهداف فيما يلي :

١ ـ التعرف على اتجاهات المبحوثين نحو تنظيم النسل كما يدركونها ويعبرون عنها لفظيا .

٢ ـ التعرف على اتجاهات المبحوثين نحو بعض الموضوعات التي نفترض ـ ولو نظريا ـ انها ترتبط بالاتجاه نحو تنظيم النسل ، مثل اشتغال المرأة وبعض الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية .

٣ ـ الحصول على بعض البيانات الموضوعية التي يمكن اتخاذها كمؤشرات سلوكية او اجرائية للممارسة الفعلية لتنظيم النسل .

٤ ـ جمع بعض البيانات عن المبحوثين ، والتي يمكن ان ترتبط

بالاتجاه نحو تنظيم النسل مثل التخصيص والدخل ومستوى تعليم الزوجة وغيرها .

٥ ـ جمع بيانات عن الخصائص الاساسية للعينة ، والتى يمكن الاستناد اليها فى تحقيق التماثل بين المجموعة الاصلية والمجموعة الضابطة مثل التخصص والجنس والسن .

محتوى الاستمارة :

ولتحقيق الاهداف السابقة تقرران تشتمل استمارة البحث على جزئين رئيسيين هما :

أ ـ استمارة البيانات :

وتتضمن هذه الاستمارة البنود الاساسية التى تتعلق بالبيانات المطلوبة عن المبحوثين وسلوكهم الفعلى مثل العمر والتخصص والمؤهل وتاريخه ، والاعمال السابقة للمبحوث ، وتاريخ الالتحاق بها ، وحالته الاجتماعية وعدد مرات الزواج ، وعدد مرات الانجاب بالنسبة للمتزوجين وعدد الابناء الاحياء ، كما تضمنت بعض الاسئلة المباشرة عن رأى المبحوث فى العدد الامثل للابناء . وعما اذا كان اى من الزوجين يستخدم وسيلة من وسائل منع الحمل . كما تضمنت الاستمارة بعض البيانات عن الاسرة المعيشية ودخلها وتعليم الزوجة ... الخ ، وقد بلغ عدد بنود الاستمارة فى صورتها الاولى ٢٨ بندا .

ب ـ مقياس الاتجاهات :

أما مقياس الاتجاهات ـ وهو الجزء الثانى من استمارة البحث ـ فقد اعد بطريقة ليكرت ، حيث صيغت فقراته فى صورة عبارات او قضايا ، ويطلب من المبحوث ان يحدد رأيه بالنسبة لكل عبارة بوضع علامة فى المكان المناسب تحت احد الاجابات " أوافق بشدة ، أوافق محايد ، أعارض ، أعارض بشدة ".

وقد فضلت طريقة ليكرت على طريقة الاستفتاء وغيرها من طرق قياس الاتجاهات لعدة اعتبارات اهمها :

١ — يزودنا المقياس المعد بهذه الطريقة بمعلومات اكثر عن اتجاهات المبحوثين ، حيث يستجيب كل فرد لكل عبارة من عبارات المقياس ، على خلاف طريقة ثرستون مثلا ، حيث ان المبحوث حر في ترك العبارات التي يعترض عليها .

٢ — تعتمد طريقة ليكرت على عدد كبير من العبارات التي ترتبط ارتباطا عاليا بالمقياس ككل ، مما يتيح التوصل الى جوانب عديدة للاتجاه ، وقد لا نستطيع التوصل اليها بطرق اخرى .

٣ — يمكن المقياس من تقدير شدة الاتجاه لدى المبحوث ، ذلك ان الاستجابة لكل عبارة تتم على مقياس متدرج يمثل درجات مختلفة من الشدة ، بخلاف الاستفتاء مثلا الذي يعتمد على الموافقة او عدم الموافقة فقط ، او الاجابة بنعم أو لا .

٤ — واخيرا لا حاجة في هذه الطريقة الى اللجوء الى الحكام وما تثيره من مشكلات وصعوبات .

ولما كانت البحوث في ميدان تنظيم الاسرة قد أوضحت أن الاتجاه نحو تنظيم النسل ليس اتجاها بسيطا ، وانما هو اتجاه مركب ، يرتبط باتجاهات اخرى مثل الاتجاه نحو اشتغال المرأة ، والتخطيط بصفة عامة ، والتخطيط في حياة الاسرة بشكل خاص ، كما يرتبط ايضا بفهم المبحوثين ونظراتهم لموقف الدين من تنظيم النسل وما يرتبط به من مشكلات اجتماعية واقتصادية ، فقد روعي في اعداد المقياس الا يقتصر على الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل ، وانما يشمل اتجاهات المبحوثين نحو هذه الموضوعات المرتبطة .

وقد بلغت فقرات المقياس في صورته الاولى ٦٣ فقرة .

صياغة الفقرات :

فى صياغة فقرات الاستمارة روعى أن تكون فى شكل مباشرة يجيب عنها المبحوث ، ويتعلق معظمها بالبيانات الواقعية مثل عدد الاخوه الاحياء وتعليم الزوجة وغيرها .

أما بالنسبة لعبارات مقياس الاتجاهات فقد روعى فى صياغتها الشروط الضرورية لمثل هذا النوع من المقاييس ، مثل وضو المعنى وتحديده ، وبحيث لاتحمل العبارة اكثر من فكرة واحدة ، كما روعى ان يكون عدد العبارات الموجبة مساويا تقريبا لعدد العبارات السالبة .

ولما كان من المعروف من الدراسات أن المبحوثين — وخاصة المتعلمين منهم — يستطيعون تزييف استجاباتهم على مقاييس الاتجاهات عن عمد ، وخاصة اذا كانت الموضوعات حساسة بالنسبة لهم أو بالنسبة لوضعهم الاجتماعى او المهنى ، فقد تقرر الايطلب من المبحوثين كتابة اسمائهم على استمارة البحث ، كما تضمنت التعليمات تأكيدات بأن المعلومات سرية ولاتستخدم الا لاغراض البحث . هذا بالاضافة الى ماسبق أن أشرنا اليه من مراعاة الحصول على بيانات عن السلوك الفعلى للمبحوثين .

تجريب الاستمارة :

بعد اعداد استمارة البحث فى صورتها الاولى تم تجريبها على عينة استطلاعية لمعرفة مدى ملاءمتها للهدف الذى اعدت من اجله ، وتعديل الفقرات التى قد تثير لبسا أو غموضا لدى المبحوثين فى استمارة البيانات ، وكذلك بهدف تحديد مدى صلاحية عبارات مقياس الاتجاه فى التمييز بين الافراد ذوى الدرجات المختلفة من شدة الاتجاه نحو تنظيم النسل ، وحذف العبارات غير المناسبة .

ولما كانت عينة البحث الاصلية — وهم العاملون فى مكاتب تنظيم الاسرة — محدودة العدد ، فقد تقرر أن تكون العينة الاستطلاعية

من غير العاملين فى هذه المكاتب ، حتى لا نضطر الى استبعاد عدد كبير من العينة الاصلية عند التطبيق النهائى لاداة البحث .

ولما كانت العينة الاصلية تشمل تخصصات مختلفة أهمها : الاخصائيون الاجتماعيون والاطباء والاعلاميون ورجال الدين ، فقد استقر رأى الباحثون على ان تكون العينة الاستطلاعية مماثلة بقدر الامكان للعينة الاصلية بحيث تشمل التخصصات المذكورة .

لذلك تم تطبيق الصورة التجريبية من استمارة البحث على ٦٠ فردا من الذكور والاناث وكان توزيعهم وفق التخصص كما يلى :

١٥ فردا من الاطباء
١٥ فردا من الاخصائيين الاجتماعيين
١٥ فردا من الاعلاميين
١٥ فردا من رجال الدين

وقد تم الحصول على هؤلاء بطريقة عشوائية فى اماكن تجمعاتهم الرئيسية وهى وزارة الصحة ووزارة الشئون الاجتماعية ووزارة الاوقاف والعاملين فى مجال الصحافة والاذاعة والتليفزيون .

التحليل الاحصائى لفقرات المقياس :

وبعد تطبيق الاستمارة على العينة الاستطلاعية تم تصحيح المقياس واخضعت الفقرات للتحليل الاحصائى المناسب ، وذلك للكشف عن درجة ارتباط كل فقرة بالمقياس ككل وتحديد قدراتها التمييزية ، وبالتالى مدى صلاحيتها فى قياس الاتجاه . وقد تم ذلك على النحو التالى :

١ — بعد تصحيح فقرات المقياس جمعت الدرجات لكل مبحوث على حدة ، ثم رتبت الدرجات ترتيبا تنازليا .

٢ — اخذ العشرون فردا ذوو الدرجات العليا كمجموعة ذات اتجاه قوى نحو تنظيم النسل ، بينما اعتبر العشرون فردا ذوو الدرجات

الدنيا مجموعة مضادة ، اى ذات اتجاه سالب او ضعيف نحو تنظيم النسل •

٣ — حسبت قيمة ت للفرق بين متوسطى درجات الاتجاه لدى المجموعتين ، فكانت ذات دلالة احصائية على مستوى ١٠ر٠ ،مما يدل على وجود فروق جوهرية بين المتوسطين ويكشف عن وجود فروق حقيقية في شدة الاتجاه نحو تنظيم النسل بين المجموعتين •

وبالرجوع الى السجلات التى رصدت فيها البيانات اتضح أن رجال الدين جميعا يقعون فى الفئة الاخيرة (ذات الاتجاه السالب او الضعيف) بينما ضمت المجموعة الاولى نسبا مختلفة من الاعلاميين والاخصائيين الاجتماعيين والاطباء ، وقد اتخذ هذا دليلا على صدق المقياس فى قياس الاتجاه نحو تنظيم النسل ، حيث امكنه التمييز بين المجموعات المتضادة تمييزا واضحا •

٤ — حسب متوسط درجات كل مجموعة من المجموعتين بالنسبة لكل فقرة من فقرات المقياس على حدة (٦٣) فقرة •

٥ — حسبت قيمة ت للفرق بين متوسطى درجات المجموعتين (المرتفعة والمنخفضة) بالنسبة لكل فقرة من فقرات المقياس ثم الكشف عن مستوى دلالتها الاحصائية •

تعديل الاستمارة :

وبعد التحليل الاحصائى لفقرات المقياس تم اجراء التعديلات التالية على استمارة البحث :

١ — حذفت كل الفقرات التى لم تميز تمييزا واضحا بين المجموعتين ، اى الفقرات التى لم تكشف عن قدرة تمييزية عالية •

٢ — حينما اتضح بعد حذف الفقرات (لم يتعد عددها ٥ فقرات)

اى المقياس لا يزال طويلا نسبيا ، مما قد يترتب عليه ملل المبحوثين او عدم دقتهم في الاجابة ، تقرر فحص الفقرات مرة اخرى ،وحذفت بعض العبارات التى بدت مكررة ، بحيث اقتصر المقياس في صورته النهائية على ٤٠ فقرة ٠

٣ — اعيد توزيع العبارات السالبة والموجبة توزيعا عشوائيا على المقياس، وذلك بعد أن تم التقريب بين عدديهما ٠

٤ — اما بالنسبة لاستمارة البيانات ،فقد اعيد صياغة بعض الاسئلة التى اثارت لبسا عند المبحوثين من واقع ملاحظات الباحثين الميدانيين ، كما تم تعديل فئات الاستجابة بالنسبة لبعض الاسئلة وحذف بعضها ، وبذلك اصبح عدد بنود الاستمارة في صورتها النهائية ٢٦ بندا ٠

على انه روعى دائما اثناء التعديل او الحذف ،سواء في عبارات المقياس او بنود استمارة البيانات ان يظل محتوى استمارة البحث على الصورة المخططة ، بما يحقق الاهداف التى أعدت لها ٠

وقد تم تطبيق أداة البحث على افراد العينة بطريق الاتصال المباشر ، حيث قام اعضاء وحدة البحوث النفسية بالجهاز بالانتقال الى المحافظات المختلفة ، حيث تم تطبيق الادوات على الافراد في مواقع عملهم ٠ وقد تم جمع البيانات في الفترة من أول شهر سبتمبر سنة ١٩٧٥ حتى آخر ديسمبر ١٩٧٥م ٠

عينة البحث :

لقد تحدد هدف البحث بأنه دراسة اتجاهات العاملين بمكاتب تنظيم الاسرة نحو تنظيم النسل لذلك فقد شملت عينة البحث مجموعتين رئيستين : مجموعة أصلية وهم العاملون في هذه المكاتب أى الدعاة الرسميون ،ومجموعة ضابطة وهم من العاملين في ميادين الاتصال

بالجماهير في المحافظات المختلفة • وقد تم تحديد المجموعتين واختبارهم بالطريقة الاتية :

أ - المجموعة الاصلية (الدعاة الرسميون) :

تم تحديد المجتمع الاصل المستهدف في البحث وهم العاملون في جميع مكاتب تنظيم الاسرة في جمهورية مصر العربية • وتم اعداد قائمة تمثل حصرا شاملا لجميع العاملين من حيث عددهم وتخصصاتهم وتوزيعهم حسب الجنس في كل مكتب من المكاتب المذكورة •

ولما تبين لهيئة البحث أن عددهم ليس كبيرا • فقد خطط البحث على أن تشملهم الدراسة جميعا • ولهذا لاتعتبر المجموعة الاصلية عينة بالمعنى المفهوم • اذ هي تكاد تشمل جميع افراد المجتمع الاصل المستهدف في الدراسة •

ولكن عند تطبيق استمارة البحث • وجدت بعض الصعوبات المادية في الوصول الى المحافظات النائية وهي محافظات مرسى مطروح وأسوان والوادى الجديد والبحر الاحمر •لذلك اكتفى بالعاملين في مكاتب تنظيم الاسرة في محافظات القاهرة والجيزة وبنى سويف والفيوم والمنيا واسيوط وسوهاج وقنا والقليوبية الشرقية والدقهلية والغربية والمنوفية ودمياط والبحيرة وكفر الشيخ والاسكندرية وبورسعيد والاسماعيلية والسويس •

وقد بلغ العدد الاجمالي لافراد عينة الدعاة الرسميين ١٠٠ فرد •

ب - المجموعة الضابطة :

اما العينة الضابطة او المكافئة فقد تم اختيارها من بين الدعاة غير الرسميين من نفس المحافظات التى شملتها الدراسة • وقد روعى في اختيارها ان تكون متماثلة في خصائصها الاساسية مع المجموعة الاصلية سواء من حيث التخصص او الجنس • ولهذا

تعتبر العينة الضابطة عينة طبقية تناسبية ، اذ تضمنت عددا من كل تخصص وجنس بنسبة وجوده في العينة الاصلية تقريبا ، وكذلك بنسبة توزيعهم الجغرافي على المحافظات المختلفة ، وقد تم اختيار أفراد كل فئة بطريقة عشوائية وقد بلغ عدد افراد العينة الضابطة ١٠١ فردا .

توزيع افراد العينة وفق التخصص والجنس :

لقد شملت كل من المجموعتين الاصلية والتجريبية خمسة تخصصات رئيسية من الجنسين ، فيما عدا رجال الدين حيث كانوا جميعا من الذكور فقط ، ويمثل الجدول رقم (١) توزيع أفراد المجموعتين وفق التخصص والجنس .

جدول (١)

توزيع افراد المجموعتين وفق التخصص والجنس

التخصص	المجموعة الاصلية			المجموعة الضابطة		
	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع
الاحصائيون	٢٠	٥	٢٥	٢٠	٥	٢٥
الاطباء	٨	٢	١٠	٨	٢	١٠
رجال الدين	١٢	—	١٢	١١	—	١١
الاخصائيون الاجتماعيون	١٢	٩	٢١	٩	١٤	٢٣
الاعلاميون	١٨	١٤	٣٢	١٩	١٣	٣٢
المجموع	٧٠	٣٠	١٠٠	٦٧	٣٤	١٠١

سن أفراد العينة :

تتراوح اعمار أفراد العينة بين ٢٤ و ٦٤ عاما ، بالنسبة للمجموعة الاصلية ، اما المجموعة الضابطة فكانت اعمار افرادها تتراوح بين ٢٣ ، ٦٩ عاما . وقد حسب المتوسط والانحراف المعياري لاعمار افراد كل مجموعة من المجموعتين ، وكذلك حسبت قيمة ت لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطين ، والجدول رقم (٢) يوضح ما توصلنا اليه من نتائج .

جدول (٢)

مقارنة المجموعتين من حيث السن

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد المتوسط الانحرف المعياري	١٠٠ ٣٧٫٦ ١١	١٠١ ٣٦٫٧ ٩٫١	٠٫٦٣٥	غير دالة

يتضح من الجدول السابق ان متوسط اعمار افراد المجموعة الاصلية ٣٧٫٦ عاما والانحراف المعياري ١١٫٠ بينما بلغ متوسط اعمار المجموعة الضابطة ٣٦٫٧ عاما . والانحراف المعياري ٩٫١ . وبحساب قيمة ت لمعرفة دلالة الفروق بين المجموعتين وجد أنها تساوي ٠٫٦٣٥ وهي غير ذات دلالة احصائية ، مما يؤكد عدم وجود فروق جوهرية بين المجموعتين في العمل

الدخل الشهري :

وحينما سأل أفراد المجموعتين عن جملة الدخل الشهري للاسرة المعيشية ، وجد انه يتراوح بين ١٥٫١، ٥٠ جنيه بالنسبة للمجموعة الاصلية ، وبين ١٩ ، ٤٥٠ جنيها بالنسبة للمجموعة الضابطة ، الجدول رقم (٣) يوضح المتوسط والانحراف المعياري للمجموعتين .

جدول (٣)

مقارنة المجموعتين من حيث الدخل

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد المتوسط الانحراف المعيارى	١٠٠ ٨٩٫٠٤ ٤٤٫٧٥	١٠١ ٨٧٫٦٨ ٥٢٫٥٣	٠٫١٩٦	غير دالة

وكما هو واضح من الجدول كان متوسط الدخل الشهرى للاسرة المعيشية لافراد المجموعة الاصلية ٨٩٫٠٤ جنيها ، والانحراف المعيارى ٤٤٫٧٥ ، بينما بلغ متوسط الدخل الشهرى لافراد المجموعة الضابطة ٨٧٫٦٨ جنيها والانحراف المعيارى ٥٢٫٥٣ ، وبحساب قيمة ت وجد انها تساوى ٠٫١٩٦ وهى غير ذات دالة احصائية مما يؤكد عدم وجود فروق جوهرية فى الدخل بين أفراد المجموعتين .

مدة العمل الحالى :

وقد سئل المبحوثون عن المدة التى قضوها فى عملهم الحالى وكان متوسط المدة والانحراف المعيارى بالنسبة للمجموعتين كما هو موضح بالجدول رقم (٤) .

جدول (٤)

مقارنة المجموعتين من حيث مدة العمل الحالى

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد المتوسط الانحراف المعيارى	١٠٠ ٥٫٣٤ ٣٫٤	١٠١ ٧٫٠٧ ٥٫٤	٢٫٦١٥	٠٫٠١

ومن الجدول السابق يتضح أن متوسط المدة التى قضاها أفراد المجموعة الاصلية فى العمل الحالى ٣٤ر٤ عاما بانحراف معيارى قدره ٥ : ٤ر٣ ، بينما كان متوسط المدة التى قضاها افراد المجموعة الضابطة ٠٧ر٧ عاما بانحراف معيارى قدره ٤ر٥ وبحساب قيمة ت لمعرفة دلالة الفرق بين المتوسطين وجد انها تساوى ٦٩٥ر٢ ، وهى ذات دلالة احصائية على مستوى ٠١ر٠

ويعنى هذا ان هناك فروقا جوهرية بين المدة التى قضاها المبحوثون فى العمل الحالى ، حيث كانت مدة المجموعة الضابطة اكبر نسبيا من المجموعة الاصلية ٠

الحالة الاجتماعية :

اما بالنسبة للحالة الاجتماعية للمبحوثين فقد تبين أن ٨٤٪ من أفراد المجموعة الاصلية كانوا متزوجين ١٢٪ لم يسبق لهم الزواج ، ٤ ٪ مطلقين او مطلقات فى مقابل ٧٨٪ متزوجين و ١٦٪ لم يسبق لهم الزواج و ٣٪ ارامل فى المجموعة الضابطة ٠

عدد الاخوة الاحياء :

وقد سئل المبحوثون عن عدد اخوتهم الاحياء لمعرفة حجم العائلات التى ينتمون اليها أو التى نشأوا فيها ، والجدول رقم (٥) يوضح المتوسط والانحراف المعيارى للمجموعتين ٠

جدول (٥)

مقارنة المجموعتين من حيث عدد الاخوة الاحياء

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد	١٠٠	١٠١		
المتوسط	٠٨ر٤	٥٣ر٤	٢٥٢ر١	غير دالة
الانحراف المعيارى	٤٢ر٢	٣ر٣		

وهكذا يتضح أن متوسط عدد الاخوة الاحياء بالنسبة للمجموعة الاصلية ٤٫٠٨ والانحراف المعياري ٢٫٤٢ ، بينما كان متوسط عدد الاخوة الاحياء في المجموعة الضابطة ٤٫٥٣ بانحراف معياري قدره ٢٫٣ بحساب قيمة "ت" وجد انها تساوى ٢٫٢٥٢ وهي غير ذات دلالة احصائية على أى مستوى من مستويات الدلالة المقبولة .

عدد مرات انجاب الوالدة :

اما عن عدد مرات انجاب الوالدة بالنسبة لافراد المجموعتين فالجدول رقم (٦) يوضح المتوسط والانحراف المعياري لهما .

جدول (٦)
مقارنة المجموعتين من حيث عدد مرات انجاب الوالدة

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد المتوسط الانحراف المعياري	١٠٠ ٥٫٨ ٢٫١٥	١٠١ ٥٫٥٤ ٢٫٤٩	٠٫٧٨٦	غير دالة

يتضح من الجدول أن متوسط عدد مرات الانجاب للوالدة بالنسبة للمجموعة الاصلية ٥٫٨ بانحراف معياري قدره ٢٫١٥ ، بينما كان المتوسط بالنسبة للمجموعة الضابطة ٥٫٥٤ بانحراف معياري قدره ٢٫٤٩ وقد بلغت قيمة "ت" ٠٫٧٨٦ ، وهي ذات دلالة احصائية مما يوضح انه لاتوجد فروق جوهرية بين أفراد المجموعتين فيما يتعلق بعدد مرات انجاب الوالدة .

وظيفة الوالدة :

اما فيما يتعلق بوظيفة الوالدة ، فقد وجد أن ٩٨ ٪ بالنسبة للعينة الاصلية لم يكن يعملن فبينما كانت جميع الامهات بالنسبة لافراد العينة الضابطة من غير العاملات ٠

وهكذا يتضح ان المجموعتين : الاصلية (الدعاة الرسميين) والضابطة متماثلتان تقريبا في جميع الخصائص الاساسية ، سواء فيما يتعلق بتوزيعها الجغرافي او توزيع افراد ها بالنسبة للتخصص والجنس او اعمارهم او حالتهم الاجتماعية ٠ كذلك ثبت من البيانات ان المجموعتين متماثلتان فيما يتعلق بمستوى الدخول وحجم اسرهم الاصلية ، وغير ذلك مما يحتمل ان يكون له اثر في اتجاهات افراد ها نحو تنظيم النسل ٠

طريقة معالجة البيانات

بعد جمع البيانات وتفريغها اجريت المقارنات التالية بهدف الاجابة عن الاسئلة الرئيسية للبحث :

١ ـ تمت المقارنة بين الاتجاه العام نحو تنظيم النسل لدى الدعاة الرسميين وبينه لدى الدعاة غير الرسميين ٠

٢ ـ تمت المقارنة بين الدعاة الرسميين والدعاة غير الرسميين في الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل ٠

٣ ـ تمت المقارنة بين الذكور من الدعاة الرسميين والذكور من الدعاة غير الرسميين ، وكذلك بين الاناث في المجموعتين ، وذلك في الاتجاه العام نحو تنظيم النسل ٠

٤ ـ تمت المقارنة بين الدعاة الرسميين والدعاة غير الرسميين في كل تخصص على حدة ، وذلك في الاتجاه العام وكذلك في الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل ٠

٥ — تمت المقارنة بين درجات افراد التخصصات المختلفة من الدعاة الرسميين فى الاتجاه العام نحو تنظيم النسل .

وفى كل الحالات حسب المتوسط والانحراف المعيارى ، واستخدام اختبار " ت " فى صورته المناسبة للمقارنة بين المجموعات .

ويلخص الجزء التالى من التقرير اهم النتائج التى توصل اليها البحث .

النتائج

أولا : المقارنات العامة بين المجموعتين

أولا : من حيث عدد مرات الانجاب والعدد الحالى للابناء والعدد الامثل للابناء :

تمت مقارنة المجموعتين من حيث عدد مرات الانجاب . و يبين الجدول رقم (٧) بيانات هذه المقارنة .

جدول (٧)

مقارنة بين المجموعتين من حيث عدد مرات الانجاب*

المجموعة	المجموعة	قيمة ت	مستوى الدلالة
ن = ٦٦ م = ٢ر٦٦ ع = ٨ر١	ن = ٧٣ م = ٢ر٦٨ ع = ٢	٠ر٨٤٩	غير دالة

وتشير بيانات هذا الجدول الى انه ليس ثمة فروق دالة بين المجموعتين فيما يتعلق بعدد مرات الانجاب . وقد يبدو للوهلة الاولى

* اختلاف قيمة ن فى هذا الجدول وكذلك فى الجدول التالى ترجع الى انها قاصرة على المتزوجين فقط .

ان ذلك يعنى انه لافرق بين المجموعتين من حيث السلوك العملى فى مجال تنظيم الاسرة، الا ان ثمة تحفظ فى هذا الصدد • فالملاحظ من بيانات الجدول السابق ان متوسط عدد مرات الانجاب يتراوح بين مرتين وثلاث مرات ولو اضفنا الى ذلك ماتشير اليه بيانات الجدول رقم (٢) الخاص بمقارنة المجموعتين من حيث عمر الافراد من أن العمر يدور حول السابعة والثلاثين تقريبا وان الفروق بين المجموعتين فى هذا الصدد غير دالة لامكننا ان نقرر ان عدد مرات الانجاب فى هذه الحدود لايعد مؤشرا على تنظيم اوعدم تنظيم الاسرة على مستوى السلوك العملى حيث أن الافراد مازالوا فى مقتبل العمر نسبيا •

ويتأكد هذا التحفظ اذا ما نظرنا الى الجدول رقم (٨) الذى يضم مقارنة المجموعتين من حيث العدد الحالى للابناء حيث يتضح انه لافرق بين المجموعتين فيما يتعلق بالعدد الحالى للابناء•

جدول (٨)

مقارنة بين المجموعتين من حيث العدد الحالى للابناء •

المجموعة	المجموعة	قيمة ت	مستوى الدلالة
ن = ٦٥ م = ٣٨ر٢ ع = ٥ر١	ن = ٦٥ م = ٨٣ر٢ ع = ١ر٢	٣٩٩٢ر١	غير دالة

كذلك فقد تمت مقارنة المجموعتين ايضا من حيث العدد الامثل للابناء• ويتضح من الجدول (٩) الذى تضمن بيانات هذه المقارنة ان هذا العدد الامثل قد تراوح بين طفلين وثلاثة أطفال وهو بالفعل العدد الذى تطرحة اجهزة الدعوة لتنظيم الاسرة • وتشير البيانات ايضا الى ان المقارنة لم تسفر عن وجود فرق دال بين المجموعتين فى هذا الصدد •

جدول (٩)

مقارنة المجموعتين من حيث العدد الامثل للابناء

المجموعة الضابطة	المجموعة الاصلية	قيمة ت	مستوى الدلالة
ن = ٩٤ م = ٢٫٦١ ع = ١٫٠٩	ن = ٨٦ م = ٢٫٤٧ ع = ٠٫٧	١٫٠٨٥٣	غير دالة

ثانيا : مقارنة المجموعتين من حيث الاتجاه نحو تنظيم الاسرة :

تشير بيانات الجدول (١٠) الى أن أفراد مجموعة الدعاة الرسميين اكثر ايجابية في اتجاههم نحو تنظيم الاسرة من أقرانهم أفراد مجموعة الدعاة الرسميين

جدول (١٠)

مقارنة المجموعتين من حيث الاتجاه نحو تنظيم الاسرة

المجموعة الضابطة	المجموعة الاصلية	قيمة ت	مستوى الدلالة
ن = ١٠١ م = ١٤٩٫٥ ع = ٢٠٫٩٧	ن = ١٠٠ م = ١٥٦٫٥٢ ع = ١٧٫٨٣	٢٫٥٤	٠٫٠٢

يتضح من بيانات الجدول السابق ان الدعاة الرسميين يبدون اتجاها اكثر ايجابية تجاه تنظيم الاسرة عن الدعاة غير الرسميين • ونظرا لانه لا فرق جوهري بين المجموعتين من حيث السن وطبيعة التخصص

* تمت قسمة المقياس الى اسئلة مباشرة (١٤ سؤالا) واسئلة غير مباشرة وفقا لتقديرات اعضاء هيئة البحث كمحكمين •

العلمي والدخل .. الى اخره من العوامل التي يحتمل ان توثر في احداث مثل هذا الفرق الدال . بل ان مدة عمل المجموعة الضابطة تفوق مدة عمل المجموعة الاصلية (الجدول ٤) بفارق دال واذا ماكانت طبيعة الاشتغال بمهنة تخصصية معينة هي التي تحدد ايجابية اوعدم ايجابية الاتجاه نحو تنظيم الاسرة لكان المتوقع ان يكون الفرق الذى اسفر عن الجدول السابق (١٠) في صالح المجموعة الضابطة اما وقد حدث العكس فالامر يرجع في الاغلب الى تأثير الدور الرسمي الذى يمارسه الفرد على تشكيل الاتجاه وكذلك الى التأثر الذاتي للداعية الرسمي بنوعية الدعاية التي يمارسها بحكم زيادة حجم تعرضه لها .

وقد تأكد هذا الاستنتاج عن مقارنة المجموعتين بالنسبة لاستجابة كل منهما لما تضمنه المقياس من اسئلة مباشرة حيث اتضح من بيانات الجدول (١١) انه لافرق جوهري بين أفراد المجموعتين في هذا الصدد . وذلك يعني ان الفرق الجوهري الذى سبق التوصل اليه انما يرجع اساسا الى مجموعة الاسئلة غير المباشرة الى تضمنها المقياس . وعلى اى حال فقد كانت تلك هي النتيجة المتوقعة فالسوءال المباشر يستدعي عادة اجابة واعية قد لاتعبر عن حقيقة اتجاه الفرد بقدر تعبيرها عن تصوره للموقف المطلوب اجتماعيا .

جدول رقم (١١)
مقارنة المجموعتين من حيث الاستجابة للاسئلة المباشرة في المقياس

المجموعة الضابطة	المجموعة الاصلية	قيمة ت	مستوى الدلالة
ن = ١٠٠ م = ٥٩٫٤٤ ع = ٨٫٠٥	ن = ١٠١ م = ٥٧٫٣٠٣ ع = ٨٫٥٥	١٫٨١٤	غير دالة

ثانيا : المقارنات الداخلية بين المجموعتين

هل تختلف الفروق باختلاف الجنس ؟

لقد تبين من المقارنة بين المجموعة الاصلية والمجموعة الضابطة في الاتجاه العام نحو تنظيم النسل ، وجود فروق جوهرية بين المجموعتين حيث كان الاتجاه لدى العاملين بمكاتب تنظيم الاسرة اقوى من العينة المماثلة من غير العاملين في هذه المكاتب .

ولكن اى الجنسين يعد مسئولا عن هذا الفرق ؟ بعبارة أخرى ، هل يرجع هذا الفرق الى مجموعة العاملين في المكاتب من الذكور ؟ أم يرجع الى الاناث ؟

للاجابة على هذا السؤال ، تمت المقارنة بين الذكور من المجموعة الاصلية والذكور من المجموعة الضابطة في الاتجاه العام نحو تنظيم النسل ، وكذلك تمت المقارنة ايضا بين الاناث في المجموعتين .

أ - المقارنة بين الذكور في المجموعتين :

يوضح الجدول رقم (١٢) متوسط درجات الذكور في كل مجموعة من مجموعتي العينة (الاصلية والضابطة) وكذلك الانحراف المعياري وقيمة " ت " للفرق بين المتوسطين .

جدول (١٢)

مقارنة الذكور في المجموعتين من حيث الاتجاه نحو تنظيم الاسرة

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد المتوسط الانحراف المعياري	٧٠ ١٥٢ر٤٧ ١٨ر٠٦	٦٧ ١٤٦ر٨٤ ٢٢ر١٩	١ر٦٢٠	غير دالة

يتضح من الجدول السابق ان متوسط درجات الذكور في الاتجاه العام نحو تنظيم النسل بلغ في المجموعة الاصلية (العاملين بمكاتب تنظيم الاسرة) ١٥٢ر٤٧ بانحراف معيارى قدره ١٨ر٠٦ بينما بلغ في المجموعة الضابطة ١٤٦ر٨٤ بانحراف معيارى قدره ٢٢ر١٩ .

وبحساب قيمة ت لمعرفة مدى دلالة الفرق بين المتوسطين وجد انها تساوى ١ر٢٦٢٠ . وبالكشف في جداول الدلالة الاحصائية تبين انها غير ذات دلالة احصائية .

ويعنى هذا انه لاتوجد فروق جوهرية في الاتجاه نحو تنظيم النسل بين الذكور العاملين في مكاتب تنظيم الاسرة والذكور الذين يعملون في اماكن اخرى .

ب — المقارنة بين الاناث في المجموعتين :

كذلك تمت المقارنة بين درجات الاناث في المجموعتين الاصلية والضابطة ،ويوضح الجدول رقم (١٣) المتوسط والانحراف المعيارى لدرجات الاناث في كل من المجموعتين .

جدول (١٣)

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد	٣٠	٣٤		
المتوسط	١٦٥ر٩٧	١٥٤ر٧٤	٢ر٨٧٦	٠ر٠١
الانحراف المعيارى	١٢ر٩٥	١٧ر١٩		

يتضح من الجدول ان متوسط درجات الاناث في الاتجاه العام نحو تنظيم النسل بلغ في المجموعة الاصلية (اى العاملات بمكاتب تنظيم الاسرة) ١٦٥ر٩٧ بانحراف معيارى قدره ١٢ر٩٥ ، بينما بلغ في المجموعة الضابطة ١٥٤ر٧٤ ، بانحراف معيارى قدره ١٧ر١٩ .

وبحساب قيمة " ت " للفرق بين المتوسطين وجد انها تساوى ٢٫٨٧٦ ، وهى ذات دلالة احصائية على مستوى ٠٫٠١ مما يقطع بوجود فروق جوهرية فى شدة الاتجاه نحو تنظيم النسل بين الاناث العاملات فى مكاتب تنظيم الاسرة والاناث المماثلات ولكن غير العاملات فى المكاتب . وتعنى هذه النتيجة أن الفرق بين المجموعة الاصلية (الدعاة الرسميين) والمجموعة الضابطة فى الاتجاه نحو تنظيم النسل ، والذى تبين لنا عند معالجة الفروق بين المجموعتين بصفة عامة ، يرجع اساسا الى شدة الاتجاه نحو تنظيم النسل لدى الاناث من المجموعة الاصلية حيث يفوق بدرجة ذات دلالة الاتجاه لدى الاناث من المجموعة الضابطة .

وللتأكيد من هذه النتيجة ، تمت مقارنة اخرى بين الذكور والاناث فى الاتجاه العام ، وذلك فى كل مجموعة من مجموعتى العينة على حدة :

جـ — <u>المقارنة بين الذكور والاناث فى المجموعة الاصلية</u> :

تمت المقارنة بين درجات الذكور والاناث فى الاتجاه نحو تنظيم النسل فى المجموعة الاصلية ويوضح الجدول رقم (١٤) نتائج المقارنة .

جدول (١٤)

المقارنة بين الجنسين فى المجموعة الاصلية من حيث الاتجاه نحو تنظيم الاسرة

	المجموعة الاصلية ذ	المجموعة الضابطة أ	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد المتوسط الانحراف المعيارى	٧٠ ١٥٢٫٤٧ ١٨٫٠٦	٣٠ ١٦٥٫٩٧ ١٢٫٩٥	٣٫٦٧٤	٠٫٠١

ويتضح من الجدول السابق ان متوسط الدرجات الكلية لـــدى الذكور يبلغ ١٥٢ر٤٧ بانحراف معيارى قدره ١٨ر٠٦ ، بينما بلغ متوسط درجات الاناث ١٦٥ر٩٧ بانحراف معيارى قدره ١٢ر٩٥ وحساب قيمة "ت" وجد انها تساوى ٣ر٦٧٤ ، وهى ذات دلالة على مستوى ٠١ر٠

وتعنى هذه النتيجة انه توجد فروق جوهرية فى شدة الاتجاه نحو تنظيم النسل بين الذكور والاناث من العاملين فى مكاتب تنظيم الاسره حيث ان شدة الاتجاه لدى الاناث اكبر منها لدى الذكور.

د ـ المقارنة بين الذكور والاناث فى المجموعة الضابطة:

أما عن المقارنة بين الذكور والاناث فى المجموعة الضابطة (غير العاملين فى مكاتب تنظيم الاسرة) فيلخصها الجدول (١٥) .

جدول (١٥)
المقارنة بين الجنسين فى المجموعة الضابطة
من حيث الاتجاه نحو تنظيم الاسرة

	الذكور	الاناث	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد المتوسط الانحراف المعيارى	٦٧ ١٤٦ر٨٤ ٢٢ر١٩	٣٤ ١٥٤ر٧٤ ١٧ر١٩	١ر٧٩٧	غيردالة

ويتضح من الجدول أن متوسط درجات الذكور من المجموعة الضابطة يبلغ ١٤٦ر٨٤ بانحراف معيارى قدره ٢٢ر١٩ ، بينما بلغ متوسط درجات الاناث ١٥٤ر٧٤ بانحراف معيارى ١٧ر١٩ . وحساب قيمة "ت" وجد انها تساوى ١ر٧٩٧ ، وهى غير ذات دلالة احصائية ، مما يشير الى أنه لاتوجد فروق جوهرية فى شدة الاتجاه نحو تنظيم النسل بين الذكور والاناث من غير العاملين فى مكاتب تنظيم الاسرة .

وهكذا يتضح من هذه المقارنات بين الذكور والاناث في كل من المجموعتين الاصلية والضابطة تفوق الاناث على الذكور في المجموعتين الاصلية والضابطة . على أن الفروق لم تكن دالة الا في حالة الاناث العاملات في مكاتب تنظيم الاسرة ، مايعني ان الفرق في الاتجاه نحو تنظيم النسل بين الدعاة الرسميين والدعاة غير الرسميين يرجع بشكل اساسي الى تفوق الاناث من الدعاة الرسميين في قوة الاتجاه نحو تنظيم النسل على المجموعات الفرعية الاخرى . وربما يكون تفوق الاناث بصفة عامة راجعا الى أن المرأة قد تكون اكثر ادراكا باهمية تنظيم النسل من الذكور. وذلك أن مسئولية تربية الاطفال ورعايتهم لا زالت تقع بالدرجة الاولى على عاتق المرأة ، خاصة في سنوات طفولتهم الاولى ، مما يجعلها اكثر وعيا بما يثيره عدم التنظيم من مشكلات للاسرة .

على انه يجب ان نعي ان هذه النتيجة لا يمكن تعميمها على المجتمع ككل ، وانما تكاد تكون قاصرة على فئة محدودة من الاناث العاملات ، واللائي بلغن مستوى معينا من التعليم ، اذ ان جميع افراد العينة من الحاصلات على مؤهلات عالية .

اما بالنسبة لتفوق الاناث العاملات بمكاتب تنظيم الاسرة عن الاناث من الدعاة غير الرسميين في قوة الاتجاه نحو تنظيم النسل ، وعن الذكور من المجموعتين الاصلية والضابطة ، فيمكن تفسيره باضافة عنصر آخر ، وهو تأثير الدور الفارق على الذكور والاناث . والواقع ان هذا مجرد افتراض لا زال في حاجة الى دراسات اكثر تعمقا . ان ما لاحظناه من فرق دال في صالح الاناث من المجموعة الاصلية يشير الى احتمال ان يكون تأثير الدور الاجتماعي على شخصية الاناث واتجاهاتهن اكبر من تأثيره على شخصية الذكور واتجاهاتهم . ومن هنا كان اتجاه الاناث العاملات بمكاتب تنظيم الاسرة أقوى من اتجاه الذكور العاملين بنفس هذه المكاتب .

هل تختلف الفروق باختلاف التخصص ؟

أولا : الفروق فى الاتجاه العام :

ولكن هل تختلف الفروق فى الاتجاه بين الدعاة الرسميين وغير الرسميين باختلاف التخصص ؟

للاجابة على هذا السؤال تمت المقارنة بين الدعاة الرسميين وغير الرسميين فى كل تخصص على حدة . وفيما يلى اهم ما توصلنا اليه من نتائج .

أ — الاخصائيون الاحصائيون :

يوضح الجدول رقم (١٦) المتوسط والانحراف المعيارى لمجموعة الاخصائيين الاحصائيين فى كل من المجموعتين الاصلية والضابطة وكذلك قيمة ت للفرق بين المتوسطين .

جدول (١٦)

المقارنة بين الاخصائيين الاحصائيين فى المجموعتين من حيث الاتجاه نحو تنظيم الاسرة

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد	٢٥	٢٥		
المتوسط	١٥٦ر٥٦	١٤٩ر٧٢	١ر٤٦٣	غير دالة
الانحراف المعيارى	١٤ر٨٨	١٧ر٤١		

ويتضح من الجدول أن متوسط الدرجات الكلية للاحصائيين من الدعاة الرسميين يبلغ ١٥٦ر٥٦ بانحراف معيارى قدره ١٤ر٨٨ بينما تبلغ متوسط درجات الاخصائيين الغير الرسميين ١٤٩ر٧٢ بانحراف

معيارى قدره ١٧٫٤١ر١٧ • وبحساب قيمة " ت " للفرق بين المتوسطين وجد انها تساوى ١٫٤٦٣ ، وهى غير ذات دلالة احصائية على اى مستوى من مستويات الدلالة المقبولة •

ويعنى هذا بعبارة اخرى ، انه لاتوجد فروق جوهرية الاحصائيين من الدعاة الرسميين والاحصائيين غير الرسميين فى الاتجاه العام نحو تنظيم النسل •

ب — الاطباء :

كذلك تمت المقارنة بين الدرجات الكلية للاطباء من الدعاة الرسميين ودرجات اقرانهم من الدعاة غير الرسميين • ويوضح الجدول رقم (١٧) ملخصا لما توصلنا اليه من نتائج •

جدول (١٧)

المقارنة بين الاطباء فى المجموعتين من حيث الاتجاه نحو تنظيم الاسرة

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد	١٠	١٠		
المتوسط	١٥٣٫٥	١٤٤٫٧	٠٫٩٦٦	غير دالة
الانحراف المعيارى	١٦٫٨١	٣١٫٥٤		

كما هو واضح من الجدول بلغ متوسط الدرجات الكلية لاطباء المجموعة الاصلية ١٥٣٫٥ بانحراف معيارى قدره ١٦٫٨١ ، فى حين بلغ متوسط درجات الاطباء من الدعاة غير الرسميين ١٤٤٫٧ بانحراف معيارى قدره ٣١٫٥٤ • وبحساب قيمة " ت " وجد انها تساوى ٩٦٦ر وهى غير ذات دلالة احصائية ، مما يدل على ان الفرق الملاحظ بين المتوسطين ليس فرقا جوهريا •

جـ — رجال الدين :

اما بالنسبة للفروق فى الاتجاه بين رجال الدين من المجموعتين الاصلية والضابطة ، فقد حسب المتوسط والانحراف المعيارى لكل منهما ، والجدول رقم (١٨) يلخص ماتوصلنا اليه من نتائج .

جدول (١٨)

المقارنة بين رجال الدين فى المجموعتين من حيث الاتجاه نحو تنظيم الاسرة

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد	١٢	١١		
المتوسط	١٤٩٫٧٥	١٢٤٫٠٩	٢٫٦٨٦	٠٫٠٢
الانحراف المعيارى	١٨٫١٨	٢٥٫٢٤		

يتضح من الجدول ان متوسط الدرجات الكلية لرجال الدين من الدعاة الرسميين بلغ ١٤٩٫٧٥ بانحراف معيارى قدره ١٨٫١٨ ، بينما يبلغ متوسط درجات اقرانهم من الدعاة غير الرسميين ١٢٤٫٠٩ بانحراف معيارى قدره ٢٥٫٢٤ .

وبحساب " ت " لمعرفة مدى دلالة الفرق بين المتوسطين وجد انها تساوى ٢٫٦٨٦ ، وبالكشف فى جداول الدلالة الاحصائية وجد انها دالة على مستوى ٠٫٠٢

ويعنى هذا انه توجد فروق جوهرية فى شدة الاتجاه نحو تنظيم النسل بين رجال الدين من الدعاة الرسميين واقرانهم من الدعاة غير الرسميين .

د — **الاخصائيون الاجتماعيــون :**

يوضح الجدول رقم (١٩) ما توصلنا اليه من نتائـج فيما يتعلق بالمقارنة بين الاخصائيين الاجتماعيين الرسميين وغير الرسمييـن ٠

جدول (١٩)

المقارنة بين الاخصائيين الاجتماعيين فى المجموعتين من حيث الاتجاه نحو تنظيم الاســره

	المجموعه الاصليـة	المجموعه الضابطـه	قيمـة ت	مستـوى الدلالـه
عـدد الافـراد	٢١	٢٣		
المتوسـط	١٥٩٫٩	١٥٣٫٤٣	١٫٢٢٣	غير داله
الانحراف المعيارى	١٧٫٦٣	١٦٫٦٧		

يوضح الجدول السابق ان متوسط درجات الاخصائيين الاجتماعيين من الدعاة الرسميين بلغ ١٥٩٫٩ بانحراف معيارى ١٧٫٦٣ فى الوقـت الذى بلغ فيه متوسط درجات الاخصائيين الاجتماعيين من الدعاة غيــر الرسميين ١٥٣٫٤٣ بانحراف معيارى قدره ١٦٫٦٧ ٠ اما قيمـة "ت" للفرق بين المتوسطين بلغت ١٫٢٢٣ ٠ وبالكشف فى جداول الدلالــة الاحصائية تبين انها غير ذات دلالة احصائية و يعنى ، بعبارة اخرى ، ان الفرق بين المتوسطين لايمكن ان يعتبر فرقا جوهريا فى شدة الاتجاه نحو تنظيم النسل لدى المجموعتين الاخصائيين الاجتماعيين ٠

هـ — **الاخصائيون الاعلاميـون :**

واخيرا تمت المقارنة بين درجات الاخصائييــن الاعلاميين من الدعاة الرسميين واقرانهم مـن الدعــاة غير الرسميين ، ويوضح الجدول رقم (٢٠) نتائج المقارنة٠

جدول (٢٠)

مقارنة الاخصائيين الاعلاميين في المجموعتين
من حيث الاتجاه نحو تنظيم الاسره

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد	٣٢	٣٢		
المتوسط	١٥٧ر٧٥	١٥٦ر٥٣	٠ر٢٦٤	غير دالة
الانحراف المعياري	١٩ر٢٨	١٧ر١٤		

يتضح من الجدول ان متوسط درجات الاخصائيين الاعلاميين من الدعاة الرسميين يبلغ ١٥٧ر٧٥ بانحراف معيارى قدره ١٩ر٢٨ ، في مقابل متوسط قدره ١٥٦ر٥٣ بانحراف معيارى ١٧ر١٤ للاخصائيين الاعلاميين من الدعاة غير الرسميين •

وبحساب قيمة " ت " للفرق بين المتوسطين وجد انها تساوى ٠ر٢٦٣ وهي غير ذات دلالة احصائية ، مما يعني انه لاتوجد فروق جوهرية في شدة الاتجاه نحو تنظيم النسل بين الاخصائيين الاعلاميين من الدعاة الرسميين والدعاة غير الرسميين •

ومن هذه المقارنات بين الدعاة الرسميين والدعاة غير الرسميين في كل تخصص على حدة ، ويتضح لنا ان الفرق الوحيد الدال يوجد لدى رجال الدين ، حيث كانت درجات الدعاة الرسميين منهم اعلى من درجات اقرانهم من الدعاة غير الرسميين ، مما يدل على ان اتجاههم نحو تنظيم النسل اقوى منه عند زملائهم من المجموعة الضابطة•

اما بالنسبة لسائر التخصصات الباقية وتشكيل الاطباء الاخصائيين الاحصائيين والاخصائيين الاجتماعيين والاخصائيين الاعلاميين فلم تكشف البيانات عن فروق دالة في الاتجاه العام نحو تنظيم النسل بين الدعاة الرسميين والدعاة غير الرسميين منهم•

ثانيا : **الفروق في الاتجـاه المباشر :**

وللتأكد مما توصلنا اليه من نتائج فيما يتعلق بالفروق فـــى الاتجاه العام نحو تنظيم النسل بين الدعاة الرسميين والدعـاة غير الرسميين فى كل تخصص على حدة فقط اجريت مقارنات اخـرى بين أفراد كل تخصص على حدة ايضا فى الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل (يضم ١٤ بندا) وفيما يلى اهم النتائج :

أ — **الاخصائيون الاحصائيـون :**

يوضح الجدول رقم (٢١) المتوسط والانحـــراف المعيارى للاخصائيين الاحصائيين من الدعاة الرسميـــين وغير الرسميين لدرجات الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل •

جدول (٢١)

المقارنة بين الاخصائيين الاحصائيين فـــى المجموعتين من حيث الاستجابة للاسئلة المباشرة فى المقياس

	المجموعة الاصليـة	المجموعة الضابطـة	قيمـة ت	مستـوى الدلالـة
عدد الافـــراد المتوسـط الانحراف المعيارى	٢٥ ٤٨ر٦٠ ٤٤ر٦	٢٥ ٨٨ر٥٦ ٦٧ر٦	٩٠٢ر١	غير دالة

من الجدول يتضح ان متوسط درجات الاحصائيين من الدعـاة الرسميين فى الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل بلغ ٤٨ر٦٠ بانحـــراف معيارى قدره ٨٨ر٥٦ وبانحراف معيارى ٦٧ر٦ فى المجموعة المقابلـــة من الدعاة غير الرسميين • وقد حسبت قيمة " ت " وتبين انها تسـاوى ٩٠٢ر١ • وهى غير ذات دلالة احصائية على اى مستوى من مستويـــات الدلالة المقبولة• ويعنى هذا انه لاتوجد فروق فى الاتجاه المباشر نحـــو تنظيم النسل بين الاحصائيين من المجموعتين الرسميةوغيرالرسمية من الدعاة•

ب ـ الاطبـــاء :

كذلك تمت المقارنة بين درجات الاطباء من الدعاة الرسميين في الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل بدرجات زملائهم من الدعاة غير الرسميين ويوضح الجدول رقم (٢٢) هذه النتائج .

جدول (٢٢)

المقارنة بين الاطباء في المجموعتين من حيث الاستجابة للاسئلة المباشرة في المقياس

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد	١٠	١٠		
المتوسط	٥٧ر٤	٥٥ر٣	٠ر٥٤٣	غيردالة
الانحراف المعياري	٧ر٣٥	٨ر٩٢		

يتضح من الجدول أن متوسط درجات الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل لدى الاطباء من الدعاة الرسميين ٥٧ر٤ والانحراف المعياري يبلغ ٧ر٣٥ بينما بلغ متوسط درجات الاطباء من الدعاة غير الرسميين ٥٥ر٣ والانحراف المعياري ٨ر٩٢ وقد حسبت " ت " للفرق بين المتوسطين ووجد انها تساوى ٠ر٥٤٣ وهي غير ذات دلالة احصائية .

وتدل هذه النتيجة على انه لاتوجد فروق جوهرية في الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل بين الاطباء من الدعاة الرسميين وزملائهم من الدعاة غير الرسميين .

جـ ـ رجال الديـــن :

كذلك اجريت المقارنة بين د رجات رجال الدين مـن الدعاة الرسميين ود رجات اقرانهم ن الدعاة غير الرسميين في الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل ، ويوضح الجدول رقم (٢٣) : المتوسط والانحراف المعياري للمجموعتين ، وكذلك قيمة " ت " للفرق بين المتوسطين :

جدول (٢٣)

المقارنة بين رجال الدين في المجموعتين من حيث الاستجابة للاسئلة المباشرة في المقياس

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلالة
عدد الافراد	١٢	١١		
المتوسط	٥٨٫٦١	٤٨٫٠٩	٢٫٧٤٣	٠٫٠٢
الانحراف المعياري	٨٫١٤	٩٫٥٥		

كما هو واضح من الجدول يتضح ان متوسط د رجات رجال الديـن من الدعاة الرسميين في الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل بلغ ٥٨٫٦١ ، والانحراف المعياري قدره ٨٫١٤ ، بينما يلغ متوسط د رجات اقرانهم مـن الدعاة غير الرسميين ٤٨٫٠٩ والانحراف المعياري ٩٫٥٥ .

وحساب " ت " وجد انها تساوي ٢٫٧٤٣ ، وبالكشف فـي جدول الدلالة الاحصائية تبين انها ذات دلالة احصائية على مستوى ٠٫٠٢

ويعني هذا بعبارة أخرى ، ان النتائج توضح انه توجد فـروق جوهرية في الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل بين رجال الدين من الدعاة الرسميين واقرانهم من الدعاة غير الرسميين .

د — الاخصائيـون الاجتماعيـون :

يوضح الجدول رقم ٢٤ المتوسط والانحراف المعيارى لدرجات الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل لدى الاخصائيين الاجتماعيين لكل من المجموعتين الاصلية والضابطه.

جدول (٢٤)

المقارنة بين الاخصائيين الاجتماعيين فى المجموعتين من حيث الاستجابة للاسئلة المباشرة فى المقياس

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلاله
عدد الافراد	٢١	٢٣		
المتوسط	١٤ر٥٩	٨٦ر٥٩	٣٢٣ر٠	غيردالة
الانحراف المعيارى	٤٤ر٧	٩٥ر٧		

يتضح من الجدول انه لايكاد يوجد فرق بين درجات الاخصائيين الاجتماعيين من المجموعتين ، فقد بلغ متوسط درجاتهم فى المجموعة الاصلية ١٤ر٥٩ والانحراف المعيارى ٤٤ر٧ كذلك كان متوسط درجاتهم فى المجموعة الضابطة ٨٦ر٥٩ والانحراف المعيارى ٩٥ر٧.

وبحساب قيمة " ت " وجد انها تساوى ٣٢٣ر٠ وهى غير ذات دلالة احصائية .

ومعنى هذا عدم فروق فى الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل بين الاخصائيين الاجتماعيين من الدعاة الرسميين واقرانهم من الدعاة غير الرسميين .

هـ ـ الاخصائيون الاعلاميـــون :

واخيرا تمت المقارنة بين درجات الاتجاه المباشر ونحو تنظيم النسل لدى الاخصائيين الاعلاميين من المجموعـــة الاصلية واقرانهم من المجموعة الضابطة ، ويوضح الجـــدول رقم (٢٥) النتائج .

جدول (٢٥)
المقارنة بين الاخصائيين الاعلاميين من حيـــث
الاستجابة للاسئلة المباشرة من المقياس

	المجموعة الاصلية	المجموعة الضابطة	قيمة ت	مستوى الدلاله
عدد الافـــراد المتوســـط الانحراف المعيارى	٣٢ ٥٩,٧٨ ٩,٤٢	٣٢ ٥٩,٥٩ ٩,٠٥	٠,٠٨١	غيردالة

وكما هو واضح من الجدول لايكاد يوجد فرق فى الاتجاه بيـــن المجموعتين اذ نجد أن متوسط درجات الاخصائيين الاعلاميين من الدعـاة الرسميين بلغ ٥٩,٧٨ والانحراف المعيارى ٦,٤٢ . كذلك بلغ متوســـط زملائهم من الدعاة غير الرسميين ٥٩,٥٩ ، والانحراف المعيارى ٩,٠٥ .

وقد بلغت قيمة " ت " للفرق بين المتوسطين ٠,٠٨١ وهى غيـر ذات دلالة احصائية ، مما يدل على عدم وجود فروق جوهرية فى الاتجـا ه المباشر نحو التنظيم النسل بين الاخصائيين الاعلاميين من الدعـــا ة الرسميين واقرانهم من الدعاة غيرالرسميين .

وهكذا تؤكد نتائج المقارنات فى الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل بين الدعاة الرسميين والدعاة غير الرسميين فى كل تخصص على حدة نفس النتيجة التى توصلنا اليها من قبل عند المقارنة فى الاتجاه العام • فكما أشرنا سابقا كان الفرق الوحيد الدال فى الاتجاه العام يوجد لدى رجال الدين ، اذ تفوق الدعاة الرسميون منهم على زملائهم من الدعاة غير الرسميين •

وكذلك كانت نتائج المقارنات فى الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل • ففى الوقت الذى كانت فيه الفروق بين الدعاة الرسميين والدعاة غير الرسميين غير ذات دلالة احصائية فى جميع التخصصات الاخرى نجد ان الفرق بين درجات الاتجاه المباشر نحو تنظيم النسل لدى رجال الدين كان فرقا جوهريا وذا دلالة احصائية على مستوى ٠٢ر٠ ، حيث كانت درجات رجال الدين من الدعاة الرسميين اعلى من درجات زملائهم من الدعاة غير الرسميين •

ولا تعنى هذه النتيجة بطبيعة الحال ، ان رجال الدين من الدعاة الرسميين يتفوقون على غيرهم من الدعاة الرسميين ذوى التخصصات المهنية الاخرى فى شدة الاتجاه نحو تنظيم النسل ، ذلك أن متوسط درجاتهم كان باستمرار اقل من الاخرين ، على الرغم من ان الفروق لم تكن دالة احصائيا وانما ترجع هذه النتيجة الدالة بالنسبة لرجال الدين الى حقيقة ان متوسط درجات الدعاة غير الرسميين منهم كان اقل بكثير من متوسطات درجات الدعاة غير الرسميين ذوى التخصصات المهنية •

وليست هذه النتيجة بمفاجأة ، فمن المعروف ان رجال الدين بصفة عامة اكثر مقاومة لتنظيم النسل من ذوى التخصصات المهنية الاخرى ، او هم على الاقل اشد محافظة فى ذلك • وهذا هو ماظهر واضحا فى استجابات رجال الدين من الدعاة غير الرسميين على بنود مقياس الاتجاهات •

أما بالنسبة لرجال الدين من الدعاة الرسميين ، فيمكن تفسير التغير الذى طرأ على اتجاههم نحو تنظيم النسل ، وهو ما ميزهم

بشكل دال عن زملائهم من الدعاة غير الرسميين ، يمكن تفسير هذا الارتفاع في قوة الاتجاه الى تأثير الدور الذى يؤدونه على شخصياتهم بصفة عامة ، واتجاههم نحو تنظيم النسل بشكل خاص • فمن المعروف أن الادوار الاجتماعية والشخصيات التى تؤديها ذات تفاعل متبادل بينهما ، تأثير وتأثر • فشخصية الفرد وسماتها المختلفة وامكانياتها العقلية المعروفة تؤثر فى أدائه لدورة واتقانه لوظيفته الاجتماعية والعكس صحيح ايضا ، اذ تترك الادوار الاجتماعية بصماتها على شخصيات القائمين بها ، والشخصية فى حقيقة امرها هى تكامل لجميع الادوار التى لعبتها •

ومن هنا كان منطقيا ان نرى اثر الدور اوضح على اتجاه رجال الدين من الدعاة الرسميين نحو تنظيم النسل • فهم فى الاصل اكثر محافظة من غيرهم من اصحاب المهن الاخرى خاصة فى مثل هذه الامور التى تتصل بالدين من قريب أو بعيد •

فلما اوكل اليهم شأن الدعوة الى تنظيم النسل ، كان لهذا الدور اثره الواضح فى تعديل اتجاههم • اما اصحاب المهن الاخرى فلم تظهر اثر ذلك واضحا فى اتجاههم ، بسبب انهم كانوا منذ البداية ، وبحكم ثقافتهم المهنية اكثر تحررا فى النظر الى هذه الامور ، وبالتالى كان اتجاههم ايجابيا نحو تنظيم النسل •

هل تختلف اتجاهات الدعاة الرسميين باختلاف تخصصاتهم المهنية :

للاجابة على هذا السؤال تمت المقارنة بين درجات أفراد كل تخصص على حدة ودرجات أفراد التخصصات الاخرى من مجموعة الدعاة الرسميين ، وذلك فيما يتعلق بالاتجاه العام نحو تنظيم النسل •

ويوضح الجدول رقم (٢٦) خلاصة نتائج هذه المقارنات •

جدول رقم (٢٦)

قيم (ت) للفروق بين متوسطات درجات المجموعات المهنية المختلفة من الدعاة الرسميين

التخصص	عدد الافراد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة " ت "			
				الاطباء	رجال الدين	اجتماعيون	اعلاميون
الاحصائيون	٢٥	١٥ر٥٦	١٤ر٨٨	٠ر١٥	١ر١٧٨	٠ر٥٠٤	٠ر٢٥١
الاطبــــاء	١٠	١٥ر٥٠	١٦ر٨١	—	٠ر٤٧٥	٠ر٩٢٨	٠ر٦٠٧
رجال الدين	١٢	١٤ر٧٥	١٨ر١٨	—	—	١ر٥٢٥	١ر٢١٨
الاجتماعيون	٢١	١٥ر٩٠	١٧ر٦٣	—	—	—	٠ر٤٠٣
الاعلاميون	٣٢	١٥ر٧٥	١٩ر٢٨	—	—	—	—

ويتضح من الجدول السابق مايلى :

١) بلغت قيمة " ت " للفرق بين متوسطى الاخصائيين الاحصائيين والاطباء ١٥ر٠ وهى غير ذات دلالة احصائية ، مما يدل على عدم وجود فروق جوهرية فى الاتجاه نحو تنظيم النسل بينهما .

٢) بلغت قيمة " ت " للفرق بين متوسطى درجات الاخصائيين الاحصائيين ورجال الدين ١٧٨ر١ ، وهى غير ذات دلالة احصائية مما يدل على عدم وجود فروق جوهرية فى الاتجاه بينهما .

٣) بلغت قيمة " ت " للفرق بين متوسطى درجات الاخصائيين الاحصائيين والاخصائيين الاجتماعيين ٥٠٤ر٠ ، هى غير ذات دلالة احصائية ، ممايدل على عدم وجود فروق جوهرية فى الاتجاه بينهمــا .

٤) بلغت قيمة " ت " للفرق بين متوسطى درجات الاخصائيين الاحصائيين والاخصائيين الاعلاميين ٢٥١ر٠ وهى غير ذات دلالة احصائية ،مما يعنى عدم وجود فروق جوهرية بينهما .

اللجنة الاستشارية والذين بلغوا ٣٢ شخصا ٠ اى ان اقصى نسبة ممكنة للحضور النسائى لم تكن لتتجاوز ٦ر٢٥ ٪ ٠ ويجب ان نضع فى الاعتبار ان احد هذين العنصرين النسائين قد تمثل فى المنسقة الاقليمية التى كانت حضر الاجتماعات بصفتها الوظيفية اساسا ٠

٢) تشير بيانات نفس الجدول الى ان " ممثلة المرأة " لم تحضر بالفعل الا ٥٢ر ٩ ٪ من اجتماعات اللجنة ، وافتقدتها ٤٨ر٩٠ ٪ من تلك الاجتماعات ٠ بل انه مما يستوقف النظر ان اسم ممثلة المرأة فى اللجنة لم يرد فى قرار التشكيل الاول بل تأخر الى ما بعد ذلك لفترة طويلة ٠

٣) تشير بيانات نفس الجدول ايضا الى ان ٣٨ر٥٢ ٪ من الاجتماعات لم يحضرها اى عنصر نسائى اطلاقا ٠

٤) تشير بيانات الجدول كذلك الى ان المنسقة الاقليمية قد حضرت ١ر٣٨ ٪ من اجتماعات اللجنة بصفتها الوظيفية ٠

ثانيا : " المرأة " كمتحدث فى اجتماعات اللجنة الاستشارية (*) :

١) سبق ان شرنا فى اكثر من موضع الى ان الاسلوب الذى اتبع فى تسجيل المحاضر يبدد الجانب الاكبر والاهم من البيانات التى نحتاجها عادة فيما بعد ٠

ويعد بيان " المتحدث " من اكثر بيانات التسجيل تعرضا للتبديد ٠ ومن هنا كانت صعوبة تحديد هذا البيان فى تحليلنا لمحاضر اللجنة الاستشارية ، فكما يتضح من بيانات

(*) اتضح من خلال مقابلة شخصية مع المسئولين فى مكتب تنظيم الاسرة بالجيزة ان ورود اسم السيدة المنسقة الاقليمية ضمن قرار تشكيل اللجنة الاستشارية فى البداية كان خطا قانونيا ثم تداركه بعد ذلك حيث ان المنسق الاقليمى لا يعد عضوا باللجنة من الناحية القانونية ٠

الجدول رقم "١١" لم تتجاوز عدد المرات التى اشير فيهـــا الى هوية المتحدث عشرون مرة خلال تسجيلات تجاوز حجمها خمسون صفحة وتضمنت كما تشير تحليلاتنا ٩٤ موضوعا ٠

٢) رغم التحفظ الذى حرصنا على الاشارة اليه فى البند السابق نقد اجرينا المقارنة اللازمة ليتضح منها كما تشير بيانـــات الجدول رقم "١١" انه لم ترد الاشارة الى " امرأة " كمصـدر للحديث الا مرتين اى بنسبة ١٠٪ من مجموع الاشارات الـــى تلك المصادر ٠

ثالثا : المجال النسائى كموضوع من موضوعات اللجنة الاستشارية :

١) تشير بيانات الجدول "١٢" الى ان الموضوعات المتصلـــة بمجالات نسائية قد بلغت نسبتها ٩٨ر٣٢٪ من جملـــــة الموضوعات التى تضمنتها المحاضر والتى بلغت ٩٤ موضوعا ٠

٢) تشير بيانات الجدول "١٣" الى ان موضوع " الرائدات قد استغرق ٩٧ر٧٠٪ من مجمل موضوعات " المجال النسائى " وحوالى ٤ر٢٣٪ من مجمل الموضوعات التى تضمنتها المحاضر ولا ينبغى أن تفوتنا الاشارة الى مايلقاه موضوع الرائدات الريفيات بالتحديد من اهتمام والحاح وتركيز لدى المسئولين عن تنظيم الاسرة بعامة وعن مشروع السكان والتنمية بشكل خاص ، ولقـد ادى هذا الاهتمام الشديد فيما نرى الى تحول موضـــوع "الرائدات الريفيات " الى مايشبه النقطة الدائمة فـــى جدول اعمال اللجنة الاستشارية ، واصبح تكرارها لا يعبـــر بدقة عن حجم اهتمام اعضاء اللجنة بها ، بل لعله اقـــرب الى التعبير عن حجم اهتمام المستويات الادارية الاعلـــى ٠ ولقد اتضح لنا بالفعل ان الاشارة الى الرائدات ترد بصورة شكلية تماما ويتضح ذلك من بيانات الجدول "١٤" حيـــث تشير تلك البيانات الى ان تكرار موضوع " موافقة اللجنـــة على استحقاق الرائدات الريفيات لمكافأتهن الشهريـــة "

يمثل ٢٧ر٧٧٪ من مجمل تكرار موضوع " الرائدات الريفيات " وغني عن البيان ان تلك الموافقة بشرط لصرف المكافأة ومن ثم فانها لابد وان تستوفى روتينيا ٠

٦ — مدى الاهتمام بالمشاركة الجماهيرية في انشطة اللجنة

١٠٦ ٠ المفاهيم والحدود :

من المسلم به نظريا ان تواجد ممثلين منتخبين للجماهير ضمن الاعضاء الاساسيين للجنة الاستشارية يعد في حد ذاته نوعا من المشاركة الجماهيرية ، وهو كذلك بالفعل ٠ ولكنا لو وقفنا عند هذا الحد فحسب ، لكان علينا ان نكتفي برصد انتظام حضور هؤلاء الممثلين المنتخبين لاجتماعات اللجنة ومشاركتهم في اعمالها ٠ ولقد سبق ان قمنا بذلك فعلا في تناولنا لمدى التكامل والتمايز بين " التنفيذين " و " المنتخبين " ولكن مانعنيه هنا بالمشاركة الجماهيرية يختلف عن ذلك التصور الى حد ما ٠ اننا نعني على وجه التحديد مشاركة الناخبين وليس مشاركة ممثليهم فحسب ٠

ان المشاركة الجماهيرية بهذا المعنى الذى حددناه ، تمثل فيما نرى محور مايهدف اليه في النهاية مشروع السكان والتنمية ٠ الوصول بجماهير القرى الى درجة من الفعالية الذاتية الواعية تمكنهم من ادارة شئونهم بانفسهم تخطيطا وتنفيذا ، مع ما يعنيه ذلك من تحديث عميق وشامل لاسلوب حياتهم ٠

وانطلاقا من هذا التحديد فان دور اللجنة الاستشارية انما يتمثل في مدى تعبيرها عن مشكلات الجماهير المحيطة بها ، ومعايشتها لتلك المشكلات ، وحث وتنمية جهود الجماهير لمواجهتها ٠ ولما كانت اجتماعات اللجنة تضم التنفيذين والمنتخبين جنبا الى جنب ، فقد كان

من المنطقي ان ننقب في محاضر اجتماعاتها عن اهتمام بالمشاركة الجماهيرية بالمعنى الذى حددناه انفا •

٦٠٢ • المؤشرات :

اعتمدنا في تحليلنا لهذا الموضوع على المؤشرين التاليين :—

(١) الجهود التطوعية :

ونقصد بهذا المؤشر رصد مدى تعبير محاضر اللجنة الاستشارية عن وجود وتشجيع مبادرات الاهالى لحل مشكلاتهم اعتمادا على تنظيم جهودهم التطوعية كبداية •

(٢) التمويل الجماهيرى للمشروعات :

ونقصد بهذا المؤشر رصد حجم مشاركة الاهالى المالية في المشروعات تقام في القرية • ولا ينفى اعتمادنا على هذا المؤشر حقيقة انه مشوب بتحفظ اساسى • فالبيانات المتوافرة في المحاضر والوثائق المتاحة لم تمكننا من تبين عدد المشاركين وتوزيع اسهاماتهم مكتفية بايراد قيمة مجمل اسهام الاهالى في المشروع • وغنى عن البيان ان عدد المشاركين اكثر دلالة بالنسبة لموضوعنا من مجرد قيمة مجمل المساهمة •

٦٠٣ • النتائج :

نستطيع ان نوجز اهم ماخلصنا اليه في هذا الصدد على الوجه التالى :

(أ) الجهود التطوعية :

تشير بيانات الجدولين "٦" و"٧" الى ان فئتى "المشروعات الانتاجية" و "المشروعات الخدمية" قد تضمنتا ١٢ مشروعا • وبتحليل تفصيلى لما تضمنته المحاضر والوثائق عن كل مشروع اتضح ان ثمة مشروعات ثلاث فقد بدت فيها بقدر او باخر تلك الجهود التطوعية وهى :—

أ) مشروع انشاء فصول دراسية للتقوية .
ب) مشروع انشاء فصول لمحو الامية .
جـ) مشروع التخلص من القاذورات .

اى ان تلك الجهود التطوعية لم تسفر عن نفسها الا فى حوالى ٢٣،٠٨ ٪ من مجمل المشروعات التى تضمنت المحاضر اشارة اليها .

(٢) التمويل الجماهيرى للمشروعات

بلغت القيمة الاجمالية للمشروعات ٦٥٤٨٠ جنيه وبلغت مجمل اسهامات الاهالى فيها ١٥٣٠٠ جنيه اى بنسبة ٢٣،٣٧٪ ولكن مايستوقف النظر حقا هو نوعية تلك المشروعات التى اجتذبت الجانب الاكبر من اسهامات الاهالى :

أ ــ لقد اتجه الجانب الاكبر من تلك الاسهامات الى اصلاح المساجد حيث ساهم الاهالى بمبلغ ١٠٨٠٠ جنيه تمثل ٧٠،٥٩٪ من مجمل اسهاماتهم ، متحملين بذلك ٩٨،١٨ ٪ من التكلفة الكلية لتلك الاصلاحات .

ب ــ اتجه الجانب الباقى من تلك الاسهامات وهو عبارة عن ٤٥٠٠ جنيه تمثل ٢٩،٤١٪ من مجمل الاسهامات الى مشروعات التعليم ومياه الشرب وشبكة الانارة متحملين بذلك ٤٦،٨٨ ٪ من التكلفة الكلية لتلك المشروعات . وغنى عن البيان ان هذه المشروعات جميعا ذات طبيعة خدمية .

جـ ــ لم يحظ اى من المشروعات الانتاجية باى مبلغ على الاطلاق كتمويل جماهيرى . بل ان رئيس الوحدة فى خطاب رسمى مؤرخ فى ١٨/٨/٧٩ وردا على استفسار ادارة السكان والتنمية بشأن مشاركة الجماهير فى تمويل مشاريع مصانع المنتجات الخشبية ، والمنتجات المعدنية ، والثلج والتبريد ، مقررا بوضوح " ان الجماهير لم تشترك فى التمويل بل جهاز بناء وتنمية القرية ، والوحدة المحلية ، والقرض " .

جدول رقم (١١)

اجتماعات اللجنة الاستشارية واعضاؤها وفقا للصفة (١) والانتظام في الحضور (٢) والاحلال (٣)

الاسم \ الصفة \ الاجتماعات وفقا لتواريخها	الصفة	٢/١٠/٧٨	٦/١١/٧٨	١٨/١١/٧٨	٢٠/١١/٧٨	٢٧/١١/٧٨	٢٥/١٢/٧٨	١٥/١/٧٩	١٩/٢/٧٩	١٢/٣/٧٩	٢٦/٣/٧٩	١٦/٧/٧٩	٢٠/٨/٧٩	١٧/٩/٧٩	١/١٠/٧٩	١٢/١١/٧٩	١٠/١٢/٧٩	١٥/١/٨٠	١٢/٢/٨٠	١٠/٣/٨٠	١٤/٤/٨٠	١٢/٥/٨٠	حضور	غياب	%	الاحلال
محمد محمود سلطح	ي • رئيس الوحدة المحلية	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x						١٦	صفر	١٠٠	—
عبد العزيز محمد سليمان	ي • " "																	x	x	x	x	x	٥	صفر	١٠٠	+
ابراهيم علي عبد الغفار	ي • سكرتير "	•	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	•						١٣	٣	٨٠	—
كمال احمد عبد السميع	ي • سكرتير "	•	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	•	•	•	١٧	٤	٨١	■
د • مكرم عزيز	ي • طبيب المجموعة الصحية	•	•	•	•	•	x	x	x	x													٤	٥	٤٤	—
د • عصمت غالي	ي • طبيب المجموعة الصحية																x	x	x	x			٤	صفر	١٠٠	+
د • محمد محمد عمارة	ي • طبيب المجموعة الصحية																				x	x	٢	صفر	١٠٠	+
محمد حسيب مصطفى	ي • مدير بنك التنمية والائتمان	x	•	x	x	x	x	x	x	x	x	x	•	x	•	x	•	x	x				١٤	٤	٧٨	—
محمود مختار المنيلاوي	ي • " " "																				x	x	٢	صفر	١٠٠	+
علي اسماعيل البطاوي	ي • مدير الجمعية الزراعية	x	•	x	x																		٣	١	٧٥	—
محمد مهد	ي • ناظر المدرسة	•	x	x	x	x	x	•	•	x	x	x	x	x	x	x	x	x	•	x	x	x	١٧	٤	٨١	■
د • عبد الحفيظ عبد القادر	ي • طبيب بيطري	•	x	•	x	•	x	x															٤	٣	٥٧	—
د • عبد الرحيم عزازي	ي • طبيب بيطري									x	x	•	x	•	•	x	•	x	x	x	x	x	٩	٤	٦٩	+
محمدي علي عثمان	ي • رئيس الوحدة الاجتماعية	•	x	x	x	•	x	•	x	x	x	x	x	x	x	x	•	x	x				١٤	٤	٧٨	—
محمد عشناوي علي	ي • رئيس الوحدة الاجتماعية																				x	x	٢	صفر	١٠٠	+
محمود فهمي الكناوي	ب • رئيس المجلس المحلي	•	•	•	•	•	•	•	•	x	x	x	x	x	x	x	•	x	x	x	x	x	١٢	٩	٥٧	■
علي احمد ابو عميلة	ب • وكيل المجلس المحلي	•	•	•	•	x	•	•	•	•	•	x	x	x	x	x							٦	٩	٤٠	—
ابراهيم حسن صالح	ب • وكيل المجلس المحلي																•	x	x	x	x	x	٥	١	٨٣	+
محمد ابراهيم ايوب	ب • عضو المجلس المحلي	•	•	x	•	x	x	x	x	x	x	x	x	•	x	•	x						١١	٥	٦٩	—

الاجتماعات وفقا لتواريخها

سم	الصفة	٢/١٠/٧٨	٦/١١/٧٨	١٨/١١/٧٨	٢١/١١/٧٨	٢٧/١١/٧٨	٢٥/١٢/٧٨	١٥/١/٧٩	١٩/٢/٧٩	١٢/٣/٧٩	٢٦/٣/٧٩	١٦/٧/٧٩	٢٠/٨/٧٩	١٧/٩/٧٩	١/١٠/٧٩	١٢/١١/٧٩	١٠/١٢/٧٩	١٥/١/٨٠	١٢/٢/٨٠	١٥/٣/٨٠	١٤/٤/٨٠	١٢/٥/٨٠	حضور	غياب	%	الاخلال
يد غريب الصابر	ب • عضو المجلس المحلي	x	•	x	•	•	•	•	•	•	•	•	x	x	•	x							٥	١٠	٣٣	—
الخيط صابر	ب • عضو المجلس المحلي																x	x	x	x	x	x	٦	صفر	١٠٠	+
س احمد علي	ب • عضو المجلس المحلي																x	•	•	•	•	•	١	٥	١٧	+
طفى ابراهيم السيد	ب • " " "																	x	x	x	x	x	٥	صفر	١٠٠	+
مد نجيب عبد الرحمن	ب • " " "																			x	x	x	٣	صفر	١٠٠	+
مد احمد بساره	ب • " " "																			•	x	x	٢	١	٦٧	+
طف عبد السلام	ب • " " "	x	•	•	x	•	x	•	•	x	x	x	•	x	x	x	x	•	•	x	x	x	١٣	٨	٦٢	=
مد ابو طالب حسن	ب • " " "	—	•	•	•	•	x	x	x	•	x	x	x	x	x	x	x						١٠	٥	٦٧	-+
يخ حسن الصيفي	ر • رجل دين											x	x	x	x	x	•	x	x	x	x	x	١٠	١	٩١	+
يخ عبد الرحمن البيلاوى	ر • " "	•																					صفر	١	صفر	—
يخ حسن دياب	ر • " "	•	•	x	x	x	x	x	•	•	•												٥	٥	٥٠	—
يدة / فتحية الكساوى	ر • ممثلة المرأة																			•	x	x	٢	١	٦٧	+
وس محمد مرسى	المنصفة (٤)	x	x	x	x	x	x	x	x	x	x	•	•	•	•	•	•	•	•	•	•	•	٨	١٣	٣٨	=
التنفيذيون	حضور	٣	٦	٧	٧	٥	٨	٦	٦	٨	٧	٦	٦	٦	٥	٧	٤	٧	٦	٤	٦	٦				
	غياب	٦	٣	٢	٢	٣	صفر	٢	١	صفر	صفر	١	١	١	٢	صفر	٤	صفر	١	١	١	١				
	%	٣٣	٦٧	٧٨	٧٨	٦٢	١٠٠	٧٥	٨٦	١٠٠	١٠٠	٨٦	٨٦	٨٦	٧١	١٠٠	٥٠	١٠٠	٨٦	٨٠	٨٦	٨٦			٨٠٫٧٦٪	
المنتخبون	حضور	٢	صفر	٢	١	٢	٣	٢	٢	٣	٤	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٤	٤	٦	٧	٧				
	غياب	٣	٦	٤	٥	٤	٣	٤	٤	٣	٢	١	١	١	١	١	٢	٢	٢	٢	١	١				
	%	٤٠		٣٣	١٧	٣٣	٥٠	٣٣	٣٣	٥٠	٦٧	٨٣	٨٣	٨٣	٨٣	٨٣	٧١	٦٧	٦٧	٧٥	٨٧	٨٧			٥٨٫٣٣٪	
الاعضاء جميعا	حضور	٦	٧	١٠	٩	٩	١٣	١٠	٩	١١	١٢	١٢	١٢	١٢	١١	١٣	٩	١٢	١١	١٢	١٥	١٤				
	غياب	١١	١٠	٧	٨	٧	٣	٦	٦	٤	٣	٣	٣	٣	٤	٢	٨	٣	٤	٤	٣	٤				
	%	٣٥	٤١	٥٩	٥٣	٥٦	٨١	٦٢	٦٠	٧٥	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٧٣	٨٧	٥٣	٨٠	٧٣	٧٥	٨٣	٧٨			٦٨٫٧٦٪	

(١) الرمز (ى) يشير الى العضو التنفيذى ، والرمز (ب) يشير الى العضو المنتخب ، والرمز (ر) يشير الى العضو المختار وقد اعتمدنا فى تبين صفة العضو على الاستنتاج من واقع وظيفته فضلا عن استقراء بنود قانون الحكم المحلى ، وذلك لان قرارات تشكيل اللجان لاتتضمن بيانا بصفة العضو فى اللجنة .

(٢) الرمز (×) يشير الى ان عضو اللجنة قد حضر الاجتماع ، ويشير الرمز (٠) الى تغيبه ، اما الخط المتصل فيشير الى ان صاحب الاسم لم يكن او لم يعد عضوا فى اللجنة فى تاريخ اجتماعها المبين . وقد اعتمدنا فى تبين اكتساب العضوية وسقوطها على متابعة قرارات التعيين والفصل حيث أن المحاضر لاتوضح اسماء الغائبين فضلا عن اسباب تغيبهم وكذلك الحال بالنسبة للاعضاء الجدد .

(٣) الرمز (+) يشير الى صاحب الاسم قد انضم الى عضوية اللجنة بعد ٧٨/١٠/٢ ويشير الرمز (ـ) الى ان صاحب الاسم كان عضوا فى اول تشكيل للجنة فى ٧٨/١٠/٢ ثم سقطت عنه العضوية بعد ذلك ، ويشير الرمز (=) الى ان صاحب الاسم كان عضوا فى اول تشكيل للجنة واستمرت عضويته حتى تاريخ اخر اجتماع فى الدراسه ، ويشير الرمز (+ـ) الى ان العضو قد انضم الى عضوية اللجنة بعد ١٩٧٨/١٠/٢ وسقطت عنه العضوية قبل ٨٠/٥/١٢ .

(٤) لم نلحق اسم المنسقه باية أشارة الى الصفه باعتبار ان لها وضعا متميزا .

الجدول رقم (٢)

النسب المئوية للتكرار المتجمع الصاعد لانتظام الحضور على مستوى الافراد

نسبة حضور الافراد	التكرار	التكرار المتجمع الصاعد	%
اقل من ٣٠٪	٢	٢	٠٦ر٢٥
٣٠٪ —	٢	٤	١٢ر٥٠
٤٠٪ —	٢	٦	١٨ر٧٥
٥٠٪ —	٣	٩	٢٨ر١٣
٦٠٪ —	٦	١٥	٤٦ر٨٧
٧٠٪ —	٣	١٨	٥٦ر٢٥
٨٠٪ —	٤	٢٢	٦٨ر٧٥
٩٠٪ فاكثر	١٠	٣٢	١٠٠ر٠٠
	٣٢		

الجدول رقم (٣)

النسب المئوية للتكرار المتجمع الصاعد لانتظام الحضور على مستوى الاجتماعات

نسبة حضور الافراد	التكرار	التكرار المتجمع الصاعد	%
٣٠٪ —	١	١	٠٤ر٧٦
٤٠٪ —	١	٢	٠٩ر٥٢
٥٠٪ —	٤	٦	٢٨ر٥٧
٦٠٪ —	٢	٨	٣٨ر١٠
٧٠٪ —	٥	١٣	٦١ر٩٠
٨٠٪ —	٨	٢١	١٠٠ر٠٠
	٢١		

الجدول رقم (٤)
الاوزان النسبية لفئات الموضوع العامة

فئة الموضوع	التكرار	الوزن النسبى
المشروعات	٥٨	٦١ر٧٠
الرائدات الريفيات	٢٢	٢٣ر٤٠
النشاط الاعلامى	٩	٩ر٥٧
موضوعات اخرى	٥	٥ر٣٢
المجموع	٩٤	

الجدول رقم (٥)
الاوزان النسبية لفئات موضوع " المشروعات "

فئة الموضوع	التكرار	الوزن النسبى النوعى	الوزن النسبى العام
مشروعات انتاجية	٢٣	٣٩ر٦٦	٣٤ر٤٧
مشروعات خدمية	١٨	٣١ر٠٣	١٩ر١٥
مناقشات عامة حول الموضوع	١٧	٢٩ر٣١	١٨ر٠٩
المجموع	٥٨		

الجدول رقم (٦)

الاوزان النسبية لفئات موضوع " المشروعات الانتاجية "

فئة الموضوع	التكرار	الوزن النسبى النوعى	الوزن النسبى العام
مشروع المشغل وماكينات الخياطة	٧	٣٠ر٤٣	٧ر٤٥
مشروع مصنع المنتجات الخشبية	٤	١٧ر٣٩	٤ر٢٦
مشروع مصنع المنتجات المعدنية	٤	١٧ر٣٩	٤ر٢٦
مشروع مصنع الثلج والتبريد	٤	١٧ر٣٩	٤ر٢٦
مشروع المحلات التجارية الاستهلاكية	١	٤ر٣٥	١ر٠٦
مشروع البط البكينى	١	٤ر٣٥	١ر٠٦
المجموع	٢٣		

الجدول رقم (٧)

الاوزان النسبية لفئات موضوع " المشروعات الخدمية "

فئة الموضوع	التكرار	الوزن النسبى النوعى	الوزن النسبى العام
التعليم (دار الحضانة • فصول التقوية - فصول محو الامية)	٨	٤٤ر٤٤	٨ر٥١
الصرف والشرب	٤	٢٢ر٢٢	٤ر٢٦
النقل والطرق	٤	٢٢ر٢٢	٤ر٢٦
النظافة	٢	١١ر١١	٢ر١٣
المجموع	١٨		

الجدول رقم (٨)

مقارنات بين " المعينين " و " المنتخبين "

في اللجنة الاستشارية وفقا لبيانات الاستبيان

البيان	المعينون	المنتخبون
– متوسط السن	١٧ر٣٩ عاما	٨ر٤٥ عاما
– متوسط مدة الزواج	٧٩ر١٠ "	٥ر٢١ "
– تقدير السن عند الزواج	٤٦ر٢٨ "	٣ر٢٤ "
– متوسط عدد الابناء الاحياء	١٤ر٣ ابناء	٣٣ر٤ ابناء
– متوسط العدد المثالي للابناء	٠٠ر٣ "	٣٣ر٣ %
– النسبة المئوية للحاصلين على تعليم جامعي .	٨٩ر٨٨ %	٦٧ر١٦ %
– النسبة المئوية للحاصلين على تعليم متوسط .	١١ر١١ %	٦٧ر١٦ %
– النسبة المئوية للحاصلين على تعليم اقل من المتوسط .	صفر	٦٧ر٦٦ %

الجدول رقم (٩)

مقارنة بين " المعينين " و " المنتخبين "

في اللجنة الاستشارية وفقا لمؤشرات الانتظام والاحلال

البيان	المعينون	المنتخبين
– متوسط نسبة حضور الاعضاء لاجتماعات اللجنة .	٧٦ر٨٠ %	٣٣ر٥٨ %
– النسبة العامة للاحلال	٦٧ر٨٦ %	٣٣ر٨٣ %
– نسبة من سقطت عضويتهم من اعضاء التشكيل الاول .	٨٠ر٧٧ %	٠٠ر٦٠ %

الجدول رقم (١٠)

مقارنة بين "المعينين" و "والمنتخبين" فى اللجنةالاستشارية
من حيث النسبه المئوية للافراد المتغيبين عن حضوراجتماعاتها

نسبة الاعضاء المتغيبين	المعينون			المنتخبون		
	عدد الاجتماعات	ك متجمع صاعد	%	عدد الاجتماعات	ك متجمع صاعد	%
٩٠ ٪ فاكثر	—	—	—	١	١	٤٫٧٦
٨٠ ٪	—	—	—	١	٢	٩٫٥٢
٧٠ ٪	—	—	—	—	٢	٩٫٥٢
٦٠ ٪	١	١	٤٫٧٦	٤	٦	٢٨٫٥٧
٥٠ ٪	—	١	٤٫٧٦	١	٧	٣٣٫٣٣
٤٠ ٪	١	٢	٩٫٥٢	٢	٩	٤٢٫٨٦
٣٠ ٪	٢	٤	١٩٫٠٥	٣	١٢	٥٧٫١٤
٢٠ ٪	٤	٨	٣٠٫١٠	٢	١٤	٦٦٫٦٧
١٠ ٪	٨	١٦	٧٦٫١٩	٧	٢١	١٠٠٫٠٠
صفر ٪	٥	٢١	١٠٠٫٠٠	—	—	—

الجدول رقم (١١)

توزيع "المتحدثين" * وفقا للجنس

المتحدث	رجل	امرأة	المجموع
التكرارات	١٨	٢	٢٠
٪	٩٠	١٠	١٠٠

* كانت غالبية الموضوعات تطرح دون تحديد لهوية المتحدث .

الجدول رقم (١٢)
مقارنة بين حجم الموضوعات (النسائية)
والموضوعات (العامة)

الموضوع	نسائي	عام	مجموع
التكرار	٢٩	٦٥	٩٤
٪	٣٢٫٩٨	٦٧٫٠٢	١٠٠

الجدول رقم (١٣)
الاوزان النسبية لفئات "الموضوعات النسائية"

الموضوع	التكرار	الوزن النسبي النوعي	الوزن النسبي العام
الرائدات الريفيات	٢٢	٧٠٫٩٧	٢٣٫٤٠
ماكينات للخياطة	٧	٢٢٫٥٨	٧٫٤٥
دار الحضانة	٢	٦٫٤٥	٢٫١٣
المجموع	٣١	١٠٠٫٠٠	٣٢٫٩٨

١٠٤ : المنسقـــون : دراسة فى مشـــروع السكان والتنميـــة *

---

* تم هذا البحث من جهاز تنظيم الاسرة والسكان
وتكونت هيئة البحث من كل من :
١) أ٠د / قدري محمود حفني مشرفا
٢) د / احمد خيرى حافظ عضوا
٣) د / محمد محمد سيد خليل عضوا
٤) أ / محسن العرفان عضوا

الباب الأول

هـــذه الدراســـــة

* موقع الدراسة من مشـــروع الســـكان والتنميـــة
* المنسقون ووظائفهم الرسمية : تعريف بالمصطلحات
* عينـــات الدراســـة وأدواتهــــا

الفصـــل الأول

* موقع الدراسة من مشروع السكان والتنميــة

تنقسم خطط مواجهة المشكلة السكانية في مصر - من وجهة نظرنا - الى خطتين رئيسيتين ، قد تتنافر احداهما مع الأخرى تنافرا يصل الى حد التصادم . وقــد تتكاملا الى حد يقترب بهما من الأندماج ، ولكنهما يظلا في كل الأحوال خطتيـن متمايزتين لكل منهما منطلقاتها النظرية ، وأساليبها العملية ، بل واطارهـــا السياسى أيضا :-

الخطة الأولى : " خطة التسويق والتوعيــة "

وتقوم هذه الخطة في جوهرها على التسليم بأن جذور المشكلة السكانيـــة انما ترجع الى خلل في وعى السكان بمشكلتهم ، ويتمثل هذا الخلل اساسا في قصـــور ما لديهم من معلومات ، ومن ثم عجزهم عن تبنى الاتجاهات " الصحيحة" حيـــال المشكلة . ذلك فضلا عن قصور ما هو متاح لهم من " وسائل" مواجهة المشكلة ومن ثم عجزهم عن ممارسة السلوك " الصحيح" في تلك المواجهة ومن خلال تلك المنطلقـات النظرية تتبلور الأساليب العملية لهذه الخطة حول محورين متكاملين :

أ - محـور التوعيـــة :

ويستهدف تصحيح وعى السكان بمشكلتهم من خلال زيادة معلوماتهـــم عنها ، وتعديل اتجاهاتهم نحوها . ولسنا في مجال استعراض الاســـاليب العملية لبلوغ هذا الهدف فهى عديدة تجل عن الحصر وتمتد لتشمــل كافــة انواع الاتصال الشخصى والجماهيرى .

ب - محـور التسـويق :

ويستهدف توفير " وسائل تنظيم الاسرة " على أوسع نطاق ممكن لكى تصبح في متناول الجمهور المستهدف ، بحيث يتمكن الفرد من ممارسة تنظيم الاسـرة بأيسر سبيل ، وبمجرد أن يتم تصحيح وعيه بالمشكلة السكانية .

الخطة الثانية : " خطة المشاركة والتنمية "

تقوم هذه الخطة في جوهرها على التسليم بأن جذور المشكلة السكانيـــة انمـا ترجع الى خلل في الواقع الاقتصادى الاجتماعى الذى يعيشه السكان .

ويتمثل هذا الخلل أساسا في ظاهرة التخلف بشقيها المتكاملين : التكنولوجى والاجتماعى ، ومن خلال هذا المنطلق تتبلور الأساليب العملية لهذه الخطـــــة بدورها حول محورين متكاملين :

أ ـ محور التنمية الاقتصادية :

ويستهدف دفع عجلة النمو الاقتصادى للمجتمع بما يعنيه ذلك من تنشيط للموارد الاقتصادية وتحديث للاساليب التكنولوجية واعادة لتوزيع الثروة الى آخره .

ب ـ محور المشاركة الشعبية :

ويستهدف هذا المحور فى النهاية تذليل العقبات التى تحول دون الافراد والمشاركة فى تغيير واقعهم الاجتماعى . وتمتد عملية التذليل هذه لتشمل الجوانب القانونية والادارية والتكنولوجية الى آخره . فضلا عن تلك الجوانب المتعلقة بالوعى الفردى والجماعى .

ولسنا بصدد التتبع التفصيلى لمسار هاتين الخطتين ، ونقاط التقائهما ، وتنافرهما ، وما تعرضتا له من عثرات . وكيف نجحتا فى البقاء دون أن تستبعد احداهما الأخرى ، وايضا ـ وهذا هو الأعجب ـ دون أن يتكاملا بالمعنى المتفائل لكلمة التكامل . ان غاية ما نطمح اليه هو محاولة تبين موقع مشروع " السكان والتنمية " من هاتين الخطتين بمحاورهما العملية المتنوعة .

تشير مختلف الوثائق المتعلقة بموضوعنا الى أن " مشروع السكان والتنمية " برنامج تجريبى بدأ تنفيذه عام ١٩٧٧ ، ووضع خطته جهاز تنظيم الأسرة والسكان باعتباره ـ أى الجهاز ـ الأمانة الفنية للمجلس الأعلى لتنظيم الأسرة والسكان .

وتشير تلك الوثائق أيضا الى أن هذا المشروع لم يتخذ ـ فيما يبدو ـ تسميته الحالية أى مشروع السكان والتنمية الا مؤخرا . ولعله قد اقتبس تلك التسمية من مشروع على تجريبى آخر شرع فيه جهاز تنظيم الأسرة والسكان فى منتصف ١٩٧٥ ضمن مشروعات " التنمية الريفية الشاملة والمشكلة السكانية " ولكنه تعثر ولم يبق منه سوى اسمه الذى حمله تقريره الأول الصادر فى ديسمبر ١٩٧٥ بعنوان " مشروع السكان والتنمية : الهدف والتصميم والاجراءات " . أما مشروع السكان والتنمية الذى نحن بصدده الآن فقد بدأ تحت تسمية أخرى بالغة الدلالة هى " مشروع المنسقين " . ورغم أن هذه التسمية الأخيرة قد ذوت فما زال العاملون فى المشروع يحملون اسم المنسقين حتى يومنا هذا .

والمشروع بهذا المعنى وبصرف النظر عن التسمية التى اختيرت له انما يحتل ـ فيما نرى ـ موقعا وسطا بين الخطتين الأساسيتين لمواجهة المشكلة السكانية فى مصر . فهو يأخذ من الخطة الأولى محور التوعية ويأخذ من الخطة الثانية محور المشاركة الشعبية . أما أنشطة المشروع فى مجالى التسويق والتنمية فأنها انما تتحدد بمدى اسهام المجالين فى دفع عجلتى التوعية والمشاركة الشعبية . ومن هنا فان " العمل التنسيقى " لا يمكن ان ننظر اليه باعتباره واحدا من انشطة مشروع السكان والتنمية ، بل ينبغى النظر اليه باعتباره النشاط الأساسى للمشروع . ومن ثم فان المنسقين هم المشروع مجسدا وليسو بحال مجرد عاملين فى اطاره . ومن هنا كانت اهمية الموقع الذى تحتله هذه الدراسة .

وتسعى دراستنا هذه الى استكشاف ثلاثة مجالات :-

أ- التعرف على أهم الخصائص المتوافرة لدى القائمين بالعمل التنسيقي في المشروع .

ب- التعرف على تصورات المنسقين لطبيعة العمل التنسيقي الموكل اليهم وما يعترض هذا العمل في رأيهم من عقبات ، وما يقترحونه من حلول .

جـ- رصد وتحليل عملية التفاعل الميداني المتبادل بين المنسقين بمستوياتهم المختلفة وبين الجمهور الذى يستهدفه المشروع ككل وهو جمهور الفلاحين .

وتهدف الدراسة في النهاية بطبيعة الحال الى تقديم مقترحات عملية تساعد على زيادة فعالية المنسقين في مشروع السكان والتنمية .

الفصل الثانى

المنسقون ووظائفهم الرسمية

أولا : المنسقون المحليين :

وهم ليسوا من موظفى مشروع السكان والتنمية بحال من الأحوال - انهم من الناحية الادارية - روءساء وسكرتيرو الوحدات المحلية توكل اليهم بحكم مناصبهم مهام التنسيق المحلى . ووفقا لذلك فاننا فى اطار مشروع السكان والتنمية - نطلق على رئيس الوحدة المحلية التى يشملها المشروع تسمية " المنسق المحلى الأول " ، كما نطلق على سكرتير تلك الوحدة تسمية " المنسق المحلى الثانى " ، ومن هنا فاننا نستطيع ان ننظر الى " التنسيق على المستوى المحلى " باعتبار انه اقرب الى ان يكون " مهمة اضافية تسند الى فرد معين بحكم موقعه الوظيفى " .

ووفقا لما جاء فى المذكرة الصادرة عن مكتب التنظيم والادارة بجهاز تنظيم الاسرة والسكان فى فبراير ١٩٧٧ بخصوص وظائف المنسقين المحليين والاقليميين فان نشاط المنسق المحلى يشمل حوالى خمس قرى ، وتشمل الاعمال المتكررة المسندة اليه ما يلى :

١ - التواجد المستمر فى مجال النشاط .

٢ - الالمام بمحيط البيئة الاجتماعية والاقتصادية فى مجال النشاط .

٣ - تنمية قيادات محلية فى مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

٤ - التعرف على الشخصيات الهامة المحلية التى لها وزن اجتماعى / اقتصادى فى محيط القرى المحددة لمجال النشاط .

٥ - الاتصال بالمستويات الادارية الرسمية وغير الرسمية فى مجال النشاط .

٦ - توطيد الصلات الشخصية مع القيادات المحلية فى مجال النشاط وخاصة مع :

- رئيس المجلس المحلى واعضاء المجلس .
- الطبيب وموظفى الوحدة الصحية .
- ناظر المدرسة ، والمدرسين ، والعاملين فى المجال التعليمى .
- المشرف الزراعى والعاملين فى وحدة الأرشاد الزراعى .
- رئيس وحدة الشئون الاجتماعية ، والاخصائيين الاجتماعيين ، والعاملين فى مجال الشئون الاجتماعية .
- امام المسجد .
- اعضاء التنظيمات السياسية .
- اعضاء الجمعيات التعاونية الزراعية .
- اعضاء جمعية تنمية المجتمع وأى جمعيات اخرى .

٧ـ التعرف العام على طبيعة أعمال ونشاط المستويات الادارية الرسمية وغير الرسمية في مجال النشاط .

٨ـ التعرف على الأوضاع الاجتماعية السائدة بين العائلات والأسر في مجال النشاط .

٩ـ الاستيعاب الدقيق والمستمر لمفهوم وابعاد المشكلة السكانية وعمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية في مجال النشاط .

١٠ـ تحفيز ودفع القيادات المحلية في مجال النشاط نحو اعداد وتنفيذ خطط تنمية اجتماعية واقتصادية على المستوى المحلي .

١١ـ المساعدة والمعاونة الاستشارية في مجال اعداد خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية على المستوى المحلي في اطار تنسيقي يمكنه من تحفيز القيادات المحلية والجهات الادارية الرسمية وغير الرسمية نحو الاضطلاع بمسئولية اعداد وتنفيذ هذه الخطط .

١٢ـ انشاء اطار عام للتضامن مع وبين الشخصيات المؤثرة على الرأى العام في مجال النشاط بما يؤدى لاحداث التغيير المطلوب في مجال تنمية الريف وحل المشكلة السكانية .

١٣ـ التكيف الدائم والمستمر مع البيئة الاجتماعية في مجال النشاط بشكل يمكنه من أداء دوره التحفيزى على المستوى المحلي .

١٤ـ دفع مجهودات التنمية الاجتماعية والاقتصادية ـ التي تضطلع بها الأجهزة والادارات الرسمية وغير الرسمية على المستوى المحلي ـ نحو تحقيق اهداف سكانية موجهة للوصول الى حجم امثل للاسرة المصرية في ضوء احتياجات وموارد عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

١٥ـ اعداد خطط نشاط اسبوعية متضمنة للأهداف والوسائل والاجراءات والتوقيت الزمني لعملية التنسيق على المستوى المحلي .

١٦ـ اعداد تقارير نشاط شهرية متضمنة للانجازات والمشاكل والصعوبات في مجال النشاط وارسال صورة منها الى المنسق الاقليمي الرأسي .

١٧ـ الوفاء بمتطلبات التقارير الادارية التي يطلبها المنسق الاقليمي الرأسي .

١٨ـ الاتصال الدائم بالمنسق الاقليمي الرأسي خاصة في مجال التعاون لحل المشاكل سويا .

١٩ـ الحضور والفعالية في أماكن التجمعات الجماهيرية في المناسبات غير المتكررة دوريا مثل الندوات والدورات التدريبية والاعلامية وأى برامج رسمية وغير رسمية على المستوى المحلي .

٢٠ـ اعداد تقارير ربع سنوية متضمنة تقييما ذاتيا عن فعاليات وسلبيات نشاطه في مجال عمله وارسال صورة منها الى المنسق الاقليمي الرأسي .

وتمضى المذكرة لتحدد " طرق اداء العمل" بالنسبة للمنسق المحلى على الوجه التالى :

١ - تحضير مادة مكتوبة عن صفات وسمات البيئة الاجتماعية والاقتصادية فى مجال النشاط مع الاستمرار فى تغذية سجل هذه المادة بكل ما يستجد فى هذا المحيط .

٢ - اتباع اسلوب المقابلات الرسمية وغير الرسمية فى مجال الاتصال مع المسئولين والقيادات واصحاب النفوذ الاجتماعى فى مجال النشاط .

٣ - اتباع اسلوب الفحص الميدانى لمشاكل التنمية الاجتماعية والاقتصادية فى مجال النشاط .

٤ - المساهمة المكتوبة والشفوية والنقاشية فى مجال طرح اقتراحات محددة بشأن مشروعات محلية فى مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية على المستوى المحلى .

٥ - تنظيم ندوات واجتماعات رسمية وغير رسمية مع الجماهير والشخصيات ذات التأثير فى مواجهة حل مشاكل التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

٦ - التخطيط بغرض متابعة سير تنفيذ مشروعات جارية فى مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية وكذلك فى مجال دراسات صلاحيات المشروعات المقترحة فى هذا المجال .

٧ - اتباع اسلوب المناقشة والاقناع بغرض دفع وتحفيز القيادات والجماهير فى مجال النشاط نحو التقدم بمشروعات تنمية الريف من خلال انشاء قنوات تبادل بيانات ومعلومات يتم تداولها فى اجهزة متعددة رسمية وغير رسمية على المستوى المحلى .

٨ - الاتفاق مع المنسق الاقليمى الرأسى على تنظيم دورات تدريبية محلية يتم تنفيذها بواسطة الجهات الرسمية وغير الرسمية على المستوى المحلى .

٩ - المعاونة فى مجال تحضير الوسائل الاعلامية وامداد الاجهزة المحلية الرسمية وغير الرسمية بها للوفاء بتنفيذ خطط الاعلام المحلية .

١٠- التنقل النشط بين القرى المكونة لمجال النشاط بناء على خطة عمل اسبوعية مسبقة .

وتخلص المذكرة فى هذا الصدد الى أن القائم بوظيفة المنسق المحلى ينبغى أن يتصف بما يأتى :

١ - وجود مهارة تعليمية عامة مساوية لمستوى التعليم الجامعى .

٢ - التمتع بقدرة ذكاء فى مجال الاتصال والعلاقات الاجتماعية .

٣ - قدرة التعامل الادارى من خلال اطار قيادة ادارية فى مجال التنسيق .

٤ ـ امكانية التأثير على الاخرين من خلال اكتسابه لدور القدوة والقائد فى مجال نشاطه .

٥ ـ امكانية التحرك النشط على المستوى المحلى والانتقال بين القرى .

٦ ـ القدرة على التكيف المستمر مع الظروف المحيطة بمجال النشاط .

ثانياً : المنسقون الأقليميون :

ان التنسيق المحلى كما اتضح فيما سبق يعد بمثابة المستوى القاعدى للعمل التنسيقى فى المشروع ، ولذلك فقد تداخل عنده مفهومى " المهمة " ، " الوظيفة " . أما التنسيق الأقليمى فانه يعد أول المستويات الوظيفية فى الهيكل الادارى للمشروع بمعنى أنه وظيفة تقتضى من صاحبها التفرغ لأداء مهام محددة . ويشمل مجـــال نشاط المنسق الاقليمى حوالى خمسة مجالس محلية كما تشمل الاعمال المتـــكررة المسندة اليه ما يلى :ـ

١ ـ التواجد المستمر فى مجال النشاط .

٢ ـ الالمام بمحيط البيئة الاجتماعية والاقتصادية فى مجال النشاط .

٣ ـ معاونة المنسق المحلى فى تنمية قيادات محلية فى مجال التنمية الاجتماعيـــة والاقتصادية .

٤ ـ التعرف العام على طبيعة اعمال ونشاط المستويات الادارية الرسمية وغـــير الرسمية فى مجال النشاط .

٥ ـ الاستيعاب الدقيق والمستمر لمفهوم وابعاد المشكلة السكانية وعمليات التنميـة الاجتماعية والاقتصادية فى مجال النشاط .

٦ ـ التكيف الدائم والمستمر مع البيئة الاجتماعية فى مجال النشاط .

٧ ـ معاونة المنسق المحلى فى اطار تحفيز ودفع القيادات المحلية فى مجـــال النشاط نحو اعداد وتنفيذ خطط تنمية اجتماعية واقتصادية على المستـــوى المحلى .

٨ ـ اعتماد خطط نشاط المنسقين والاشراف على كيفية اداء وتنفيذ المنسقـــون المحليون لها .

٩ ـ معاونة المنسق المحلى فى مجال الاتصال بالاجهزة الرسمية وغير الرسمية على المستوى المحلى .

١٠ ـ الاشراف على خطط النشاط الاسبوعية المعدة بواسطة المنسق المحلى .

١١ ـ الاتصال الدائم بالمنسق المحلى خاصة فى مجال التعاون لحل المشاكل سوياً .

١٢ـ تقييم تقارير النشاط الشهرية والربع سنوية التي يقوم باعدادها المنسق المحلي.

١٣ـ انشاء قنوات اتصال لتداول بيانات ومعلومات معدة بواسطة المنسق المحلي وتوصيلها الى مستويات تنظيمية اخرى حسب مقتضيات العمل .

١٤ـ الانتقال بغرض المرور الدوري على المنسقين المحليين .

١٥ـ امداد المنسق المحلي بتسهيلات وامكانيات الدورات التدريبية والاعلامية على المستوى المحلي .

١٦ـ اعداد تقارير شهرية مجمعة عن نشاط انجازات المنسقين المحليين ورفعها الى جهة التبعية المباشرة .

١٧ـ اعداد تقارير شهرية عن نشاطه ورفعها الى جهة التبعية المباشرة .

١٨ـ الوفاء بمتطلبات التقارير الادارية التي تطلبها ـ بخلاف ما سبق ـ جهة التبعية المباشرة .

١٩ـ الحضور والفاعلية في اماكن التجمعات الجماهيرية في المناسبات غير المتكررة دوريا على المستوى المحلي .

٢٠ـ اعداد تقارير ربع سنوية متضمنة تقييما ذاتيا عن فعاليات وسلبيات نشاطه في مجال عمله وارسال صورة منها الى جهة التبعية الادارية المباشرة .

وتتحدد " طرق أداء العمل " بالنسبة للمنسق الأقليمي على الوجه التالي :

١ ـ تحضير مادة مكتوبة عن صفات وسمات البيئة الاجتماعية والاقتصادية في مجال النشاط مع الاستمرار في تغذية سجل هذه المادة بكل ما يستجد في هذا المحيط .

٢ ـ اتباع اسلوب المقابلات الرسمية وغير الرسمية في مجال الاتصال مع المنسقين المحليين والقيادات المحلية في مجال النشاط .

٣ ـ اتباع اسلوب الفحص الميداني لمشاكل المنسقين المحليين .

٤ ـ الاتفاق مع المنسقين المحليين على تنظيم دورات تدريبية محلية يتم تنفيذها بواسطة الجهات الرسمية وغير الرسمية على المستوى المحلي .

٥ ـ المعاونة في مجال تحضير الوسائل الاعلامية وامداد الاجهزة المحلية الرسمية وغير الرسمية بها للوفاء بتنفيذ خطط الاعلام المحلية .

٦ ـ التنقل النشط بين المجالس المحلية المكونة لمجال النشاط بناء على خطة عمل اسبوعية مسبقة .

٧ ـ العمل على حضور جلسات المجلس المحلي في مجال النشاط .

وبناء على ذلك فان المنسق الاقليمي ينبغي ان يتصف بالصفات التالية :

١ ـ وجود مهارة تعليمية عامة مساوية لمستوى التعليم الجامعي .

٢ ـ التمتع بقدرة ذكاء فى مجال الاتصال والعلاقات الاجتماعية .

٣ ـ قدرة التعامل الادارى من خلال اطار اشراف وتوجيه للمنسقين المحليين .

٤ ـ امكانية التقويم الادارى لخطط وانجازات المنسقين المحليين .

٥ ـ امكانية التحرك النشط على المستوى المحلى .

٦ ـ القدرة على التكيف المستمر مع الظروف المحيطة بمجال النشاط .

ثالثا : المنسقون المركزيون :

ويعد التنسيق المركزى ـ كما هو واضح من العنوان ـ بمثابة حلقة الوصل بين القيادة الادارية للمشروع ومستوياته الوظيفية المختلفة .

ويشمل مجال نشاط المنسق المركزى محافظتين ، وتتضمن اعماله المتكررة ما يلى :

١ ـ الالمام الدائم والمستمر بابعاد المشكلة السكانية والسياسة القومية لتنظيم السكان والاسرة والخطط الاقليمية المجمعة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٢ ـ الاشراف على اعداد وتنفيذ الخطط الاقليمية وتوجيهها نحو حلول المشكلة السكانية .

٣ ـ التنسيق بين اعمال وجهود الادارات الاقليمية للتنسيق بما يسهل تحقيق الترابط والتكامل بين اهداف التنسيق الرأسية والافقية .

٤ ـ الاشراف على وضع خطط وسياسات تنفيذ الأنظمة والبرامج الاقليمية والتحقق من تنفيذها واقتراح سياسات جديدة مطورة فى ضوء تحليل البيانات والمعلومات المرفوعة بواسطة الوحدات الاقليمية للتنسيق ورفعها الى المنسق المركزى الرأسى الأول .

٥ ـ الاشراف على اعمال المنسقين الاقليميين الاوائل فى مجال النشاط ومتابعة وتقييم انجازاتهم وانشطتهم بشكل دورى مستمر .

٦ ـ معاونة المنسقين الاقليميين والمحليين فى مجال ايجاد الحلول المناسبة للمشاكل التى تعترضهم خاصة تلك التى لها صفة العمومية ويترتب على حلولها زيادة فاعلية مشروع التنسيق فى مجال النشاط .

٧ ـ المرور ـ على فترات دورية ـ على الوحدات الاقليمية والمحلية للتنسيق بغرض الفحص الميدانى لجميع المشاكل التى تظهر فى دائرة النشاط والتأكد من فعاليات انظمة ادارة اعمال مشروع التنسيق .

٨ ـ حضور الاجتماعات التى تعقدها ادارة التنسيق المركزى للشئون الاقليمية سواء

على المستوى المركزى او المستوى الاقليمى أو المستوى المحلى حسب مقتضيات العمل .

٩ - مشاركة المنسقين المحليين والاقليميين فى حضور البرامج والندوات واللقاءات فى مجال النشاط طبقا لخطة عمل مسبقة على المستويات الاقليمية والمحلية .

١٠- اعداد تقارير انجازات عن اعمال وانشطة ادارة التنسيق الاقليمى فى مجال النشاط وذلك بشكل دورى كل شهر .

١١- اعداد تقارير تقويم ذاتى ربع سنوية عن فعاليات ادارات التنسيق الاقليمية فى مجال النشاط وتحديد الموقف الفعلى من تنفيذ خطة مشروع التنسيق على المستوى الاقليمى والمحلى .

١٢- القيام بما يسند اليه من اعمال أخرى مماثلة .

وتتحدد طرق اداء العمل بالنسبة للمنسق المركزى على الوجه التالى :-

١ - توسيع المدارك الثقافية من خلال قراءات منظمة ودراسات تحليلية لابعاد المشكلة السكانية ولخطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

٢ - التوجيه والاشراف والتنسيق بالنسبة لاعمال التنسيق على المستوى الاقليمى والمحلى فى مجال النشاط .

٣ - عقد وحضور اجتماعات دورية ربع سنوية فى شكل لجنة يتم تكوينها من عضوية المنسقين المركزيين الرأسيين وذلك لطرح سلبيات وايجابيات العمل بما يكفل الخروج بتوصيات لعلاج هذه السلبيات وتعميم الايجابيات فى مجال نشاط كل منسق مركزى رأسى .

٤ - عقد اجتماعات كل ثلاثة اشهر مع المنسقين الاقليميين والمنسقين المحليين فى مجال النشاط بخصوص التنظيم الادارى والمتابعة الدورية لمشروع التنسيق .

٥ - المتابعة الدورية والمستمرة للتقارير المرفوعة بواسطة المنسقين الاقليميين اولا باول واعداد دراسات وردود كتابية بشأنها .

٦ - اتباع اسلوب الاتصال المباشر والدورى فى مجال النشاط لتفقد ما قد يعوق عمل المنسقين الرأسيين والمحليين .

٧ - المساهمة الفعالة فى الاجتماعات وحلقات النقاش الخاصة بمشروع التنسيق .

٨ - اتباع اسلوب الفحص الميدانى لمشاكل التنمية الاجتماعية والاقتصادية على المستويات الاقليمية والمحلية .

٩ - المساهمة المكثفة للمنسقين الاقليميين والمحليين بما يساعدهم فى انجاز عملهم .

اما الصفات التى ينبغى توافرها لشاغل هذه الوظيفة فهى :-

١ ـ التمتع بمهارة تعليمية ساوية على الأقل لمستوى الدرجة الجامعية الأولى .

٢ ـ وجود قدرة عالية فى مجال الاشراف والتوجيه والمتابعة والتنسيق والتخطيط والادارة بصفة عامة .

٣ ـ التمتع بقدرة ذكاء فى مجال الاتصالات الاجتماعية والادارية .

٤ ـ ان يكون ذو كفاية ادارية وفنية فى مجالات السكان والاسرة .

٥ ـ قدرة التعامل الادارى من خلال اطار اشراف وتوجيه المنسقين الاقليميين الاوائل .

٦ ـ امكانية التقييم الادارى لخطط وانجازات المنسقين الاقليميين والمحليين .

الفصل الثالث

عينات الدراسة وأدواتهـــا

تتحدد أدوات أية دراسة أو اساليبها وفقا لاعتبارات عديدة لعل في مقدمتها طبيعة الموضوع الذي تستهدفه الدراسة ، وخصائص الأفراد الذين تتناولهم فضـــلا عن عددهم . ورغم ذلك فان أغلب الدراسات تميل الى وضع عنوانين منفصلين لتناول "العينات والادوات" واذا كان ذلك ممكنا في حالة تشابه الأدوات التي تعتمـــد عليها الدراسة ، فان لم يكن ممكنا بحال بالنسبة لدراستنا . فقد استقر اختيارنا على ثلاثة أساليب تباينت وفقا لطبيعة الجمهور الموجهة اليه ، ووفقا لدرجة التعمق التي نسعى الى بلوغها . ومن ثم فقد اصبحت كل أداة لصيقة بجمهورها ، واصبحـــت خصائص الجمهور أو العينة بمثابة المبرر لاختيار الأداة بحيث لم يعد امامنـــا الا أن نعرض لخصائص كل اداة مصحوبة بخصائص جمهورها .

ولعلنا قبل أن نشرع في هذا العرض توضح قضية منهجية قد تثير شيئـــا من التساؤل : ترى هل نحن اذن حيال ثلاث دراسات منفصلة ليس ثمة ما يجمع بينهما ؟ واجابتنا بايجاز أن وحدة الدراسة انما تتمثل في موضوعها وليس في أدواتهـــا ، تستوى في ذلك دراسات العلوم الطبيعية والانسانية . فدراسة الانسان مريضا - على سبيل المثال - قد تتطلب رسما للمخ ، وعدا للنبض ، وقياسا للحرارة ، فضلا عـــن بيان بالتاريخ المرضى الفردى أو الأسرى ، الى جانب قياس لبعض الوظائف العقليـــة .... الى آخر تلك المتطلبات التي يقتضى استيفائها العديد من الأدوات التي لا يجمع بينها الا الموضوع وهو الانسان مريضا .

أ - الاستبيــــان :

لقد فضلنا اسلوب الاستبيان لاستقصاء البيانات المتعلقة بالمنسقين المحليين . وللاستبيان كاداة فنية عدد من المزايا كما ان له العديد من المثالب ، فهـــو يكاد يكون أيسر الادوات تطبيقا ، واشدها ضبطا ، واكثرها قابلية للجدولة والحســابات الاحصائية . اما أخطر مثالب الاستبيان التي تعنيها في هذا الصدد فتكاد تتمثل في أنه يفتقد بناء تلك العلاقة "الشخصية" بين الباحث والمبحوث والتي نفضل أن نطلق عليها علاقة الأنا - انت ، وما يترتب على غيابها من تسطح للبيانات ، وغلبة للتعبـــير عن الخصائص المرغوبة اجتماعيا على حساب الخصائص المفضلة شخصيا .

ولعلنا لا نعد و الحقيقة حين نقرر اننا لم نختر اسلوب الاستبيان حرصا منا على الاستفادة من ميزاته ، بل اخترناه لانه بدا لنا بسلبياته الأكثر ملاءمة وواقعية بالنسبـــة للمنسقين المحليين ، أو بعبارة أدق فانه الاكثر ملاءمة لطبيعة العلاقة بينهم وبـــين مشروع السكان والتنمية ، ومن ثم فانه الأنسب عمليا لاداء الفرض . ان التنسيق المحلى كما سبق ان أوضحنا اقرب الى أن يكون "مهمة" منه الى كونه "وظيفة" لذلك فان المنسق

المحلى يكون غارقا فى اداء مهام وظيفته الرئيسية مضافا اليها مهام التنسيق المحلى وليس من اليسير على المنسق المحلى ـ والامر كذلك ـ أن يتفرغ لنا أكثر من دقائق قليلة لاستيفاء البيانات المطلوبة . خاصة واننا لا نمثل السلطة الادارية التى يتبعها ومن ثم لا نستطيع أن نلزمه ـ ولو معنويا ـ بترك عمله الادارى والتفرغ لنا . وقد كان فى استطاعتنا على أى حال أن نسعى للحصول من أجهزة الحكم المحلى على ما ييسر لنا استخدام ادوات فنية أكثر تعمقا من الاستبيان ، ولكنا لم نجد لذلك ضرورة ملحة ، فتعيين المنسق المحلى ونقله وترقيته وانهاء خدمته كلها أمور تخرج عن نطاق سلطتنا . ومن ثم فان التعمق فى دراسة هذا المجال لن يؤدى بحال الى الخروج بتوصيات قابلة للتطبيق اللهم الا اذا تولت الدراسة أجهزة الحكم المحلى بشكل مباشر .

وقد تم تصميم الاستبيان بحيث تكونت صورته النهائية من عشرين سؤالا نستطيع تصنيفها على الوجه التالى :

١ ـ اسئلة تستهدف استيفاء عدد من البيانات الواقعية عن المبحوث : الاسم ، المؤهل ، الوظيفة الحالية ومدة شغلها ، الوظيفة السابقة ومدة شغلها ، محل الاقامة ، ثم الحالة الزواجية .

٢ ـ اسئلة استهدفت استطلاع اراء المنسقين المحليين فى عدد من الانشطة والمؤسسات التى تدخل فى نطاق المشروع :

- تقويم الدورات التدريبية ومدى اهميتها لأداء عملهم .
- تصورهم للمهام الموكلة الى "المنسق الاقليمى" ، "المنسق المركزى" .
- تصورهم لأهداف مشروع السكان والتنمية ، ومعوقات بلوغ تلك الأهداف ، واقتراحاتهم فى هذا الصدد .
- تصورهم لمعوقات فعالية اللجان الاستشارية واقتراحاتهم فى هذا الصدد .
- اقتراحاتهم لتنشيط دور الرائدات الريفيات فى المشروع .
- رؤيتهم لطبيعة التغير الذى تشهده القرية المصرية .

وقد شملت عينة الاستبيان ٩٧ منسقا محليا من بينهم ٥٢ ممن يشغلون منصب "رئيس وحدة محلية" و ٤٥ ممن يشغلون منصب "سكرتير وحدة محلية" . وقد تم اختيار افراد العينة عشوائيا من بين المنسقين المحليين العاملين فى ستة محافظات هى : محافظة الشرقية وقد اختير منها ١٧ منسقا ، ومحافظة البحيرة وقد اختير منها ٢٠ منسقا ، ومحافظة الدقهلية وقد اختير منها ١٧ منسقا ، ومحافظة المنيا وقد اختير منها ١٤ منسقا ومحافظة أسيوط وقد اختير منها ١٨ منسقا ، ومحافظة كفر الشيخ وقد اختير منها ١١ منسقا .

ب ـ المقابلة المتعمقة :

تم تحديد بنود المقابلة المتعمقة خلال عدة جلسات مطولة مع المسئولين عن

مشروع السكان والتنمية ، ومن ادارة البحوث في جهاز تنظيم الاسرة والسكان* وكان الهدف الأساسي لتلك الجلسات أن نطمئن الى أن البنود المقترحة تتفق عليها مع الأهداف التفصيلية للدراسة ، وأن تشمل الدراسة محاولة للاجابة على كافة التساؤلات العملية التي تواجه المسئولين عن العمل التنسيقي في الجهاز ، وقد اسفرت تلك المناقشات في النهاية ، وبعد تعديلات شاملة ـ عن الاستقرار على ٤٥ بندا تغطي المجالات التي نسعى الى استكشافها .

لقد كان المنسقون المحليون هم عينتنا الأولى ، والتي اخترنا لاستكشافها اداة الاستبيان ، أما عينتنا الثانية ، التي اخترنا لها اسلوب المقابلة المتعمقة فتتمثل أساسا في المنسقين الاقليميين والمركزيين وقد سبق أن أوضحنا ان "المنسق الاقليمي" يعد أول المراتب الوظيفية في مشروع السكان والتنمية من الناحية الادارية . فرغم انهم في غالبيتهم العظمى منتدبون من مصالح وجهات حكومية مختلفة الا ان انتدابهم يكون انتدابا كاملا ، ومن ثم فان اختيارهم يتم عن طريق سلطات جهاز تنظيم الاسرة والسكان ويعملون كمتفرغين وفقا لقوانينه ولوائحه الداخلية . ومن ناحية أخرى فان طبيعة الدور المسند الى المنسق الاقليمي وطبيعة المهام الموكلة اليه تجعل منه بمثابة حجر الزاوية في العمل التنسيقي برمته . بعبارة اخرى فقد بدا لنا أن المنسقين الاقليميين ـ فضلا عن المنسقين المركزيين بطبيعة الحال ـ يقومون بالدور الأهم في العمل التنسيقي بالمشروع. كذلك فان توصياتنا بشأنهم قد تجد فرصة اكبر في مجال التطبيق بحكم انتمائهم الوظيفي الكامل للمشروع .

كانت تلك هي المبررات "الادارية "التي اتاحت لنا فرصة اختيار اداة يتطلب استخدامها وقتا أطول ، وتتطلب ممارستها خبرة فنية اعمق واكثر تخصصا ، ومثل تلك الادوات عديدة متنوعة ، وقد آثرنا ان نختار من بين تلك الادوات اسلوب المقابلة المتعمقة وذلك لأسباب أهمها :-

١ - أنها الاداة الانسب ـ فيما نرى ـ لاستطلاع الاتجاهات حيال القضايا المشحونة باتجاه اجتماعي رسمي محبذ أو معارض ، ففي مثل هذه الحالات تفقد الاسئلة المباشرة الكثير من دلالتها الحقيقية .

٢ - ان الموقف الذي يتم فيه استخدام اسلوب المقابلة المتعمقة يكفل قدرا اكبر من الصدق السطحي ـ اي الاقناعية ـ حيث يكون أقل اصطناعا واقرب الى مواقف الحوار الطبيعي الذي لا يكف الافراد عن ممارسته في حياتهم اليومية ، ولذلك فقد التزمنا في اجراء المقابلات بأن يكون الموقف طبيعيا قدر الامكان بحيث لا يلتزم الباحث بترتيب شكلي محدد للفقرات بل يحاول استيفاء البيانات المطلوبة خلال تفاعل تلقائي بينه وبين المبحوث .

---

* شارك في هذه الجلسات الاستاذة الدكتور هيفاء الشنواني ، والاستاذ مصطفى السيد ، من ادارة البحوث ، كما شارك فيها الاستاذ احمد عبد الفتاح مدير عام مشروع السكان والتنمية آنذاك .

وقد تم تطبيق المقابلات المتعمقة على جميع المنسقين المركزيين والا قليميين ومديرى المكاتب القائمين بالعمل فترة تطبيق البحث ، والذى بلغ عددهم ٦٥ منسقا اقليميا بالاضافة الى ١٢ مدير مكتب ، وستة منسقين مركزيين*. وقد كان توزيع المنسقين الاقليميين ومديرى المكاتب جغرافيا على الوجه التالى :-

الشرقية (٥) ، الجيزة (٧) ، بنى سويف (٦) ، الفيوم (٧) ، البحيرة (١١) ، الدقهلية (٦) ، المنيا (٨) ، أسيوط (٦) ، دمياط (٢) ، القليوبية (٧) ، الغربية (٧) ، كفر الشيخ (٥) .

جـ - الملاحظة المشاركة :

غنى عن البيان أن موقف الفلاح عن المسألة السكانية يختلف بدرجة أو بأخرى عن ما يصل الينا على صفحات الاستبيان (١) ، ويرجع ذلك التباين الى اسباب عدة لعل أهمها فيما نرى :-

(أ) يذهب باحث الاستبيانات الى القرية بعد تدريب على مختلف الأسئلة التى ستطرح وتحذيرات بعدم الخروج على النص ، مزودا بمختلف أساليب تضييق الخناق على المبحوث .. بعبارة أخرى ، فان خطوات اعداد باحث الاستبيان تجرى كما لو كنا بصدد اعداده لمواجهة البحوث كخصم مراوغ عليه أن يستنطقه بعبارة جامدة محتميا خلف حاجز الاستبيان ملتزما جانب الحذر دائما فى اتباع التعليمات حتى تلك المتعلقة ببناء علاقة مع المفحوص فى وقت محدد وحدود وفقا لالفاظ متفق عليها مسبقا .

(ب) أن الامساك بالورقة والقلم وطرح السؤال وتسجيل الأجابة يذكر الفلاح بالمحقق ، ومهما حاول الباحث نفى هذا التصور ، فانه يبقى فى خلفية العلاقة .

(جـ) أن زيارة باحث الاستبيان للقرية تكون خاطفة ، بحيث يدخل القرية غريبا ويخرج منها غريبا .. ونحن نعلم موقف الفلاح المتشكك فى الأغراب (٢) ... حتى انه اصبح يتميز بحاسة خاصة يتعرف من خلالها على بغية الباحث

---

* نظرا لقلة عدد المنسقين المركزيين فقد استحال فنيا عرض البيانات الخاصة بهم فى جداول مستقلة خلال عرضنا لنتائج الدراسة . كما انه نظرا لتمايز الدور الذى يقومون به فاننا لم نجد من الملائم ان ندمج بياناتهم ضمن بيانات المنسقين الاقليميين ، وهو الاجراء الذى اتبعناه بالنسبة لمديرى المكاتب مثلا . ولذلك فقد آثرنا أن نشير الى بيانات المنسقين المركزيين فى ثنايا البحث كلما وجدنا ذلك ضروريا .

(١) قدرى حفنى "انماط الوعى والسلوك لدى الفلاحين المصريين تجاه تنظيم الاسرة" دراسات سكانية ، ع ٥٧ ، ابريل / يونية ١٩٨١ .

(٢) قدرى حفنى "حول التكوين السيكولوجى المصرى" دراسات ، العدد السابع/١٩٧٥

فيجاملة بتقديم الاجابات والردود التى ترضيه وتجعل اقامته فى القرية أو فى بيت الفلاح قصيرة بقدر الامكان .

(د) ان الوجود العاطف المنشغل لباحث الاستمارة فى القرية يجعله عاجزا عن روءية الوقائع الحقيقية التى تدور من حوله ، وهى — من وجهة نظرنا — أهم كثيرا من الاجابات على الأسئلة . . لا يلتفت الباحث لهذه الوقائع لانشغاله من ناحية ، ولأن هذه الوقائع لا تقابلها أسئلة فى الاستمارة التى معه من ناحية أخرى .

(هـ) ان هذا الموقف — موقف الاستبيان — لا يتيح أقامة علاقة انسانية بين الباحث والمبحوث تقوم على التساوى والتبادل والمشاركة — حيث يبقى من حق الباحث دائما أن يطرح الأسئلة ويكون على الفلاح دائما أن يقدم الأجابة أى اجابة .

علينا أذن أن نحاول التعرف على الموقف الحقيقى للفلاح من المسالة السكانية واضعين فى الاعتبار حقيقة "ان الفلاح المصرى النمطى . . يقرر لفظيا انه على علم بزيادة سكان مصر وبالدعوة الى تنظيم الأسرة ، وانه مقتنع بضرورة هذا التنظيم ، ثم يأخذ اتجاهه الايجابى فى الخفوت عندما يشرع فى الافصاح لفظيا عن ممارسته لوسائل تحديد النسل ثم لا تلبث الصورة أن تتضارب وتتداخل ملامحها لدى محاولة الربط بين ما يقوله أيا كانت طبيعته ، وبين العدد الفعلى لأبنائه ومكانته الاقتصادية الاجتماعية". ومسلمين على المستوى النظرى بأنه من الطبيعى "أن يتسق فعل الفرد مع قوله باعتبار أن القول والفعل على حد سواء تعبير عن وعى الفرد بواقعه الاجتماعى ومن ثم فان الفجوة بين القول والفعل انما تعبر عن وجود ضغوط اجتماعية تحول دون الفرد والتعبير اللفظى عن وعيه الخاص بواقعه أو تحول دونه وبين السلوك وفقا لهذا الوعى ، وانه بمجرد زوال تلك الضغوط الاجتماعية يعود الفرد الى الاتساق الطبيعى بين الوعى والقول والفعل . . (١) .

ولذلك فقد اعتمدت دراستنا على اسلوب لجمع البيانات هو "الملاحظة بالمشاركة" . . . وفيه ينتقل الباحث الى حيث الظاهرة موضوع الدراسة ويعيش بين أهلها ملاحظا ومشاركا لفترة زمنية كافية . . وفى نهاية كل يوم يقوم الباحث بتسجيل ملاحظاته ومشاهداته المختلفة والمتعلقة بمشكلة الدراسة تسجيلا دقيقا . . وتمثل هذه التسجيلات اليومية فى النهاية مادة الدراسة الميدانية التى تخضع للتحليل (٢)

---

(١) قدرى حفنى "انماط الوعى والسلوك لدى الفلاحين المصريين تجاه تنظيم الاسرة" مرجع سابق ص ١٠

(٢) لمزيد من التعرف بهذا المنهج انظر ما يلى :
* احمد ابو زيد "الطريقة الانثربولوجية لدراسة المجتمع" ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، ع ١٠ ، ١٩٥٦ (ص ٨٥)

* Babbie, R.E. The practice of social research, Woodworth. 1979.

* Spindler, G. Being an anthropologist, (eds),Holt, 1970.

الذى نطلق عليه عادة "اعادة التركيب" ونعنى به التأليف التركيبى للمعارف المتخصصة المتناثرة عن جماعة بشرية معينة أو تجمع بشرى معين .. (١) وقد يرى البعض أن المادة التى يشير اليها التعريف السابق تختلف عن المادة الخاصة بهذه الدراسة ، غير أن هذا لا يغير من الطريقة فى شىء طالما أن المادة المتوفرة تتوفر فيها الشروط المطلوب توافرها حتى يمكن اتباع أسلوب اعادة التركيب ، شروط التراكم والتنوع والتعدد (٢) التى تتوفر فى مادة بحثنا على النحو التالى :ـ

أ ـ تلقائية الوقائع والأحداث أتاحت التعدد فى وجهات النظر التى وجهت الوقائع والأحداث التى تم رصدها .

ب ـ تنوع مصادر المعلومات من حيث أنها لم تقتصر على قرية واحدة ، ومن حيث انها لم تقتصر على تكوين معين أو جماعة معينة داخل كل قرية .. كما تم الاعتماد على اكثر من مصدر للمعلومات داخل القرية .

جـ ـ تراكم وتكرار الاحداث والوقائع والأسماء الذى يرتبط ارتباطا طرديا مع مدة الاقامة فى موقع الدراسة .

وقبل أن نخوض فى تفاصيل ما أتبعنا من أساليب ، نتوقف قليلا لابراز أهم ما تثيره تلك الأساليب من مشاكل وما يتوافر لها من ميزات ...

(١) مشكلة الذاتية ـ الموضوعية :

لا شك أنها مشكلة تقليدية تواجه كل المشتغلين بالعلم دون استثناء ويكون طرحها فى هذه الدراسة أكثر الحاحا نتيجة لطبيعة منهجها ، حيث يخرج الباحث الى الميدان دون أن يتسلح بالادوات التى يرى البعض أنها تجنب الباحث الوقوع أسير ذاتيته وتدنو به الى الموضوعية .. يقول : "سبندلر" ان القيام بدور المشارك والملاحظ فى نفس الوقت قد يبدو شيئا مستحيلا ، ولكن هذا هو بالضبط ما يجب على الانثروبولوجى أن يدرب نفسه على القيام به .. أن القائم بالملاحظة الموضوعية يجب أن يكون منغمسا ومستقلا فى نفس الوقت متفقا ومتعاطفا وموضوعيا ... (٣)

ويشير ذلك الى أن تحقيق الموضوعية فى اتباع هذا الاسلوب يكون أكثر صعوبة ، ولذا تتوالى جهود الباحثين المختلفين من أجل أن يكونوا متمتعين بالحياد العلمى فى عملهم الميدانى الا أن "سبندلر" يذكر فى موضع آخر من كتابه ما يشبه القول الفصل فى هذه المشكلة حيث يقول : أنه لأمر مجاف

---

(١) قدرى حفنى دراسة فى الشخصية الأسرائيلية ـ الاشكنازيم" .. مركز بحوث الشرق الأوسط ـ مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٥ (ص ٧٣) .

(٢) المرجع السابق .. (ص ٧٥) .

(3) Spindler,G. ''Fieldwork among Menomin '', IN: G. Spindler, Op.Cit. , P. 230

للطبيعة الأنسانية ان تكون موضوعها فحسب فى مجتمع انسانى ، بل اننا نقترب من الموضوعية كثيرا عندما نقر باهتماماتنا الشخصية ، فبدون اقرارنا بتلك الاهتمامات لا نستطيع على الاطلاق ان نحيط بها ، أو نتحكم فيها بدرجة أو بأخرى أو أن نعتمد عليها كمصدر ثرى للبيانات والاستبصارات" (١) .

واذا كان سبندلر يطرح هذه القضية من موقعه كانثروبولوجى فقد سبق لنا أيضا أن طرحنا نفس القضية فى مجال علم النفس وبالتحديد فى مجال دراسات شخصية الجماعة (٢) .

(٢) مشكلة الصدق :

لا شك أنها وثيقة الصلة بالمشكلة السابقة ، الذاتية - الموضوعية ، فربما تؤدى النظرة الذاتية الى عدم كشف الحقيقة كما توجد فى الواقع . وترتبط هذه المشكلة من ناحية أخرى ، بامكانية تعميم النتائج التى نحصل عليها ، ففى العادة تتم هذه الدراسات على جماعة أو تجمع فرد دون المجتمعات الأخرى الكثيرة التى توجد بها ذات الظاهرة . وحتى لوتحققت لنا درجة عالية من الصدق فى دراسة هذا المجتمع أو ذاك فان هذا قد لا يعنى بالضرورة صدق نفس النتائج على المجتمعات الاخرى حيث الظاهرة موضوع الدراسة . .

ذلك هو مجمل ما يقال فى هذا الشأن . . وبعد أن أوضحنا أن الذاتية هى جزء من طبيعة الانسان ، بل هى جزء يمكن أن يساعد على تحقيق مزيد من الفهم للظاهرة الانسانية بالانغماس فيها ، وهذا ما لا تتيحه الاساليب التى تدعى الدقة والضبط والموضوعية المطلقة والتى تحرص دائما على أن تبقى بعيدة بدرجة كافية عن الظاهرة المدروسة باصطناع الحواجز - الأدوات - المختلفة . . بعد ذلك نقول ان اسلوب الملاحظة بالمشاركة يتيح الاقتراب من الظاهرة والدخول فيها والتجوال بين جنباتها والنظر اليها من الخارج ومن الداخل ايضا بما يمكن فى النهاية من تحقيق فهم شامل لها قد لا تتيحه الاساليب الاخرى .

يقول " بابى " : " .. أن البحث الميدانى يمثل الأسلوب الفعال فى دراسة الظلال الدقيقة للاتجاهات والسلوك بشكل خاص ، وفى اختبار العمليات الاجتماعية عبر الزمن . . ولهذه الاسباب ، فان القوة الرئيسية لهذا المنهج تكمن فى عمق الفهم الذى يتيحه "(٣) .

---

(1) Spindler, G. Op.Cit., P. V1

(٢) قدرى حفنى " دراسة فى الشخصية الاسرائيلية - الاشكنازيم " ، مرجع سابق

(3) Babbie, R.E. Op. Cit., P. 227

هذا الفهم العميق ذاته ، هو الذي يزيد من قابلية النتائج التي نحصل عليها بواسطة هذا المنهج للتعميم .. أن .. الرأي السائد الآن عند الانثروبولوجيين هو أننا نستطيع أن نصل الى معرفة أوفى وأصدق عن طبيعة المجتمع البشري في عمومه بدراسة مجتمعات معينة دراسات مركزة معتمدة على الملاحظة المباشرة بقصد التعرف على طبيعة بعض المشكلات المحددة ومحاولة حلها (١).

وهناك محكات متعددة للتحقق من صدق الانطباعات التي نخرج بها من استخدام هذا الاسلوب .. أهمها " الاتساق الداخلي " بين المشاهدات المختلفة طولا وعرضا .. أي الاتساق بين انطباعات الباحثين ، اذا كان هناك اكثر من باحث ميداني واحد في الميدان .. وبين الانطباعات التي سجلت في بداية فترة الملاحظة وبين تلك التي سجلت في نهايتها .. كذلك ، " الاتفاق الخارجي " ، أي الاتفاق مع مشاهدات وملاحظات ودراسات سابقة ... (٢) .

واذا انتقلنا بالحديث الى أهم مميزات هذا المنهج ، فاننا نشير الى ما يلي : -

١ - انه يحقق التناول الشامل الكلي للظاهرة دون التناول الجزئي التفتيتي لها .
٢ - انه يتيح - بقدر كبير - التعامل مع الظاهرة في واقعها المعاش وبقدر قليل جدا من الاصطناع .
٣ - انه يمكن من الاقتراب الشديد من الظاهرة والتعمق فيها ..
٤ - انه يتيح اقامة علاقة انسانية حقة بين الباحث ومجتمع البحث ، ولذا نتوقع أن يخلو موقف البحث من أي نوع من الضغط الاجتماعي على الفلاح ، بما يتيح له الاتساق وعيا وقولا وفعلا ، وخاصة في المراحل المتقدمة من العمل الميداني .

لكل ما سبق ، ابتداء من موضوع الدراسة وطبيعته ، ثم مجتمع الدراسة وخصائصه المعروفة وانتهاء الى خصائص اسلوب " الملاحظة بالمشاركة " وطبيعته ، لكل ما سبق وقع الاختيار على هذا الاسلوب لعله يتيح لنا الاقتراب من الحقيقة كما تبدو في الحياة الفعلية ، وكما يمارسها ابناء المجتمع المعين .

وفيما يلي عرض موجز للاجراءات التي اتبعناها في انجاز هذه الدراسة بها ..

---

(١) احمد ابو زيد : مرجع سابق .. (ص ٩٨) .

(٢) Spiro, M. Children of the Kibbutz, Schocken, 1965, PP. 30-31.

(١) المجال الجغرافي والزمني والبشري :

تم اجراء الدراسة في " قرية شنبارة الميمونة " - مركز الزقازيق - محافظة الشرقية ، حيث اتيح للباحث* الاقامة داخلها في استراحة الوحدة المحلية ... وبالفعل أقام بها في الفترات التالية :-

- من ٥ /٧/ ١٩٨١ الى ٩ / ٧ / ١٩٨١ **
- من ١١/٨/١٩٨١ الى ١٢/ ٨ / ١٩٨١
- من ١٩/٩/١٩٨١ الى ١٤/١٠/١٩٨١

وكان محك الاختيار الأساسي هو أن تكون القرية ضمن مشروع السكان والتنمية ، حيث يفترض أن تكون المسألة السكانية موضع اهتمام أكبر وحيث يمكن تقييم التجربة .

كذلك كان توفر الاقامة داخل القرية من أهم محددات الاختيار الذى شاركني فيه - مشكورين - الأخوة المسئولين عن مكتب تنظيم الأسرة والسكان بمحافظة الشرقية ...

واذا كانت قرية " شنبارة الميمونة " هي المجال الرئيسي لهذه الدراسة فلقد أمكن للباحث جمع بعض المشاهدات من قرى أخرى هي :-

أ - قرية المشاعلة - مركز أبو كبير - محافظة الشرقية ، حيث ذهب الباحث الى هذه القرية ضمن فريق من الباحثين النفسيين والاجتماعيين لاجراء دراسة تقويمية لأسلوب " التفاعل " داخل الجماعة " من حيث قدرته على تغيير اتجاهات فلاحي القرية نحو المسألة السكانية ، ومشكلة انتشار مرض البلهارسيا ، وكان ما سبق يمثل جزءا من نشاط احدى قوافل التنمية التي تنظمها جامعة الأزهر ، وقد تردد الباحث على هذه القرية مع فريق الباحثين على فترات متباينة لعمل دراسة تتبعية لأثر هذا الاسلوب المشار اليه ، وكان ذلك في المدة من ٢٥/٣/١٩٨١ الى ٢٧/٣/١٩٨١ ، وكذلك يوم ٩/٤/١٩٨١ .

ب - قرية نزالي الحوجات - مركز أبنوب - محافظة أسيوط .. وقد تواجد فيها الباحث من ١٣/٤ الى ١٦/٤/١٩٨١ ضيفا على صديق له من أبنائها ..

جـ - قرية صول - مركز الصف - محافظة الجيزة .. وقد توجه اليها الباحث مع مجموعة باحثين في دراسة استطلاعية استغرقت يوما واحد (٢٥/٥/٨١)

---

* المعنى بتعبير " الباحث " في هذا المقام الدكتور/ محمد محمد سعد خليل مدرس علم النفس بآداب عين شمس ، وعضو هيئة البحث .

** شارك الباحث في الفترة الاولى المشار اليها زميل من أعضاء هيئة البحث هو محمد محسن العرقان ، الباحث بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية .

ولقد أتاح هذا الوضع تعددا فى مصادر جمع المادة ، حيث شمل :

أ - قرى من الوجه البحرى (شنبارة الميمونة - المشاعلة) ، وأخرى من الوجه القبلى (نزالى الحرجات - صول) .

ب - قرى تتبع مشروع السكان والتنمية (شنبارة الميمونة - صول) ، وأخرى لا تتبعه (المشاعلة - نزالى الحرجات) .

جـ - قرى كبيرة (شنبارة الميمونة - صول) وأخرى صغيرة (نزالى الحرجات) .

د - قرى قريبة من المراكز الحضرية الكبيرة (شنبارة الميمونة) وأخرى بعيدة (نزالى الحرجات - صول) .

هـ - قرى توجه اليها الباحث بوصفه باحثا (شنبارة ، صول ، المشاعلة) ، وأخرى توجه اليها بوصفه زائرا لأحد أبنائها (نزالى الحرجات) .

و - قرى توجه اليها الباحث بمفرده (شنبارة الميمونة) ، وأخرى ذهب اليها ضمن فريق من الباحثين (صول - المشاعلة) .

هذا ولم تقتصر الدراسة على جماعة دون الأخرى داخل القرية ، حيث لم يتحدد بشكل مسبق جماعة معينة تستهدفها الدراسة ، بل جرى التعامل مع القرية بمختلف تكويناتها ، وفيما يلى وصف للمجال الرئيسى للدراسة وهو قرية "شنبارة الميمونة" .

تقع القرية فى أقصى الحدود الغربية لمحافظة الشرقية وبالقرب من حدود محافظتى الدقهلية والقليوبية ، وكانت تتبع - اداريا - محافظة الدقهلية حتى وقت قريب ، وقبل أن تنتقل تبعيتها للشرقية بناء على مساعى أهلها لأن عاصمة محافظة الشرقية قريبة اليهم بعكس عاصمة محافظة الدقهلية . . يبلغ عدد سكانها حوالى أربعة عشر ألف نسمة ، يزرعون حوالى ١٨٢٢ فدان ومزروعاتهم فى معظمها تقليدية (قطن - قمح - ذرة - ارز) الى جانب مساحة صغيرة تزرع بالخضروات (وخاصة الباميه) ، وان كانت هذه المساحة آخذة فى الازدياد فى الآونة الأخيرة ، حيث انها تحقق دخلا كبيرا مقارنة بما تحققه المزروعات الأخرى من دخل - والى جانب الزراعة كحرفة رئيسية ، هناك عدد كبير من الحرفيين (حوالى ٢٠٠ جزار - ٢٥ خياط - ٣٠ بقال - ٦ مقاهى - ٢ مكوجى - ٢ ميكانيكى سيارات - ٥ عربات نقل - ٢٠ جرار - ٣ مخابز - مطحنين - ورش نجارة - ورش صناعة أحذية - صيدلية - صالون حلاقة - العديد من محلات البقالة المزودة بثلاجات عرض وثلاجات "ديب فريزر") . ولقد ساعد على انتشار هذه الحرف كون القرية مركزا لتقديم خدمات عديدة للقرى المحيطة بها ، كما أن بالقرية عدد من المعاهد الأزهرية - ابتدائى واعدادى وثانوى للجنسين - بحيث أن عددا كبيرا من الطلاب يفدون اليها من قرى ومحافظات أخرى ، بل أن بعضهم يقيم فى

القرية طوال العام الدراسى فى " شقق مفروشة " ، ولا يقتصر هذا على الذكور ، بل يشمل الأناث أيضا .. والى جانب ما سبق فان هناك بعض الاستثمارات التجارية الصغيرة مثل شراء الجرارات الزراعية وتأجيرها للآخرين ، وكذلك السيارات الأجرة ، ومحال المأكولات والمشروبات. كذلك هناك مزرعة دجاج ضخمة قطاع خاص .. هناك أيضا جماعة متزايدة الحجم من الموظفين من أبناء القرية المقيمين سواء كان عملهم داخلها أو خارجها .

وليس من الصعب على شاهد العيان أن يلحظ ما يسود القرية من انتعاش اقتصادى ينعكس اساسا فى انتشار انماط استهلاكية ترفيه بالقرية ، وينعكس أيضا فى المشروعات الخدمية الضخمة التى قامت فى القرية بالجهود الذاتية وبعيدا عن أى جهاز من الاجهزة الرسمية أو الشعبية ، وان كان هذا لم يحل دون ان تشارك تلك الاجهزة فى العمل وان كان ذلك من خلال دور ثانوى تسهيلى تشجيعى وربما تشجيعى ، وربما ساعد على هذا الدور ، ان كبار المسئولين عن هذه الاجهزة هم من ابناء القرية ، وقادتها غير الرسميين من قبل .. ومن هذه المشروعات انشاء المعاهد الدينية ، وشبكة مياه الشرب فى جزء كبير منها ، وشبكة الصرف الصحى فى جزء كبير منها ، وكلها مشاريع تمت فى معظمها بالجهود الذاتية .

ولقد أدى وجود مؤسسات التعليم بمراحله الثلاثة داخل القرية ، فضلا عن وجود جامعة الزقازيق ، وهى تبعد حوالى ١٢ ك.م. فقط عن القرية ، كل ذلك أدى الى ارتفاع نسبة المتعلمين بها .

ويبلغ الامتداد العمرانى للقرية حوالى ٢ ك.م. طولا ، وتنتشر بها مساكن حديثة (طوب أحمر - مسلح) بشكل ملفت للنظر .. ومن السهل تبين حدود الامتداد العمرانى للقرية منذ فترة وجيزة والذى كان حوالى ثلثى الامتداد الحالى ، حيث الزحف العمرانى على الأرض الزراعية بالتحايل على القانون تارة وباستغلال ثغرات تارة أخرى ، ولما كان برج المياه الذى يغذى القرية بمياه الشرب غير قادر على الوفاء بالحاجة المتزايدة ، وغير قادر على دفع المياه للأدوار العليا ، فقد كان قرار بناء برج آخر للمياه يبلغ ضعف حجم الآخر اتساعا وارتفاعا ، ويوشك العمل ان ينتهى فيه .. كذلك يوجد بالقرية ثمانية مساجد كبيرة فى معظمها ، وبيت ثقافة ، ومركز شباب ، وجمعية استهلاكية صغيرة الحجم وفقيرة الامكانيات .

ومن ناحية أخرى ، يسود فى القرية جو من الهدوء النسبى ، حيث تخلو من المشاكل التقليدية فى صورتها الحادة ، والتى توجد فى قرى أخرى ولعل ذلك يرجع الى انكباب اهل القرية على عملهم فى الزراعة أو التجارة أو كلاهما معا ، والى ارتفاع وتقارب المستوى الاقتصادى ، والى ارتفاع نسبة التعليم ، والى تداخل الأسر من خلال النسب .

(٢) دخول القرية * :

في اليوم الأول من العمل الميداني ، رافقني المنسق الأقليمي المسئول عن هذه القرية وقدمني للمسئولين بها ، بصفتي باحثا أقوم بعمل دراسة لصالح جهاز تنظيم الاسرة والسكان . ورحب بنا المسئولون بالوحدة المحلية بالقرية ، وقدموا مكانا للاقامة الدائمة فضلا عن كافة المساعدات الأخرى التي كنت اطلبها منهم .

وبذلك أمكن دخول القرية على المستوى الرسمي ، وبقيت المهمة الصعبة ، وهي الدخول الى القرية على المستوى الجماهيري ، وبالطبع كان الدخول تدريجيا ، وفي البداية كنت حريصا على الظهور في القرية كثيرا حتى يصبح وجودي مألوفا . . ولقد قام " الاخباريون ** " بدور حيوي في هذا الشأن لكونهم من أبناء القرية ، فعن طريقهم استطعت الدخول الى التجمعات التي ينتمون هم لها ، على الأقل . وعلى الرغم من أن أحد الاخباريين قد طرح على فكرة أن يتم تقديمي لأهل القرية باعتباري أحد اقاربه ، مفضلا ذلك على تقديمي لهم بصفتي باحثا ، الا أنني لم اوافق على هذا ، وكنت حريصا دائما على أن اذكرهم - الاخباريين - من حين الى آخر ، بالصفة التي يقدمونني بها لأهل القرية باحث يدرس مشاكل القرية والفلاح المصري . . وبالطبع لم يقتصر دور الاخباريين على مجرد تقديمي لاهل القرية ، بل تعدى ذلك كثيرا ، فضلا عن انهم كانوا في حد ذاتهم مصدرا هاما للمعلومات كانوا ايضا قاموسي الحي لفهم ما لا استطيع فهمه من احداث ورموز ، وكانوا عونا في سد الثغرات في المعلومات . . والأهم من هذا وذاك انهم كانوا أحد محكات الصدق الهامة وذلك من خلال مقارنة ومطابقة ما يقدمه كل منهم من معلومات بما يقدمه الآخر ، كذلك بمطابقة الشواهد المباشرة مع الشواهد غير المباشرة التي احصل عليها من خلالهم .

---

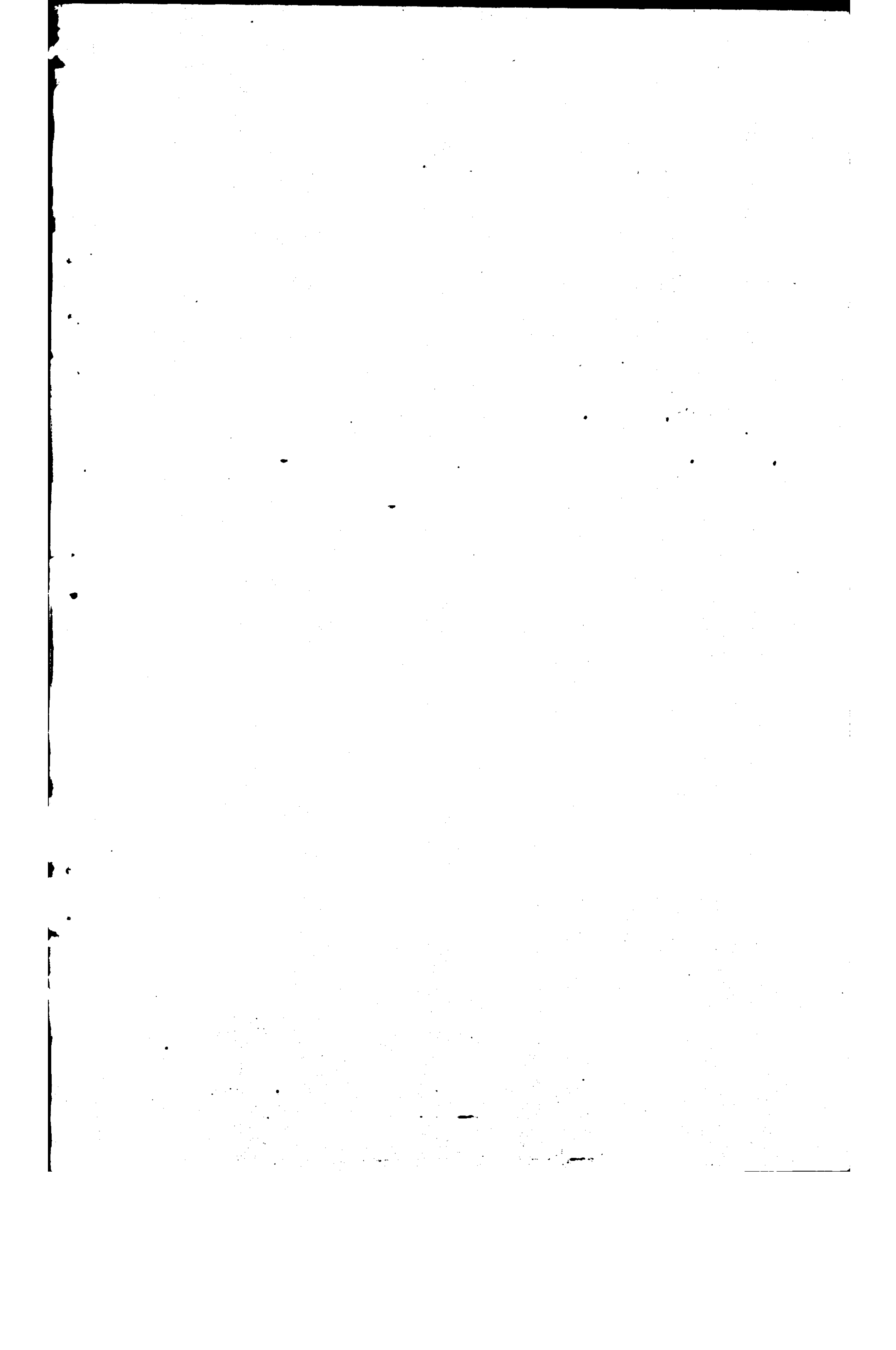
* فضلنا أن ننقل خطوات دخول القرية بنفس الألفاظ التي تضمنها تقرير الباحث الزميل الدكتور محمد خليل في هذا الصدد ، وكذلك فقد ابقينا على استخدامه لصيغة ضمير المتكلم .

** في المراحل الأولى من الدراسة تم اختيار عدد من الاخباريين من أبناء القرية وكان محك الاختيار هو ما أبدوه من استعداد ذاتي للمشاركة في البحث ، وما توسمه فيهم الباحث من نضج انفعالي ودرجة من الوعي والالمام بالقرية ، وبالطبع تباينت درجة اهمية كل منهم عن الآخر ، كذلك فان درجة المامهم بتفاصيل هدف البحث اختلفت من أحدهم للآخر . أيضا ، كان اشتراك بعضهم في العمل مسبوقا باتفاق بينهم وبين الباحث ، في حين كان البعض الآخر يسهم في العمل دون اتفاق على ذلك . وكانت مشاركتهم جميعا بدون مقابل مادي .

الباب الثانـــى

المنسقون وموقعهم من الواقـــع الاجتمـــاعـى

* المنسقون وعملهـــم
* المنسقون وخصائصهم الاجتماعيـــة



الفصل الرابع

المنسقون وعملهم

لعله مما يستوقف النظر للوهلة الاولى ان الطابع العام للقائمين بالعمل التنسيقي فى المشروع انهم اما منتدبون من جهات اخرى كما هو الحال بالنسبة لغالبية المنسقين المركزيين والاقليميين ومديرى المكاتب ، واما تابعون كلية لجهات ادارة اخرى ويكلفون بالعمل التنسيقي كمهام تضاف الى مهام وظائفهم الاصلية وبحكم شغلهم لهذه الوظائف كما هو الحال بالنسبة للمنسقين المحليين . ولعل هذه الظاهرة فى حاجة الى وقفة لتفسيرها : لماذا لم يتم تعيين موظفين ثابتين متفرغين لاداء العمل التنسيقي فى المشروع ؟ ان الامر يرجع الى عدد من العوامل المتشابكة اهمها فى رأينا عاملين يتعلق أولهما بالفلسفة التى حكمت المشروع منذ بدايته الأولى ، فالعمل التنسيقي - وفقا لهذه الفلسفة - على انتقالى تتمثل قمة نجاحه فى امكانية الاستغناء عنه ببلوغ المشاركة الشعبية غايتها حيث يتم آنذاك الاستغناء عن دور المنسقين تماما .

أما العامل الثانى فيتعلق بطبيعة العمل التنسيقي ذاته أو بعبارة أدق بطبيعة المهام الموكلة الى المنسقين . لقد كان تعبير " المنسق " - ولعله مازال - تعبيرا جديدا غير مألوف فى مجال الوظائف والاعمال . وكانت طبيعة المهام المتوقع منه اداءها تستعصى على التصنيف تحت اية فئة وظيفية معروفة . ومن ثم فقد كان الاختيار لشاغلى هذه الوظائف امرا بالغ الصعوبة فى البداية ، خاصة وان المشروع فى بدايته الاولى لم يكن يحتاج عمليا الا لعدد محدود من المنسقين . اما الآن وقد اتسع نطاق المشروع فالأمر يحتاج الى وقفة مراجعة تبدأ بدراسة الموقف الراهن للمنسقين الاقليميين والمركزيين القائمين بالعمل التنسيقي فعلا .

الخبرات الوظيفية السابقة

ترى ما هى طبيعة الأعمال التى كان يقوم بها المنسقون قبل التحاقهم بالعمل التنسيقي فى المشروع ؟ لقد حاولنا أن نتبين هذه الخبرات ، ولم يكن يعنينا بطبيعة الحال مجرد رصد مسميات الوظائف التى كان يشغلها المنسقون قبل انتدابهم . ولذلك فقد حرصنا خلال المقابلات على استقصاء طبيعة الممارسات السابقة التى كان يقوم بها الفرد فعلا سواء كانت فى اطار وظيفته الرسمية السابقة أو خارج هذا الاطار . وسواء كانت تلك الممارسات تطوعية أو مدفوعة الأجر .

ويلخص الجدول التالى طبيعة تلك الخبرات :

جدول رقم (١)

الخبرات السابقة للمنسقين

نوعية الخبرة	ك	٪
لا توجد أية خبرات سابقة	٥	٤ر٦
خبرات مكتبية وظيفية	٧٨	٧١ر٦
خبرات في مجال الادارة الجماهيرية	١٥	١٣ر٨
خبرات في المجال السياسي	٩	٨ر٣
خبرات في مجال البحث العلمي	٢	١ر٨

ن = ٨٣ (٦٥ منسقا اقليميا + ١٢ مدير مكتب + ٦ منسقين مركزيين)

ونستطيع ان نستشف من هذا الجدول عددا من الدلالات اهمها :

أ ـ ان نسبة ضئيلة من المنسقين (٤ر٦٪) لم تكن لديهم اية خبرات وظيفية سابقة وتتفق هذه النتيجة مع طبيعة اسلوب الانتداب الذى يغلب على الالحاق بالعمل التنسيقي في المشروع .

ب ـ تتوافر لدى الغالبية العظمى من المنسقين (٧١ر٦٪) خبرات مكتبية وظيفية سابقة وهي نتيجة تتفق ايضا مع طبيعة العمل الوظيفي الادارى في بلادنا حيث يندر ان نجد وظيفة تخلو من طابع العمل الكتابي تماما وان تفاوت بروز هذا الطابع من وظيفة لأخرى .

جـ ـ تتوافر لدى نسبة صغيرة من المنسقين (١٣ر٨) خبرات سابقة في مجال الادارة الجماهيرية . ويشمل هذا المجال تلك الخبرات الادارية التى تتطلب ممارسة اساليب الاتصال الجماهيرى بشكل أو بآخر وقد كان من ابرز نوعيات تلك الخبرات السابقة لدى المنسقين خبراتهم في مجال الارشاد الزراعي .

ونستطيع ان نخلص من مجمل تلك الدلالات الى أن ٢٣ر٩٪ فحسب من المنسقين هم الذين تتوافر لديهم خبرات ما الى جانب خبرة العمل المكتبي وهي نسبة لا تبدو متفقة ـ فيما نرى ـ مع طبيعة المهام الموكلة الى المنسقين ، والتى سبق ان عرضنا لها تفصيلا . فهذه المهام تتسم في المقام الاول بطابع الاتصال الجماهيرى وهو ما تفتقده طبيعة الخبرات السابقة للمنسقين كما اتضحت من الجدول السابق .

وغنى عن البيان أن جانبا من الخبرة السابقة غير المنظورة انما يكتسبها الفرد خلال تعليمه ، وذلك باعتبار أن التعليم ـ ايا كانت طبيعته ـ لا يعدو أن يكون نوعا

من اكساب الخبرة واكتسابها . ولذلك فسوف نحاول ان نلقى نظرة على الخبرات التعليمية السابقة للمنسقين :

الخبرات التعليمية السابقة للمنسقين

تتضمن بيانات الجدول التالى طبيعة الخبرات التعليمية السابقة للمنسقين وذلك وفقا لنوعية الشهادات التعليمية الحاصلين عليها :

جدول رقم (٢)

الخبرات التعليمية السابقة للمنسقين

الوظيفة / التخصص العلمى	رئيس وحدة		سكرتير وحدة		مجموع المنسقين المحليين		المنسقون الاقليميون	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
دبلوم الزراعة	-	-	٣٤	٧٥ر٦	٣٤	٣٥ر١	١	١ر٣
بكالوريوس الزراعة	٢٦	٥٠	٢	٤ر٤	٢٨	٢٨ر٩	٣٤	٤٤ر٢
بكالوريوس التعاون الزراعى	٢	٣ر٨	٢	٤ر٤	٤	٤ر١	١	١ر٣
عالمية الأزهر	-	-	١	٢ر٢	١	١ر٠	٢	٢ر٦
بكالوريوس الخدمة الاجتماعية	٢	٣ر٨	-	-	٢	٢ر١	١٣	١٦ر٩
بكالوريوس التجارة	٥	٩ر٦	٣	٦ر٧	٨	٨ر٣	١٣	١٦ر٩
ليسانس الآداب	٨	١٥ر٤	-	-	٨	٨ر٣	١٢	١٥ر٦
ليسانس الحقوق	٩	١٧ر٤	٢	٤ر٤	١١	١١ر٣	١	١ر٣
غير مبين	-	-	١	٢ر٢	١	١ر٠	-	-
المجموع	٥٢		٤٥		٩٧		٧٧	

ونستطيع ان نستخلص من بيانات الجدول السابق عددا من الدلالات أهمها :

أ ـ التفاوت واضح بين شاغلى منصب " رئيس وحدة محلية " ، وشاغلى منصب " سكرتير وحدة محلية " . فرؤساء الوحدات المحلية جميعا من الحاصلين على شهادات جامعية عليا ، فى حين ان نسبة هؤلاء من بين سكرتيرى الوحدات المحلية لا تتجاوز ٢٤ر٤ ٪ واذا كان ذلك التفاوت مفهوما ومنطقيا فى ضوء طبيعة المناصب الادارية الوظيفية التى يشغلونها ، فانه يثير قدرا من التساؤل حيث لا يوجد فى اطار توصيف وظائف مشروع السكان والتنمية ما يشير الى تباين المهمات المسندة الى كل من الفئتين .

ب ـ ان الخبرات التعليمية السابقة لنسبة كبيرة من المنسقين تتركز فى مجال

التعليم الزراعي (بكالوريوس زراعة ، ودبلوم الزراعة ، وبكالوريوس التعاون الزراعي) . حيث تبلغ هذه النسبة ٦٨ر١٪ بين المنسقين المحليين ، ٨ر٤٦٪ بين المنسقين الاقليميين ونظرة الى المقررات التي يدرسها الطالب في مجال التعليم الزراعي توضح أن ما تلقاه خلال هذا التعليم فيما يتصل بتنمية مهارات الاتصال الجماهيري لا يعدو أن يكون مادة واحدة هي مادة الارشاد الزراعي فضلا عن تشبع هذه المادة بالطابع النظري والامر لا يختلف عن ذلك كثيرا فيما يتعلق بخريجي بقية المعاهد والكليات التي ينتمي اليها المنسقون .

تدريب المنسقين

لعل احساس القائمين على مشروع السكان والتنمية بتلك الفجوة التي اشرنا اليها بين الخبرات السابقة للمنسقين وبين طبيعة المهام الموكلة اليهم هو ما دفعهم الى التركيز الشديد على اهمية دور التدريب في مجال العمل التنسيقي . فقد بلغت نسبة من تلقوا تدريبا من بين المنسقين المحليين ٧٥ر٩١٪ كما اننا لم نجد منسقا اقليميا أو مركزيا واحدا لم يتلق اكثر من دورة تدريبية . ومن واقع خبرتنا بطبيعة الدورات التدريبية التي تنظمها ادارة مشروع السكان والتنمية نستطيع ان نقرر انه لا توجد دورة من تلك الدورات تخلو بشكل مباشر أو غير مباشر من تدريب على تنمية مهارات الاتصال . فحتى في الدورات المتخصصة التي تخلو عناوين موضوعاتها من اشارة مباشرة لموضوع " الاتصال " كموضوع قائم بذاته فان الاسلوب الذي تتبناه الادارة في تقديم مواد الدورات التدريبية بعامة يهدف دائما الى تنمية مهارات الاتصال .

وتكتمل صورة العمل التدريبي حين نعرف ان نسبة لا تتجاوز ٢٪ من مجموع المنسقين هم الذين ابدوا عدم اقتناعهم بأهمية التدريب ، وقد كانوا جميعا من المنسقين المحليين .

التنقلات المهنية بين المنسقين

تشمل تلك التنقلات عادة حركة المنسق افقيا أو رأسيا في اطار العمل التنسيقي الذي يقوم به في المشروع خلال مدة عمله به . ولكي تتضح لنا الصورة فان علينا في البداية أن نلقي الضوء بشكل عام على مدة عمل المنسقين الحاليين بالمشروع وهو ما يوضحه الجدول التالي :

جدول رقم (٣)

مدة عمل المنسقين الاقليميين بالمشروع

مدة العمل بالمشروع	ك	٪
اقل من عـــام	١١	٣ر١٤
من عام واحد الى اقل من عامين	١١	٤ر٢٣
من عامين الى اقل من ثلاثة اعوام	٢٤	٢ر٣١
ثلاثة أعوام فاكثـــر	٢٤	٢ر٣١

وقبل أن نعلق على بيانات الجدول السابق ينبغى أن نضع فى اعتبارنا أمرين : الأمر الأول ان عمر المشروع عند جمع هذه البيانات لم يكن يتجاوز السنوات الاربـــع (١٩٧٧ - ١٩٨١) ، والامر الثانى ان المشروع لم يبدأ مرة واحدة بطاقته الحالية بل بدأ فى نطاق محدود ثم اتسع بعد ذلك . وفى ضوء هذه الاعتبارين نستطيـع أن نستخلص من بيانات الجدول السابق أن ما يقرب من ثلث القائمين حاليا بالعمل التنسيقى (٢ر٣١٪) قد بدأوا عملهم مع بداية المشروع . وهذا يعنى ان ثمـــة امكانية لا بأس بها لتراكم الخبرة العملية بالمجال . ولكن التراكم الفعلى لتـــلك الخبرة أمر يتدخل فى تحقيقه العديد من العوامل المتشابكة لعل من اهمها :

أ - الحركة الرأسية للقائم بالعمل وهو ما يعرف فنيا باسم الحراك المهنى . فانتقال العامل الاكثر خبرة الى المستوى الاشرافى الاعلى يجعله فى موقعه الجديد اكثر قدرة على نقل وتعميم ما تراكم لديه من خبرات .

ب - الحركة الأفقية للقائم بالعمل ونعنى بها انتقال العامل من عمل الى عمل آخر مختلف ولكنه فى نفس المستوى الوظيفى الاشرافى . ومثل هذه الحركة الافقيـــة هى التى تكفل للعامل احاطة اكثر شمولا بتنوعات العمل المختلفة ومن ثم فانها تكون التمهيد المنطقى لحركته الرأسية الى المستوى الأعلى .

ولنبدأ أولا بتبين حجم الحركة الافقية بين المنسقين الاقليميين . ولقد سبق أن أوضحنا فى عرضنا لطبيعة المهام المسندة الى المنسق الاقليمى انها تقتضـــى بالضرورة تواجده الدائم فى نطاق المحافظة التى يعمل بها ، وبناء على ذلك فان الحركة الأفقية بين المنسقين الاقليميين تعنى فى نفس الوقت انتقال مقار عملهم من محافظة الى أخرى .

ويوضح الجدول التالى حجم هذه الحركة .

جدول رقم (٤)
الحركة الأفقية للمنسقين الاقليميين

الحركة الافقيـــة	ك	٪
لم ينتقل من محافظتـــه	٧٥	٩٧ر٤
انتقل من محافظتـــه	٢	٢ر٢
المجمـــوع	٧٧	

وغنى عن البيان أن بيانات الجدول تشير بوضوح الى ان تلك الحركة الافقيـــة تكاد ان تكون منعدمة . وفى الحقيقة فان تلك الظاهرة منطقية تماما فى اطــــار الظروف الديموجرافية التى تعيشها بلادنا حيث يستلزم انتقال الفرد واسرته من مكان اقامة الى آخر تكبده من المشاق الاقتصادية والبيروقراطية ما يجعل من هذا الانتقال امرا يصعب تلبيته مهما كانت ضرورته .

اما بالنسبة للمنسقين المركزيين ، حيث لا تتطلب الحركة الافقية انتقالا مـــن محل اقامة المنسق نظرا لأنهم يقيمون جميعا بحكم طبيعة عملهم فى القاهرة حيـــث الادارة المركزية للمشروع فان الصورة تختلف حيث بلغ متوسط عدد المحافظات الـــتى سبق للمنسق المركزى الاشراف عليها خلال فترة عمله بالمشروع أربعة محافظات ، كما ان المنسقين المركزيين جميعا قد مروا بخبرة الحركة الأفقية هذه فيما عدا واحـــد منهم فقط وهو احدثهم التحاقا بالمشروع اذ لم تكن قد مضت على التحاقه به آنـذاك الا عدة شهور فحسب .

واذا ما انتقلنا الى الحركة الرأسية بين المنسقين الاقليميين ، فاننا نستطيـــع ان نتبين حجمها من بيانات الجدول التالى :

جدول رقم (٥)
الحركة الرأسية للمنسقين الاقليميـــين

الحركة الرأسيـــة	ك	٪
لم يحدث انتقال رأســـى	٧١	٩٢ر٢
حدث انتقـــال رأســـى	٦	٧ر٨
المجمـــوع	٧٧	

لو شئنا وبشكل اكثر دقة من الوثائق الرسمية المنظمة للعمل ، وهو ما قمنا به بالفعل خلال صفحات الفصل الأول من الدراسة . أما رؤية المنسق لعمله فنعني بها أمرا آخر ، أو بالأحرى اموراً أخرى أهمها :

أولا : رؤية المنسق للاهداف النهائية التي يسعى العمل التنسيقي الى بلوغها ولقد حرصنا خلال اجراء المقابلات المتعمقة على ابراز وتوضيح أن ما نسعى اليه ليس مجرد الاستماع الى فقرات من الوثائق المنشورة بشأن أهداف المشروع . بل اننا نسعى للتوصل الى رأيه فيما ينبغي ان تكون عليه تلك الأهداف من خلال معايشته له .

ثانيا : رؤية المنسق للمعوقات التي تعترض من وجهة نظره السبيل لتحقيق هذه الاهداف وما يراه من اقتراحات لمواجهتها والتغلب عليها .

ثالثا : رؤية المهام التي ينبغي على المنسق القيام بها لأداء عمله على الوجه الأكمل .

رابعا : تحديد الخصائص الشخصية التي ييسر توافرها لدى المنسق قيامه باداء عمله على الوجه الأكمل ، وتلك الخصائص التي تعوق اداءه لهذا العمل .

أولا : رؤية المنسقين للاهداف النهائية لما يقومون به :

لقد حاولنا في هذا المجال ان نرصد رؤية المنسقين لما يهدف اليه مشروعهم أي مشروع السكان والتنمية . ويوضح الجدول التالي مجمل ما توصلنا اليه . وقد قمنا بتصنيف الاهداف التي اشار اليها المنسقون في اجاباتهم الى فئات ثلاث :

- اهداف تتصل مباشرة بتنظيم الأسرة ،
- واهداف تتصل بالتنمية الاقتصادية الريفية ،
- واهداف تتصل بالتغيير الاجتماعي في الريف .

ويتضح من بيانات الجدول السابق مدى ضآلة حجم الحركة الرأسية للمنسقين الاقليميين حيث قرر ٩٢,٢٪ منهم انه لم يحدث اى تغيير رأسى فى مواقعهم الوظيفية ، وحتى بالنسبة للمنسقين الستة الذين قرروا حدوث مثل هذا التغيير فقد تبين ان اربعة منهم كانوا يقصدون به انتقالهم من صفوف المنسقين المحليين الى صفوف المنسقين الاقليميين ، وواحدا أصبح "نائب مدير المكتب" وهى مجرد تسمية لم تجد لها توصيفا وظيفيا ، وواحدا فقط هو الذى اصبح بقرار ادارى رسمى قائم بعمل مدير المكتب نظرا لخلو هذا المنصب فجأة . بعبارة اخرى فان احدا من المنسقين الاقليميين لم ينتقل ليصبح منسقا مركزيا وهو ما اكدته - من ناحية اخرى - نتائج مقابلاتنا مع المنسقين المركزيين حيث اتضح ان احدا منهم لم يكن قبل ذلك منسقا اقليميا .

وقد يكون صحيحا من الناحية القانونية الادارية أن المنسق المركزى لا يرأس المنسق الاقليمى ، ولكننا رغم ذلك لا نستطيع أن نسقط من الاعتبار حقيقتين واقعيتين :-

الاولى : ان المنسق المركزى هو المسئول عن الاشراف على المنسق الاقليمى وتوجيهه ومتابعته وتقييم ادائه لعمله ورفع ما يراه فى هذا الصدد الى الادارة العليا للمشروع .

الثانية : ان تقارير المتابعة التى يقدمها المنسق المركزى بشأن القائمين بالعمل التنسيقى الاقليمى تمثل الركيزة الاساسية فى اتخاذ أية قرارات بشأنهم وخاصة فيما يتعلق بالحوافز المادية أو بعدم تجديد انتدابهم للعمل فى المشروع . ومن ثم فليس غريبا ان ننظر من وجهة النظر النفسية الاجتماعية الى العلاقة بين المنسق المركزى والمنسق الاقليمى باعتبارها علاقة ذات طابع رأسى .

أما مصدر ظاهرة انعدام الحركة الرأسية فى العمل التنسيقى فانها ترجع فيما نرى الى أمرين اساسيين :

أولا : ان الغالبية العظمى من المنسقين الاقليميين وجانبا كبيرا من المنسقين المركزيين منتدبون من جهات عمل اصلية يتبعونها .

ثانيا : ان العدد المتعارف عليه للمنسقين المركزيين محدود باعتبار ان المنسق المركزى يعهد اليه بالاشراف على العمل التنسيقى فى محافظتين ، والمشروع يغطى حاليا اثنتى عشر محافظة .

رؤية المنسقين للعمل التنسيقى

ينبغى أن نميز فى البداية بين "رؤية" المنسق لعمله ، وبين المهام الموكلة اليه رسميا فى اطار هذا العمل فمعرفة تلك المهام نستطيع استيفاءها

جدول رقم (٦)

أهداف مشروع السكان والتنمية كما يراها المنسقون الاقليميون والمركزيون

الاهداف	نماذج من الاجابات	ك	٪
اهداف ذات طابع اقتصادى	الميكنة الزراعية . كهربة الريف . زيادة فرص العمل . توفير الخدمات . استغلال الامكانيات الاقتصادية المتاحة ... الى آخره	١٦٤	٣٦٫٦
اهداف تتصل بتنظيم الاسرة	خفض معدلات المواليد . خفض معدلات الوفيات . تحسين الخصائص السكانية . جذب ممارسات جدد . الحد من الانفجار السكانى .. الى آخره .	١٥٧	٣٥٫٠
اهداف ذات طابع اجتماعى	تعليم المرأة . نشر الوعى الثقافى والصحى . تغيير انماط السلوك السائدة . ورفع مستوى مشاركة الاهالى فى تحمل مسئوليات التنمية ... الى آخره .	١٢٧	٢٨٫٣
		٤٤٨*	

* نظرا لأنه كان لكل منسق أن يختار أى عدد يراه من الأهداف فقد تم حساب النسبة المئوية اعتمادا على مجموع تكرارات الاشارة الى كل فئة من فئات تصنيف الاهداف .

ويتضح من بيانات الجدول السابق ما يلى :

أ - أن رؤية المنسقين لأهداف المشروع تتسم بالتعددية حيث ان متوسط عدد الاهداف التى اشار اليها كل منسق قد بلغ ٥٫٤ هدفا (ن = ٨٣) .

ب - أن الأهداف ذات الطابع الاقتصادى تحتل المقدمة (٣٦٫٦٪) ، تليها الأهداف المتصلة مباشرة بتنظيم الأسرة (٣٥٪) ، فى حين تأتى الاهداف ذات الطابع الاجتماعى فى ذيل القائمة (٢٨٫٣٪) .

واذا كانت تعددية أهداف المشروع من وجهة نظر المنسقين تعد سمة ايجابية وواقعية فيما نرى ، فاننا لابد وان نقف امام ظاهرة احتلال الاهداف ذات الطابع الاجتماعي لذيل قائمة الأهداف خاصة وان تلك الاهداف وفقا لتصنيفنا تتضمن فيما بينها "السعى الى رفع مستوى مشاركة الاهالى فى تحمل مسئوليات التنمية" وهو ما يبدو لنا الهدف الرئيسى للمشروع .

ثانياً : رؤية المنسقين للمعوقات وسبيل مواجهتها :

يرى المنسقون ان ثمة عقبات تعترض سبيل مشروع السكان والتنمية ، ويوضح الجدولان التاليان ما خلصنا اليه فى هذا الصدد .

جدول رقم (٧)

معوقات مشروع السكان والتنمية كما يراها المنسقون الاقليميون والمركزيون حسب ترتيب تكرار ورودها

الترتيب	المعوقات	ك	٪*
١	ضعف التمويل والامكانيات	٣٥	٤٢ر٢
٢	قلة الحوافز للعاملين	٢٤	٢٨ر٩
٣	قصور الاعلام بالمشروع	٢١	٢٥ر٣
٤	الأمية	٢٠	٢٤ر١
٥	الفهم غير الصحيح للدين	٢٠	٢٤ر١
٦	التعقيدات الروتينية	١٦	١٩ر٣
٧	عدم الجدية من قبل المسئولين	١٤	١٦ر٩
٨	صعوبة تغيير العادات والتقاليد	١٠	١٢ر٠
٩	عدم توفر وسائل منع الحمل	١٠	١٢ر٠
١٠	عدم توفر الاطباء	٨	٩ر٦
١١	عدم التنسيق بين الاجهزة	٧	٨ر٤
١٢	عدم توفر الرائدات الريفيات	٦	٧ر٢
١٣	عدم وجود جهاز ادارى كفء	٥	٦ر٠
١٤	قلة كفاءة اللجنة الاستشارية	٥	٦ر٠
١٥	عدم وجود خطة واضحة	٣	٣ر٦
١٦	صعوبة مساهمة الاهالى فى انشطة المشروع	٢	٢ر٤
١٧	ندرة الأيدى العاملة	٢	٢ر٤
١٨	الآثار الجانبية لوسائل منع الحمل	٢	٢ر٤
١٩	عدم اقتناع الفقراء	٢	٢ر٤
٢٠	عدم وجود حوافز كافية للممارسات	٢	٢ر٤
٢١	لا توجد أية معوقات	٧	٨ر٤

* ن = ٨٣

جدول رقم (٨)

تصنيف معوقات مشروع السكان والتنمية التى اشار اليها المنسقون

فئة التصنيف	المكونات
معوقات اقتصادية	ضعف التمويل والامكانيات . قلة الحوافز للعاملين . عدم وجود حوافز كافية للممارسات .
معوقات اجتماعية	الأمية . الفهم غير الصحيح للدين . صعوبة تغيير العادات والتقاليد . ندرة الأيدى العاملة . عدم اقتناع الفقراء .
معوقات ادارية وتخطيطية	قصور الاعلام . التعقيدات الروتينية . عدم الجدية من قبل المسئولين . عدم التنسيق بين الاجهزة . عدم وجود جهاز ادارى كفء . قلة كفاءة اللجنة الاستشارية . عدم وجود خطة واضحة . صعوبة مساهمة الاهالى فى انشطة المشروع .
نقص الامكانات البشرية .	عدم توفر الأطباء . عدم توفر الرائدات الريفيات .
معوقات تتصل بوسائل منع الحمل	عدم توفر وسائل منع الحمل . الآثار الجانبية لوسائل منع الحمل .

ونستطيع أن نستخلص من الجدولين السابقين عددا من الدلالات أهمها :

أ - يرى المنسقون ان أولى العقبات التى تحد من انطلاق المشروع تتمثل فى قصور الامكانيات الاقتصادية ، وتتفق تلك الرؤية - على أى حال - مع رؤيتهم لأهداف المشروع كما أشرنا اليها فى تعليقنا على بيانات الجدول رقم (٦) .

ويحدد المنسقون أوجه القصور المالى التى يرون انها تكون العائق الاقتصادى فى ثلاثة مجالات : أولها ضعف التمويل والامكانيات وكان المقصود بهذا المجال على وجه التحديد ضعف تمويل المشروعات وضعف امكانيات الانتقال والمواصلات للمنسقين اما المجال الثانى فهو قلة الحوافز التى تصرف للعاملين وقد شمل تعريف "العاملين" فى هذا الصدد المنسقين المركزيين والاقليميين والرائدات الريفيات . أما المجال الثالث فهو عدم وجود حوافز كافية للممارسات .

ب - يرى المنسقون أن ثمة عقبات اجتماعية تعوق تقدم المشروع . فالفهم غير الصحيح للدين - الى جانب العادات والتقاليد المحبذة للانجاب - يحد من تجاوب الجمهور مع الدعوة الى تنظيم الأسرة . أما الأمية التى اشار اليها المنسقون باعتبارها واحدة من العقبات الهامة والتى صنفناها وفقا لما هو شائع - ضمن العقبات الاجتماعية ، فان المنسقين الذين اشاروا اليها قد اعتبروها بحق ضمن معوقات التنمية الاجتماعية الاقتصادية . ويبقى فى مجال العقبات الاجتماعية عقبتان متكاملتان حيث تؤدى ندرة الايدى العاملة فى الزراعة الى صعوبة اقتناع الفلاحين الفقراء بضرورة تنظيم الأسرة .

جـ - يرى المنسقون أيضا أن ثمة عقبات ادارية وتخطيطية تعوق تقدم المشروع نحو أهدافه وفى مقدمة تلك العقبات " قصور الاعلام " وتصنيفنا لهذه العقبة ضمن العقبات الادارية والتخطيطية يرجع الى طبيعة طرح المنسقين لها ، فالقصور الاعلامى فى رأيهم ليس قصورا فى الامكانيات الفنية أو فى الامكانيات البشرية ولكنه قصور فى الاهتمام والتخطيط الاعلامى . ويتفق ذلك التحديد مع بقية ما اشار اليه المنسقون من عقبات ادرجناها ضمن هذه الفئة .

د - اشار المنسقون أيضا الى نقص الامكانيات البشرية فيما يتعلق بالأطباء والرائدات الريفيات .

هـ - اشار المنسقون كذلك الى أمرين يتعلقان بوسائل منع الحمل . الامر الأول هو قلة المطروح من تلك الوسائل أحيانا ، والامر الثانى هو ما يترتب على استخدام بعض الوسائل من أعراض جانبية .

كانت تلك هى أهم ملامح رؤية المنسقين لما يعترض مشروعهم من عقبات، ترى كيف كانت رؤيتهم لسبل مواجهة تلك العقبات ؟

ويوضح الجدولين التاليين رؤية المنسقين لسبل مواجهة العقبات التى تعترض تقدم مشروع السكان والتنمية .

جدول رقم (٩)
مقترحات المنسقين لمواجهة العقبات التى تعترض مشروع السكان والتنمية حسب ترتيب تكرار ورودها

الترتيب	المقترحات	ك	٪
١	زيادة اهتمام اجهزة الاعلام بالمشروع	٣٠	٣٦ر١
٢	زيادة الحوافز المقدمة للعاملين بالمشروع	٢٩	٣٤ر٩
٣	زيادة الامكانيات والتمويل	٢٨	٣٣ر٧
٤	زيادة الاهتمام بتدريب العاملين بالمشروع	٢٥	٣٠ر١
٥	تنفيذ مشروعات يهتم بها الاهالى	٢٤	٢٨ر٩

تابع جدول رقم (٩)

مقترحات المنسقين لمواجهة العقبات التى تعترض مشروع السكان والتنمية حسب ترتيب تكرار ورودها

الترتيب	المقترحات	ك	٪
٦	زيادة اشراك رجال الدين فى أنشطة المشروع	١٣	١٥ر٧
٧	الاهتمام بأنشطة محو الأمية	١٣	١٥ر٧
٨	منح حوافز مجزية للأسر الملتزمة بتنظيم الأسرة	٨	٩ر٦
٩	زيادة جدية مختلف الأجهزة المعنية	٦	٧ر٢
١٠	منح حوافز مجزية للأطباء	٦	٧ر٢
١١	اشراك ذوى الكفاءة فى اللجان الاستشارية	٥	٦ر٠
١٢	توفير وسائل تنظيم الأسرة	٥	٦ر٠
١٣	توفير وسائل المواصلات للعاملين بالمشروع	٥	٦ر٠
١٤	عقد المزيد من ندوات ومحاضرات التوعية	٤	٤ر٨
١٥	زيادة التنسيق والتعاون بين الأجهزة المعنية	٣	٣ر٦
١٦	زيادة عدد الرائدات	٢	٢ر٤
١٧	سرعة البت فى المشروعات المقترحة	٢	٢ر٤
١٨	توفير الاعداد الكافية من الأطباء	٢	٢ر٤
١٩	منح المزيد من الصلاحيات للمنسقين	٢	٢ر٤
٢٠	انشاء مكاتب تنظيم اسرة بالقرى	١	١ر٢
٢١	انشاء وحدات حسابية بمكاتب تنظيم الاسرة	١	١ر٢
٢٢	تفرغ الرائدات تماما لعملهن	١	١ر٢

جدول رقم (١٠)

تصنيف مقترحات المنسقين بشأن مواجهة العقبات التى تعترض المشروع

الفئة	المكونات
زيادة مصادر التمويل	زيادة الحوافز المقدمة للعاملين بالمشروع . زيادة الامكانيات والتمويل . منح حوافز مجزية للأسر الملتزمة بتنظيم الأسرة . منح حوافز مجزية للاطباء
دفع عملية التغيير الاجتماعى	زيادة اشراك رجال الدين فى أنشطة المشروع . الاهتمام بأنشطة محو الأمية . عقد المزيد من ندوات ومحاضرات التوعية

تابع جدول رقم (١٠)
تصنيف مقترحات المنسقين بشأن مواجهة العقبات
التى تعترض المشروع

	الفئة	المكونات
١	تطوير الانشطة الأدارية والتخطيطية	زيادة اهتمام اجهزة الاعلام بالمشروع. زيادة الاهتمام بتدريب العاملين بالمشروع. تنفيذ مشروعات يهتم بها الاهالى . اشراك ذوى الكفاءة فى اللجان الاستشارية . زيادة التنسيق والتعاون بين الاجهزة المعنية . سرعة البت فى المشروعات المقترحة . منح المزيد من الصلاحيات للمنسقين .
	توفير العمالة اللازمة للمشروع	توفير الاعداد الكافية من الأطباء . زيادة عدد الرائدات والعمل على تفرغهن لعملهن تماما .
	توفير وسائل تنظيم الاسرة	العمل على توفير وسائل تنظيم الأسرة .

لقد كان سؤالنا للمنسقين يدور حول ما يقترحونه من حلول للمشكلات التى تعترض من وجهة نظرهم مشروع السكان والتنمية ، ونظرة عابرة الى بيانات الجدولين السابقين تبين أن ثمة خلطا بين مفهومى " الحل " و " المطلب " وكلاهما يندرج عادة تحت عنوان " الاقتراحات " والتمييز بين هذين المفهومين ضرورى رغم صعوبة الالتزام به فى اطار ثقافتنا المصرية المعاصرة . " الحل " اقتراح بخطوة تنفيذية اقرب الى الاجراء العملى أما " المطلب " فانه اقتراح بتلبية حاجة ما بصرف النظر عن كيفية هذه التلبية . ولقد حاولنا خلال المقابلات المتعمقة التى اجريناها مع المنسقين أن نصل الى أقصى ما يمكننا الوصول اليه من اقتراحات الحلول وان نتجاوز قدر ما نستطيع عن اقتراحات تلبية الرغبات . ومع ذلك فاننا لا نستطيع أن ندعى اننا قد بلغنا غايتنا . ولا يرجع الأمر فيما نرى الى قصور الأداة التى اعتمدنا عليها أو تقصير الباحثين أو المبحوثين ، ولكن يرجع فى المقام الأول الى طبيعة النظام المركزى الذى لا يترك بصماته على مشروع السكان والتنمية فحسب بل على نسق الادارة المصرية كله . ففى ظل مثل هذا النظام يصبح منطقيا ان يلتزم " الموظف " بحدود المطالبة تاركا للمستوى الأعلى مسئولية اقتراح الخطط التنفيذية .

ورغم هذا التحفظ فاننا نستطيع ان نستخلص من بيانات الجدولين السابقين عددا من الدلالات أهمها :-

أ - ينبغى التوقف عند الحاح المنسقين على ضرورة زيادة الاهتمام الاعلامى بالمشروع فقد اتضح من خلال المناقشات المتعمقة التى اجريت مع المنسقين المركزيين

ومديرى المكاتب على وجه الخصوص ان ذلك الالحاح يعكس احساسا عميقا لديهم بأن الاعلام بالمشروع يقل كثيرا عما يمثله المشروع من أهمية وخطورة خاصة اذا ما قورن بغيره من المشروعات وبما تلقاه من حملات اعلامية مكثفة ومستمرة . بعبارة أخرى فان المنسقين يحسون بقدر من " الاحباط الاعلامى " اذا صح التعبير . ونعنى بهذا التعبير احساس المرء بانه يبذل جهدا خارقا دون ان يلقى اعترافا لائقا بهذا الجهد . وللحقيقة فان مثل هذا الاحساس نستطيع ان نلمسه لدى العديد من العاملين الذين يتفانون فى عملهم فى كثير من المواقع ولكنه - فيما نرى - يمثل ظاهرة تكاد تشمل العاملين فى مشروع السكان والتنمية جميعا .

ب - يشير المنسقون الى ضرورة زيادة الحوافز التى تصرف للعاملين بالمشروع اى للمنسقين انفسهم ، ويتفق ذلك مع ما اشرنا اليه فى البند السابق حيث يتكامل " الاحباط الاعلامى " مع " الاحباط الاقتصادى " ولقد حاولنا أن نتقصى جوهر ذلك الاحباط الاقتصادى لدى المنسقين لنرى ما اذا كان ثمة ما يميزه عما قد يشعر به أى فرد من احباط يتمثل فى الفجوة بين " الاحتياجات " و " الموارد " . وقد اتضح لنا بالفعل أن جوهر الاحباط الاقتصادى فى حالتنا انما يتمثل بشكل اضافى فى فجوة بين " الجهد " و " العائد " .

ثالثا : رؤية المهام التى ينبغى على المنسق القيام بها لاداء عمله على الوجه الأكمل :

توضح الجداول الأربعة التالية رؤى المنسقين للمهام الموكلة اليهم ، فضلنا أن نعرضها فى البداية ثم نعلق عليها جميعا لتيسير استخلاص المقارنات :

الجدول رقم (١١)

مهام المنسق المركزى كما يراها المنسقون الاقليميون
مرتبة حسب تكرار ورودها

الترتيب	المهام	ك	٪*
١	زيارات ميدانية للوحدات	٢٢	٢٨ر٦
٢	حل مشكلات المشروع على المستوى المركزى	١٨	٢٣ر٤
٣	امداد الوحدات بكل جديد	١١	١٤ر٣
٤	حلقة اتصال بين القرى والجهاز	١٠	١٣ر٠
٥	حضور اجتماعات اللجان الاستشارية	١٠	١٣ر٠
٦	مساعدة مدير المكتب والمنسقين الاقليميين	٦	٧ر٨
٧	نقل الخبرات للوحدات المحلية	٦	٧ر٨
٨	توصيل المعلومات من الجهاز للمكاتب	٥	٦ر٥
٩	الاشراف على عدة محافظات	٣	٣ر٩
١٠	تنفيذ قرارات اللجنة الاستشارية	٢	٢ر٦
١١	الالمام بالمشروع	٢	٢ر٦
١٢	عقد دورات تدريبية	١	١ر٣

* ن = ٧٧

الجدول رقم (١٢)

مهام المنسق الاقليمى كما يراها المنسقـــون الاقليميون مرتبة حسب تكرار ورود هـــا

الترتيب	المهـــــام	ك	٪ *
١	حلقة اتصال بين القرية والمكتب	٢٣	٢٩ر٩
٢	حل المشكلات التى تواجه القرية	٢٣	٢٩ر٩
٣	حضور الاجتماعات الشهـــرية	١٨	٢٣ر٤
٤	متابعة عمل المنسقين المحلـيين	١٣	١٦ر٩
٥	متابعة الرائدة الريفية	١٣	١٦ر٩
٦	متابعة اللجنة الاستشارية	١٣	١٦ر٩
٧	نقل الخبرات الى الوحدات المحلية	١١	١٤ر٣
٨	معاونة الوحدة المحلية فى اعداد الخطة	٦	٧ر٨
٩	توصيل تعليمات الجهاز الى الوحدة	٤	٥ر٢
١٠	التنسيق بين الاجهزة	٤	٥ر٢
١١	تقوية الصلة بينه وبين المنسقين المحليين	٤	٥ر٢
١٢	تنفيذ قرارات اللجان الاستشارية	٤	٥ر٢
١٣	متابعة المشروعات بالوحدة	٤	٥ر٢
١٤	الالمـام بالمشـــروع	٤	٥ر٢
١٥	توجيه اللجنة الاستشـارية	٣	٣ر٩
١٦	نقل طلبات الوحدات الى المكتب	٣	٣ر٩
١٧	تنشيط عمل اللجنة الاستشارية	٢	٢ر٦
١٨	الاشراف على عدة وحدات	١	١ر٣
١٩	تدريب الرائدات والمنسقين المحليين	١	١ر٣

* ن = ٧٧

الجدول رقم (١٣)

تصنيف مهام المنسق المركزى كما يراها المنسقون الاقليميـون

الفئــة	المكـــــونات
الأهداف العامة	حل مشكلات المشروع على المستوى المركزى . تنفيذ قرارات اللجنة الاستشارية . الالمام بالمشروع . الاشراف على عدة محافظات .
الأنشطة الحركية	زيارات ميدانية للوحدات . حضور اجتماعات اللجـــــان الاستشارية . عقد دورات تدريبية .
المضامين النوعية	توصيل المعلومات من الجهاز للمكاتب . حلقة اتصال بين القرى والجهاز ـ نقل الخبرات للوحدات المحلية . امداد الوحدات بكل جديد . مساعدة مدير المكتب والمنسقـين الاقليميين .

الجدول رقم (١٤)

تصنيف مهام المنسق الأقليمى كما يراها المنسقون الاقليميـون

الفئــة	المكـــــونات
الاهداف العامة	حل المشكلات التى تواجه القرية . تنفيذ قرارات اللجنـــة الاستشارية . الالمام بالمشروع . الاشراف على عدة وحدات .
الأنشطة الحركية	حضور الاجتماعات الشهرية . تدريب الرائدات والمنسقـين المحليين .
المضامين النوعية	حلقة اتصال بين القرية والمكتب . متابعة عمل المنسقـين المحليين . متابعة الرائدة الريفية . متابعة اللجنـــة الاستشارية . معاونة الوحدة المحلية فى اعداد الخطـة . توصيل تعليمات الجهاز الى الوحدة . التنسيق بـــين الاجهزة . تقوية الصلة بينه وبين المنسقين المحليـــين . متابعة المشروعات بالوحدة المحلية .توجيه اللجنـــــة الاستشارية . نقل طلبات الوحدات الى المكتب . نقـــل الخبرات الى الوحدات المحلية . تنشيط عمل اللجنـــة الاستشارية .

ونستطيع أن نوجز أهم ما نخلص اليه من الجداول السابقة فيما يلي :

أ ـ ان مجرد مقارنة الجدولين ١١ ، ١٢ من حيث عدد الصفوف التي يتضمنها كل جدول تكشف عن ظاهرة بالغة الدلالة . حين طلبنا من المنسق الأقليمي أن يحدد لنا مهام المنسق المركزي لم يشر الا الى ١٢ مهمة . أما حين طلبنا منه أن يتحدث عن المهام المسندة اليه كمنسق اقليمي فان العدد قد ارتفع الى ١٩ مهمة . وترجع تلك الظاهرة الى واحد من احتمالين : الاحتمال الأول هو نقص المعلومات المتاحة لدى المنسق الاقليمي عن المهام الموكلة للمنسق المركزي اذا ما قورنت بتلك المعلومات المتاحة له عن المهام الموكلة اليه هو . والاحتمال الثاني وهو الأقرب الى الترجيح من وجهة نظرنا يقوم على ارجاع الظاهرة الى ميل المنسقين الاقليميين الى تضخيم الدور المسند اليهم في العمل التنسيقي بمقارنته بالدور المسند الى المنسقين المركزيين . وترجيحنا لهذا الاحتمال يرجع الى اتساقه مع طبيعة علاقة الموظف المصرى مع المستويات الاشرافية الرئاسية بالنسبة له حيث يسود تلك العلاقة تصور من جانب الموظف مؤداه انه يقوم بأعباء ومسئوليات تفوق أهمية وحجما تلك التي يقوم بها الرؤساء والمشرفون . وعلى أي حال فلعل ملاحظاتنا التالية تلقي مزيدا من الضوء في هذا الصدد .

ب ـ لقد بلغ مجمل اشارات المنسقين الاقليميين الى المهام المسندة اليهم ١٥٤ اشارة في حين بلغت مجمل اشاراتهم للمهام المسندة الى المنسقين المركزيين ١٩٦ اشارة فقط بعبارة أخرى فقد تحدث المنسقون الاقليميون عن مهامهم بأكثر من حد يثهم عن مهام المنسقين المركزيين . ولعل تلك الملاحظة تتفق مع ما انتهينا اليه في ملاحظتنا السابقة . فالحديث عن الذات بصفة عامة قد يكون أكثر اغراء بالاسترسال من الحديث عن الآخر خاصة اذا ما اتسمت العلاقة بهذا الآخر بقدر يزيد أو يقل من الاحباط .

جـ ـ ان العمل التنسيقي عمل متكامل لا يبلغ غايته الا بتلك العلاقة المتبادلة بين المنسقين الاقليميين والمنسقين المركزيين ، ولقد أكد المنسقون المركزيون جميعا هذه الحقيقة عندما طلبنا منهم تحديد المهام الموكلة اليهم واضعين في مقدمة تلك المهام الاشراف على المنسقين الاقليميين ومتابعة أنشطتهم ومساعدتهم . . الى آخره ، أما المنسقون الأقليميون فقد كانت اشارتهم الى علاقة المركزيين بهم بالغة الضآلة لقد أشار ٧ر٨٪ فقط من المنسقين الاقليميين الى " مساعدة مدير المكتب والمنسقين الاقليميين" باعتبارها ضمن مهام المنسق المركزي ولم يستخدم ايهم تعبير الأشراف في هذا الصدد . ولعلنا نستطيع ان نستخلص من ذلك أن المنسق المركزي يدرك الدور الاشرافي الموكل اليه حيال المنسق الاقليمي ، ويتقبل هذا الدور ويحرص على ابرازه . في حين أن المنسق الاقليمي يميل الى انكار الطبيعة الاشرافية لهذا الدور ويفضل تجاهلها وعدم الاشارة اليها . ولعل لنا ان نستنتج ذلك أن المنسقين

الاقليميين لا يدركون بشكل كاف طبيعة التسلسل الهرمى للوظائف التى يتضمنها العمل التنسيقى فى المشروع . فلو نظرنا الى ادراك المنسقين الاقليميين للطبيعة الاشرافية لدورهم هم حيال المستوى الذى يليهم صوب القاعدة وهو مستوى المنسقين المحليين لا تضح لنا أن ٩ر١٦٪ منهم – أى ما يزيد عن ضعف النسبة السابقة – قد اشار بوضوح الى " متابعة عمل المنسقين المحليين " باعتبارها ضمن المهام الموكلة للمنسق الاقليمى .

د – تعد اللجان الاستشارية بمثابة حجر الزاوية الذى تقوم عليه المشاركة الشعبية فى اطار مشروع السكان والتنمية . وقد ابرز المنسقون الاقليميون ملامح الدور المسند المهم القيام به بالنسبة لتلك اللجان خلال حديثهم عن المهام التى يقومون بها فأشار ٤ر٢٣٪ منهم الى " حضور الاجتماعات الشهرية " ، كما اشاروا الى " متابعة اللجان الاستشارية " بنسبة ٩ر١٦٪ ، والى " تنفيذ قرارات اللجان الاستشارية" بنسبة ٢ر٥٪ ، والى " توجيه اللجنة الاستشارية" بنسبة ٩ر٣٪ ، والى تنشيط عمل اللجنة الاستشارية" بنسبة ٦ر٢٪ ، أما دور المنسقين المركزيين كما يراه المنسقون الاقليميون حيال اللجان الاستشارية فقد كان بالغ التواضع وانحصر فى " حضور اجتماعات اللجان الاستشارية" و" تنفيذ قرارات تلك اللجان " وأشار الى المهمة الأولى ١٣٪ من المنسقين الأقليميين ، كما أشار الى المهمة الثانية ٦ر٢٪ منهم فقط .

هـ – تشير بيانات الجداول السابقة بوضوح الى أن المنسقين الاقليميين – والمركزيين أيضا – يميلون الى تغليب صورة معينة للعملية الاتصالية الاساسية التى يقومون بها تجعل منها اقرب الى ان تكون اتصالا فى اتجاه واحد من اعلى الى أسفل ، سواء بالنسبة لمهام المنسق الاقليمى أو بالنسبة لمهام المنسق المركزى. فالمنسق الاقليمى يرى ان من مهامه " نقل الخبرات الى الوحدات المحلية" (٣ر١٤٪) ، " توصيل تعليمات الجهاز الى الوحدة المحلية (٢ر٥٪) ، كما يرى أن من مهام المنسق المركزى أيضا " نقل الخبرات الى الوحدات " (٨ر٧٪) ولم يشر الى الاتجاه المعاكس الا ٩ر٣٪ من المنسقين الاقليميين فى توصيفهم للمهام التى يقومون بها مشيرين ضمنها الى " نقل طلبات الوحدات الى المكتب" مفضلين فى هذه الحالة استخدام مصطلح " طلبات " بدلا من مصطلح " خبرات " والفارق بين دلالة كل من المصطلحين غنى عن البيان .

و – تشير بيانات الجدولين (١٣) ، (١٤) الى تطابق يكاد يكون تاما فى تصور المنسق الاقليمى للاهداف العامة لمهامه ولمهام المنسق المركزى ، وكذلك للأنشطة الحركية المطلوبة من كل منهما والتى تعد بمثابة طرق اداء العمل ويعد هذا التطابق – فى تصورنا – مؤشرا ايجابيا خاصة واننا قد وجدناه ممتدا الى استجابات المنسقين المركزيين .

رابعا : الصفات المرغوبة والصفات المرفوضة لدى المنسقين :

ثمة صفات أو خصائص أو سمات يستلزمها احسان اداء عمل معين . وفي تراث علم النفس المهني العديد من الاساليب والوسائل التي يتبعها المتخصصون لتحديد تلك الصفات واقامة خطط الاختيار المهني أو التوجيه المهني على اساسها .

وتعتمد غالبية تلك الأساليب على " تحليل العمل " وذلك من خلال ملاحظة الأداء بشكل أو بآخر . والملاحظة مهما أحكمت فأنها تنصب على ما هو ظاهر من موقف العمل . أو بعبارة أخرى على الحركات التي يؤديها العامل أو الأعمال التي يقوم بها . ومن ثم فاذا كان الاسلوب التقليدي لتحليل العمل قد اثبت فعاليته في مجال الاعمال الصناعية فانه في حاجة الى تطوير جذري في مجال الأعمال ذات الطابع الاتصالي كالعمل التنسيقي الذي نحن بصدده ، فمثل هذا النوع من الأعمال يعتمد على نوع من الكفاءة يصعب " ملاحظته " في الحدود الضيقة لمباشرة العمل ، ولذلك فقد حاولنا في جانب من دراستنا هذه ان نلتمس سبيلا للتعرف على الخصائص اللازمة لممارسة العمل التنسيقي من خلال سؤالنا للمنسقين عن الصفات المرغوبة والصفات المرفوضة بالنسبة لتيسير اداء المنسق " المثالي " لعمله .

ولننظر أولا الى الجداول ارقام ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ثم نبدأ في عرض ما يمكن أن نستخلصه من بياناتها .

جدول رقم (١٥)

الصفات الايجابية التى ينبغى توافرها فى المنســق
مرتبــة كما يـراها المنسقـون الاقليميـون

الترتيب	الصفـــــة	ك	٪*
١	القدرة على القيــادة	٧٥	٩٧ر٤
٢	الثقافة الواسعــة	٦٣	٨١ر٨
٣	العلم والدراية بالمشروع	٦٣	٨١ر٨
٤	الامــانة	٦١	٧٩ر٢
٥	القدرة على اتخاذ القرار	٦١	٧٩ر٢
٦	الحصول على مؤهل جامعى مناسب	٦٠	٧٧ر٩
٧	المـرونة	٥٤	٧٠ر١
٨	القدرة على الانجاز وحل المشكلات	٤٩	٦٣ر٦
٩	الايمان بالعمــل	٤٧	٦١ر٠
١٠	الخبرة المالية والادارية	٤٥	٥٨ر٤
١١	السمعــة الطيبــة	٣٩	٥٠ر٦
١٢	القدرة على الادارة	٣٦	٤٦ر٧
١٣	القدرة على توصيل المعلومات	٣٤	٤٤ر٠
١٤	الدراية بدور العاملين فى المشروع	٣١	٤٠ر٢
١٥	القدرة على الاقنــاع	٣٠	٣٩ر٠
١٦	الخبرة الســابقة	٢٩	٣٧ر٧
١٧	الذكاء	٢٨	٣٦ر٤
١٨	اللباقة	٢٥	٣٢ر٥
١٩	القدرة على كسب الآخرين	٢٤	٣١ر٢
٢٠	" شخصية اجتماعية محبوبة "	٢٣	٢٩ر٩
٢١	الالـــتزام	٢٢	٢٨ر٦
٢٢	القدرة على العمل الجماعى	٢٢	٢٨ر٦
٢٣	الايمان بتنظيم الأســرة	١٩	٢٤ر٧
٢٤	القدرة على التخطيـط	١٩	٢٤ر٧
٢٥	الصـــدق	١٩	٢٤ر٧
٢٦	امتلاك لغة أجنبيــة	١٩	٢٤ر٧
٢٧	الصـــبر	١٨	٢٣ر٤
٢٨	العـــدل	١٨	٢٣ر٤
٢٩	الجـــدية	١٧	٢٢ر١

تابع الجدول رقم (١٥)

الترتيب	الصفة	ك	٪*
٣٠	القدرة على التأثير	١٦	٨ر٢٠
٣١	الرؤية الشاملة	١٤	٢ر١٨
٣٢	الصراحة	١٢	٦ر١٥
٣٣	الوعي بابعاد المشكلة السكانية	١٢	٦ر١٥
٣٤	القدرة على اشاعة روح التعاون	١٢	٦ر١٥
٣٥	القدرة على الابتكار والتجديد	١٢	٦ر١٥
٣٦	اللياقة الجسمية	١١	٣ر١٤
٣٧	الصحة النفسية	٩	٧ر١١
٣٨	حضور البديهة	٨	٤ر١٠
٣٩	القدرة على التعامل مع الآخرين	٨	٤ر١٠
٤٠	الالمام باساليب تنظيم الأسرة	٧	١ر٩
٤١	قوة الشخصية	٦	٨ر٧
٤٢	الثقة بالنفس	٦	٨ر٧
٤٣	توافر الخلفية الدينية	٥	٥ر٦
٤٤	الدبلوماسية	٣	٩ر٣
٤٥	الشجاعة	٣	٩ر٣

* ن = ٧٧

جدول رقم (١٦)

الصفات السلبية التي لا ينبغي توافرها لدى المنسق
مرتبة كما يراها المنسقون الاقليميون

الترتيب	الصفة	ك	٪*
١	عدم النزاهة المالية	٣٧	٤٠ر١
٢	الدكتاتورية	٣٢	٤١ر٦
٣	عدم التعاون مع العاملين	٢٩	٣٧ر٧
٤	عدم وجود خبرة	٢٢	٢٨ر٦
٥	شخصية ضعيفة	٢١	٢٧ر٣
٦	الكذب	٢٠	٢٦ر٠
٧	عدم الدراية بالمشروع	٢٠	٢٦ر٠
٨	عدم الاقتناع بالعمل	١٩	٢٤ر٧
٩	عدم القدرة على التعامل مع الآخرين	١٩	٢٤ر٧
١٠	التكبر والتعالى	١٥	١٩ر٥
١١	عدم الدراية بأهمية دور العاملين بالمشروع	١٥	١٩ر٥
١٢	سوء السمعة والسلوك	١٤	١٨ر٢
١٣	" غير اجتماعى "	١٣	١٦ر٩
١٤	عدم الجدية	١٠	١٣ر٠
١٥	الظلم	١٠	١٣ر٠
١٦	الاستغلال	١٠	١٣ر٠
١٧	التقيد بالروتين	٩	١١ر٧
١٨	عدم القدرة على اتخاذ القرار	٩	١١ر٧
١٩	حب الرئاسة	٨	١٠ر٤
٢٠	الانانية	٨	١٠ر٤
٢١	عدم القدرة على حل المشكلات	٧	٩ر١
٢٢	الاهمال	٧	٩ر١
٢٣	تصديق الاكاذيب	٦	٧ر٨
٢٤	الحصول على مؤهل غير مناسب	٥	٦ر٥
٢٥	عدم المرونة	٤	٥ر٢
٢٦	عدم القدرة على نقل المعلومات	٤	٥ر٢
٢٧	الاحساس بتمثيل السلطة	٤	٥ر٢
٢٨	عدم القدرة على الاقناع	٣	٣ر٩
٢٩	عدم الايمان بتنظيم الاسرة	٣	٣ر٩

تابع جدول رقم (١٦)

الترتيب	الصفــــة	ك	٪*
٣٠	عدم اللبـــاقة	٢	٢ر٦
٣١	سوء التصـــرف	٢	٢ر٦
٣٢	عدم الايمان بوجود مشكلة سكانية	١	١ر٣
٣٣	عدم القدرة على التأثير	١	١ر٣
٣٤	عدم الالمام باللغات الاجنبية	١	١ر٣

* ن = ٧٧

جدول رقم (١٧)

تصنيف الصفات الايجابية التي ينبغي توافرها في المنسق كما يراها المنسقون الاقليميون

الفئة	المكونات
سمات قيادية واتصالية	القدرة على القيادة . القدرة على اتخاذ القرار . المرونة . القدرة على الانجاز وحل المشكلات . القدرة على الادارة . القدرة على توصيل المعلومات . القدرة على الاقناع . القدرة على كسب الآخرين . شخصية اجتماعية محبوبة . القدرة على العمل الجماعي . القدرة على التخطيط . القدوة . القدرة على التأثير . القدرة على اشاعة روح التعاون . القدرة على التعامل مع الآخرين . قوة الشخصية . الثقة بالنفس .
معارف وخبرات سابقة	الثقافة الواسعة . العلم والدراية بالمشروع . الدراية بدور العاملين بالمشروع . الحصول على مؤهل جامعي مناسب . الخبرة المالية والادارية . الخبرة السابقة . امتلاك لغة اجنبية . الوعي بابعاد المشكلة السكانية والالمام بأساليب تنظيم الاسرة . توافر الخلفية الدينية .
صفات اخلاقية	الامانة . السمعة الطيبة . اللباقة . الالتزام . الصدق . الصبر . العدل . الصراحة . الدبلوماسية . الشجاعة .
قدرات عقلية عامة	الذكاء . الرؤية الشاملة . القدرة على الابتكار والتجديد . وحضور البديهة
اتجاهات فكرية	الايمان بالعمل . الايمان بتنظيم الاسرة
صفات أخرى	اللياقة الجسمية . الصحة النفسية

نستطيع ان نوجز أهم ما نخلص اليه من الجداول السابقة على الوجه التالى :

أولا : لقد ابدى المنسقون وعيا واضحا بجوهر طبيعة عملهم باعتباره عمل اتصالى ولذلك فقد احتلت " القدرة على القيادة " مقدمة الصفات التى يسرون ضرورة توافرها لدى المنسق اذ اتفق ٩٧٫٤ ٪ من المنسقين على ذلك .

ثانيا : ابدى المنسقون كذلك احاطة واضحة بمكونات السمات القيادية والاتصالية اللازمة للعمل التنسيقى كما يتضح من بيانات الجدول رقم (١٧) فقد ضمنو تلك المكونات القدرة على اتخاذ القرار ، والمرونة والقدرة على الانجاز وحل المشكلات والقدرة على الادارة ، والقدرة على توصيل المعلومات والقدرة على الاقناع والقدرة على كسب الآخرين ، والتحلى بشخصية اجتماعية محبوبة ، والقدرة على العمل الجماعى ، والقدرة على التخطيط ، والقدوة ، والقدرة على التأثير ، والقدرة على اشاعة روح التعاون ، والقدرة على التعامل مع الآخرين ، وقوة الشخصية ، والثقة بالنفس .

ثالثا : فيما يتصل بالمعارف والخبرات السابقة التى ابدى المنسقون ضرورة توافرها فى المنسق فانها قد تضمنت الى جانب الثقافة العامة ، ضرورة توافر العلم والدراية بالمشروع وبالعاملين فيه فضلا عن الخبرة المالية والادارية والوعى بابعاد المشكلة السكانية وتنظيم الاسرة ، واضاف المنسقون الى ذلك صفتين جديرتين بالتفسير :- امتلاك اللغة الاجنبية ، وتوافر الخلفية الدينية . وغنى عن البيان ان الصفة الاولى لا تدخل فى نطاقه المهارات اللازمة لاتقان المنسق لعمله بين الفلاحين المصريين ولكن ادراجها فى هذا السياق يبدو مفهوما تماما اذا ما وضعنا فى اعتبارنا ان الايفاد الى الخارج يعد ضمن الحوافز الرئيسية التى يتيحها المشروع للمتميزين من ابنائه وتحقيق هذه الامنية لا يتطلب التفوق فى العمل فحسب بل لابد من اجتياز عقبة امتحان اللغة الانجليزية . اما الاشارة الى ضرورة توافر الخلفية الدينية فيرتبط فيما نرى بطبيعة ما يثار من حين لآخر حول مدى مشروعية تنظيم الاسرة دينيا .

رابعا : لعله مما يستوقف النظر ايضا ان تحتل صفة الامانة مقدمة الصفات الاخلاقية التى اتفق ٧٩٫٢ ٪ من المنسقين على ضرورة توافرها وبذلك فقد احتلت المرتبة الرابعة فى الترتيب العام للصفات المرغوبة اذ لم تسبقها الا " القدرة على القيادة " و " الثقافة الواسعة " و " العلم والدراية بالمشروع".

ويزداد الامر بروزا واستيقافا للنظر عندما نتبين ان " عدم النزاهة المالية " قد احتلت مقدمة الصفات السلبية بالنسبة لمن يقومون بالعمل التنسيقى وقد يبدو هذا التركيز امرا طبيعيا لا يستوقف النظر كثيرا اذا ما كنا بصدد وظيفة ذات طابع مالى اساسا كوظيفة الصراف مثلا أو موظفو البنوك أو ما الى ذلك اما اذا برز هذا التركيز ونحن بصدد وظيفة

" اتصالية " فالأمر يبدو لنا فى حاجة الى تفسير وهو ما لم يكن فى طاقة دراستنا هذه استيفائه على الوجه الاكمل .

خامسا : لعله مما يستوقف النظر ايضا ان صفة " الايمان بتنظيم الاسرة " قد احتلت من حيث الترتيب مكانة متأخرة عما هو متوقع لها . ويبدو من وجهة نظرنا ان ذلك انما يرجع الى تقهقر صورة " الداعية المؤمن " وتقدم صورة " الداعية المحترف " فى وعى المنسقين . ولعل من يتذكر منا البدايات الاولى لمشروع السكان والتنمية يستطيع ان يحس بعمق حجم هذه الفجوة . ولعل الصورة تتضح اكثر اذا ما تبينا ايضا أن صفة " الوعى بابعاد المشكلة السكانية " تحتل مكانة تكاد تقترب بها من نهاية القائمة .

الفصل الخامس

المنسقون وخصائصهم الاجتماعية

أولا : السن :

تتباين مستويات السن بين المنسقين ويوضح الجدول التالى طبيعة السن لدى هؤلاء المنسقين .

جدول رقم (١٨)

متوسطات سن المنسقين وانحرافاتهم المعيارية

السن / المنسقون	ن	م	ع
المنسقون المركزيون	١١	٣٥ر٤٥	٧ر٣٥
مديروا المكاتب	١٢	٤٤ر٤٢	٣ر٥٢
المنسقون الاقليميون	٦٥	٣٤ر٣٩	٤ر٦٦
المنسقون المحليون	١٠٤٩ *	٤٠ر٢٦	٦ر١٢

* اعتمدنا فى بيانات السن الخاصة بالمنسقين المحليين على البيانات المتوافرة لدى ادارة مشروع السكان والتنمية .

ويتبين من الجدول أن مديرى المكاتب هم أكبر المنسقين سنا يليهم المنسقون المحليون فالمركزيون فالاقليميون . . ترى هل هذه الفروق فى متغير السن لها دلالة . . ؟ ان النظام الوظيفى داخل مشروع التنمية والسكان نظام هيراركي بمعنى أن المنسقين المحليين هم قاعدته وان المنسقين المركزيين هم قمته أصحاب السلطة فيه، ويدفعنا ذلك الى استخدام اختبار " ت " لمعرفة دلالة الفروق فى السن بين المنسقين ، والجدول التالى يوضح صورة هذه الدلالة :

جدول رقم (١٩)

دلالة الفروق فى المقارنة بين المنسقــــين

السـن / المقارنات	ن	م	ع	" ت "
المنسقـون المركزيـون	١١	٤٥ر٣٥	٣٥ر٧	* *
مديروا المـــكاتب	١٢	٤٢ر٤٤	٥٢ر٣	ت = ٦٦ر٣
المنسقـــون المركـزيون	١١	٤٥ر٣٥	٣٥ر٧	
والمنسقون الاقليميـون	٦٥	٣٩ر٣٤	٦٦ر٤	ت = ٦٤٤ر
مديرو المـــكاتب	١٢	٤٢ر٤٤	٥٢ر٣	* *
المنسقـون الاقليميون	٦٥	٣٩ر٣٤	٢٦ر٤	ت = ٣٢ر٧
المنسقـون المركــزيون	١١	٤٥ر٣٥	٣٥ر٧	* *
والمنسقون المحليــون	١٠٤٩	٢٦ر٤٠	١٢ر٦	ت = ٦١ر٢
مديروا المـــكاتب	١٢	٤٢ر٤٤	٥٢ر٣	*
والمنسقـون المحليـون	١٠٤٩	٢٦٢ر٤٠	١٢ر٦	ت = ٤٧٧ر٢
المنسقـون الاقليميون	٦٥	٣٩ر٣٤	٦٦ر٤	* *
والمنسقـون المحليون	١٠٤٩	٢٦٢ر٤٠	١٢ر٦	ت = ٣١٧ر٨

* * تعنى النجمتان أن مستوى الدلالة عند كل من ٥٠ر ، ١٠ر وبينما تعنى

* النجمة الواحدة أن مستوى الدلالة عند ٥٠ر فقط .

ويكشف الجدول السابق عما يلى :ـ

١ ـ أن الفرق فى متغير السن فرق دال فى معظم المقارنات فيما عدا المقارنة بـين المنسقين المركزيين والمنسقين الاقليميين وأن هذه الدلالة تصل الى ١٠ر وهى درجة عالية من الدلالة .

٢ ـ وفى المقارنة بين المنسقين المركزيين وبين مديرى المكاتب تكون الدلالة لصالح مديرى المكاتب اذ هم الاكبر سنا ويدفعنا ذلك الى التساؤل الا يؤثر كـبر سن مديرى المكاتب فى تقبلهم لتوجيهات المنسقين المركزيين التى ينقلونها من رئاسة المشروع اليهم ؟

٣ ـ وبالمثل أيضا فان عدم وجود فروق دالة بين المنسقين المركزيين والمنسقـــين

الا قليميين (وان كان المنسقون الا قليميون اكبر فى الحقيقة) الا يوثر عدم وجود فارق فى السن فى مدى تقبل المنسقين الا قليميين لتوجيهات المركزيين؟ (وقد شكا معظم المنسقين الا قليميين من قلة خبرة المنسقين المركزيين مشيرين بالتجربة الى صغر سنهم).

٤ - وقد يكون من المنطقى ان الدلالة فى المقارنة بين مديرى المكاتب والمنسقين الا قليميين وبينهم وبين المحليين لصالح مديرى المكاتب تمضى فى الاتجاه الصحيح. للنظام الهيراركى للوظيفة مما يتيح تقبل تعليمات وتوجيهات مديرى المكاتب لهذين المستويين من المنسقين.

٥ - وعلى العكس من ذلك تماما فان الدلالة فى المقارنات بين المنسقين المركزيين والمنسقين المحليين وكذلك بين المنسقين المحليين وبين المنسقين الا قليميين فان الفروق كلها لصالح المنسقين المحليين مما يدعونا الى تكرار سوءالنا الرئيسى هل يحدث فارق السن عندما يكون الاصغر رئيسا وموجهها للاكبر سنا. هل يحدث تأثيرا فى مدى تقبل الاكبر سنا لتوجيهات وخبرة الأصغر سنا؟.

والخلاصة التى ننتهى اليها تشير الى صغر سن المنسقين المركزيين بصورة واضحة مما يطرح عددا من التساوءلات حول قدرتهم على أداء دورهم نحو بقية المنسقين الاكبر سنا منهم.

ثانيا : الجنس :

متغير الجنس من المتغيرات الهامة فى هذا المشروع ودور المرأة دور هام وخطير اذ كما سبق أن قلنا أن هدف هذا المشروع. تشجيع النساء اللاتى فى سن الانجاب على ممارسة تنظيم الاسرة " . . فأين المرأة من المنسقين فى مستوياتهم الثلاثة ".

يتضح من الجدول التالى متغير الجنس لدى المنسقين على اختلاف مستوياتهم:

جدول رقم (٢٠)
متغير الجنس لدى المنسقين

الجنس / المنسقون	ذكور	%	اناث	%
المنسقون المركزيون	١١	١٠٠	-	-
مديرو المكاتب	١١	٩١ر٦٦٦	١	٨ر٣٣٣
المنسقون الا قليميون	٦٨	٨٨ر٣١١	٩	١١ر٦٨٨
المنسقون المحليون	١٠٤٤	٩٩ر٥٢٣	٥	ر٤٧٦
المجموع	١١٣٤	٩٨ر٦٩٤	١٥	١ر٣٠٥

ويتضح من الجدول الحالى ان الذكور هم الغالبية العظمى من المنسقـــــون بمستوياتهم المختلفة كما يتضح غياب الأناث تماما عن مستوى المنسقين المــــركزيين ووجود هن بنسب ضئيلة للغاية فى المستويات الثلاثة الباقية .. واذا كان المنســق يتعامل مع شرائح اجتماعية مختلفة منها الرائدات الريفيات واللجان الاستشـاريـة .. واذا كانت قضية تنظيم الاسرة قضية تهم المرأة كما تهم الرجل .. الا يثير غيـــاب المرأة المنسقة احتمال افتقاد لوجود ربما يكون مؤثرا أو فعالا بجانب دور الرجـــل المنسق جنبا الى جنب .

ثالثا : الـــــزواج

معرفة الحالة الاجتماعية للمنسقين ترتبط الى حد ما بموقفهم من قضية تنظـــيم الأسرة ومن مشروع السكان والتنمية فالمتزوج على خلاف الأعزب تدخل فى دائـــرة اهتمامه قضية تنظيم الأسرة كقضية شخصية عليه ان يحدد موقفه منها .. ومن هنـــا تبرز أهمية متغير الزواج كخاصية من الخصائص الاساسية للمنسقين .

ويوضح الجدول التالى صورة هذا المتغير لدى المنسقين :

جدول رقم (٢١)
متغير الحالة الزواجية لدى المنسقـــــون

الحالة الزاجية / المنسقون	متزوج		أعــزب		أرمل		غير مبين		المجموع	
	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪
المنسقون الاقليميون	٥٩	٧٦ر٦٣	١٨	٢٣ر٣٧	-	-	-	-	٧٧	١٠٠
المنسقون المحليون	٩٠	٩٢ر٧	٦	٦ر١٨	-	-	١	١ر٠٤	٩٧	١٠٠
المجموع	١٤٩	٨٥ر٦٤	٢٤	٢٣ر٧٩	-	-	١	ر٥٧	١٧٤	١٠٠

ويشير هذا الجدول الى ان الغالبية العظمى من المنسقين الذين اجريت عليهم هذه الدراسة متزوجون وان نسبة ضئيلة منهم فقط لم يتزوجوا بعد ، وبذلك يتوفر لهم الوعى بقضية تنظيم الاسرة من مدخل شخصى باعتباره قضية مطروحة امام كل منسق فى بيته قبل ان تكون مطروحة عليه فى اطار عمله الوظيفى .

رابعا : الانجـــاب

دعوة المنسق الى تنظيم الأسرة يسبقها موقفه الشخصى منها وسلوكه الفعـــلى تجاهها اذ أن فاقد الشىء لا يعطيه فالمنسق الذى ينجب ذرية كثيرة لا يصـــلح بحال ان يكون داعية لتنظيم الأسرة اذ ان موقفه من الانجاب يكون مناقضا لما يدعـــو اليه .

ويوضح لنا متغير الانجاب مدى اتساق المواقف الذاتية للمنسقين والارتباط بين عدد ابنائهم الفعلى ودعوتهم لتنظيم الأسرة .

والجدول التالى يوضح متغير "الانجاب" لدى المنسقين :

جدول رقم (٢٢)
متغير الانجاب لدى المنسقين

الانجاب	عدد	٪
لا يوجد	١٠	١٢ر٩٨٧
طفل واحد	١٢	١٥ر٥٨٤
طفلان	٢٥	٣٢ر٤٦٧
ثلاثة اطفال	٧	٩ر٠٩١
اكثر من ثلاثة اطفال	٤	٥ر٠٩٤
أعزب	١٧	٢٢ر٠٧٧
غير مبين	٢	٢ر٥٩٧
الجملة	٧٧	١٠٠

ويكشف الجدول أن غالبية المنسقين (٤٧ منسقا) لا يزيد انجابهم عن طفلين أو أقل بنسبة ٦١ر٠٣٨٪ من مجموع المنسقين الاجمالى بينما تصل نسبتهم من بين المتزوجين منهم ٨١ر٠٣٤٪ وهى نسبة عالية . ولعل هذا يعكس ان ثمة اتساقا واضحا بين العدد الفعلى لأبناء المنسقين وبين مايدعون اليه من تنظيم للأسرة .

خامسا : الاصول الأسرية

١ ـ الأصول الاقليمية :

يوضح الجدول التالى خصائص الأصول الاقليمية للمنسقين :

جدول رقم (٢٣)
الاصول الاقليمية للمنسقين

الاصول الاقليمية	عدد	٪
اصول ريفية معاصرة	٣٤	٤٤ر١

تابع جدول رقم (٢٣)

الاصول الاقليمية	عدد	٪
اصول نازحة الى الحضر	٢٧	٣٥ر١
اصول حضرية	١٦	٢٠ر٨
الجملة	٧٧	١٠٠

ويكشف الجدول عن أن النسبة الاكبر من المنسقين من اصول ريفية معاصرة أى أن اسرته الكبيرة (الاب والام والاعمام والاخوال .... الخ) لا يزالوا يقيمون بالريف . كما يكشف ايضا أن النسبة التالية للمنسقين هم من ابناء الريف النازحين الى الحضر وتأتى فى نهاية القائمة نسبة ذوى الاصول الحضرية ان ذلك فى النهاية يعنى أن غالبية المنسقين وعددهم ٦١ من أصول ريفية معاصرة أو من اصول ريفية نازحة الى الحضر وتبلغ نسبتهم ٧٩ر٢٢٠٪ ويدل ذلك على أن المنسقين هم من أبناء الريف وان العمل فيه من خلال مشروع السكان والتنمية عمل يتسق مع جذورهم ويرتبط بها .

ترى هل ثمة علاقة قائمة بين المنسقين ذوى الأصول الريفية وبين قراهم ؟

جدول رقم (٢٤)
يوضح العلاقة الحالية لأصحاب الاصول الريفية
بقراهم

صورة العلاقة	عدد	٪
العلاقة غير قائمة	١٢	١٩ر٧
زيارات قليلة	٣	٤ر٩
زيارات متعددة	٥	٨ر٢
زيارات كثيرة متصلة	٤٠	٦٥ر٦
غير مبين	١	١ر٦
الجملة	٦١	١٠٠

ويكشف هذا الجدول عن ان العلاقة الحالية لأصحاب الاصول الريفية بقراهم علاقة وثيقة فمعظمهم يترددون على قراهم فى زيارات متعددة ، وكثيرة ومتصلة وتبلغ نسبتهم ٧٣ر٧٦٩٪ وهى نسبة عالية وفى المقابل فان المنسقين الذين انقطعت

علاقاتهم بأصولهم الأسرية لا تزيد نسبتهم عن ١٩٫٦٧٢ ٪ وهى نسبة الى حد ما قليلة . وقد يرجع الاتصال الوثيق بين المنسقين وقراهم ان معظمهم يعمل فى المحافظة التى نشأ فيها بل ان عددا لا يستهان به منهم يقيم فى قريته التى نشأ فيها اقامة دائمة .

نخلص من هذا المتغير أن المنسقين فى معظمهم من أصول ريفية معاصرة أو نازحة الى الحضر وأنهم مرتبطون ارتباطا وثيقا بهذه الاصول معبرين عن ذلك فى زياراتهم العديدة والمستمرة لقراهم التى نشأوا فيها .

الباب الثالث

المثقفون ورؤاهم

* صورة العالم الاجتماعي
* صورة الذات والآخر

الفصل السادس

صورة العالم الاجتماعى

أولا : رؤية المنسق للمرأة

تستحق رؤية المنسق للمرأة وقفة خاصة . . نستكشف فيها معالم هذه الرؤية وتفاصيلها . ان رؤية المنسق للمرأة لا تتوقف عند حدود رؤيته للآخر بصفة عامة ، وانما تمتد لتؤثر ـ بصفة خاصة ـ على موقفه من مشروع السكان والتنمية ، ومن قضية تنظيم الاسرة حيث المرأة طرفا أساسيا فيهما .

والمرأة لدى المنسق أم وزوجة ذات علاقة مباشرة به . كذلك هى طرف يتعامل معه ويشاركه عبء تحقيق اهداف مشروع السكان والتنمية متمثلا فى الرائدة الريفية التى يشرف على عملها ويتابعها ويقوم بتقويمها .

وسوف نمضى فى بناء رؤية المنسق للمرأة عبر النقاط التالية :

لعل أول ما يواجهنا من رؤية المنسق للمرأة هو موقفه الفعلى من عمل زوجته والجدول التالى يوضح ابعاد هذه الصورة .

جدول رقم (٢٥)

يوضح موقف زوجات المنسقين من العمل

موقف الزوجة من العمل	عدد	٪	قيمة ت*
الزوجة تعمل	٢٩	٥٥ر٨	٠ر٨٣٢
الزوجة لا تعمل	٢٣	٤٤ر٢	
الجملة	٥٢	١٠٠	

$$* \quad ت = \frac{ح_2 - ح_1}{\sqrt{\frac{ح_1 \times ق^1}{ن^1} + \frac{ح_2 \times ق^2}{ن^2}}}$$

ويتضح من بيانات الجدول السابق ان اشتغال الزوجة لا يمثل الطابع الشائع بين المنسقين ، وقد تبدو تلك النتيجة مثيرة للتساؤل للوهلة الاولى . فالمتوقع منطقيا ان يكون الدعاة اقرب فى ممارستهم لما يدعون اليه . وليس من شك

فى ان المنسقين يدعون من خلال عملهم الى تشجيع اشتغال المرأة . غير ان النتيجة الحالية تبدو متسقة تماما اذا ما وضعناها فى سياقها الصحيح . فنحن لسنا ـ كما سبق ان أشرنا ـ حيال " دعاة مؤمنون " بل نحن حيال " دعاة محترفون كما اتضح من بيانات سابقة ـ وبالاضافة الى ذلك فان الغالبية العظمى من هؤلاء المنسقين ينتمون الى اصول ريفية حديثة وليس من المتوقع ان يتخلى المرء من تقاليد تضرب بجذورها الى اصوله الممتدة بمجرد " انتدابه " للعمل فى مشروع السكان والتنمية اللهم الا اذا حرصنا منذ البداية على اختيار هؤلاء المنتدبين وفقا لتوافر خصائص معينة تكفل لهم على الأقل القيام بدور " الداعية القدوة " اذا ما لم يتيسر دور " الداعية المؤمن " .

ولعل الصورة تتضح اكثر اذا ما انتقلنا من السلوك الفعلى الى مجال الرأى أو الاتجاه . ترى ما هو موقف المنسق من عمل المرأة بصفة عامة ؟ هل يرى أن عمل المرأة ضرورى بالنسبة لها وبالنسبة للمجتمع ؟ هل يرى أن عمل المرأة غير ضرورى على الاطلاق وان مكانها الاساسى هو البيت ؟ هل يوافق على عملها موافقة مشروطة أى تعمل عندما تكون هناك حاجة ملحة فاذا انتفت هذه الحاجة تعود الى بيتها مرة أخرى ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة تتطلب أن نعرض للجدول التالى الذى يوضح موقف المنسقين من عمل المرأة .

جدول رقم (٢٦)
يبين الصورة العامة لموقف المنسقين من عمل المرأة

الصورة العامة	عدد	٪
موافقون	٢٥	٣٢ر٥
موافقون بشرط	٢٨	٣٦ر٤
معترضون	٢٢	٢٨ر٦
غير مبين	٢	٢ر٦
الجملة	٧٧	

تشير بيانات الجدول السابق الى ان نسبة من وافقوا على عمل المرأة

موافقة صريحة دون تردد لا تصل الى ثلث المنسقين (٣٢ر٥ ٪) وأن بقيتهم بين موافق بشرط (٣٦ر٤ ٪ أو معترض اعتراضا صريحا (٢٨ر٦ ٪) . ولقد اتاح لنا اسلوب المقابلة المتعمقة ان نقترب اكثر من ديناميات كل من تلك المواقف الثلاثة ، ليتضح لنا ما يلى :

أولا : فيما يتعلق بالذين عبروا فى البداية عن موافقتهم الصريحة على اشتغال المرأة ، لم تلبث غالبيتهم خلال الحوار وحين سئلوا عن مبررات تلك الموافقة أن تكشف انهم فى حقيقة الامر اقرب الى الفئة الثانية ، أو بعبارة أخرى فانهم اقرب الى الموافقة اضطرارا منهم الى الموافقة اقتناعا . ولقد تبنى منهم هذا الموقف الجديد عشرون فردا (٨٠ ٪) مبرزين انهم عليا يسمحون لزوجاتهم بالعمل بسبب الحاجة الاقتصادية فحسب ، مستخدمين فى التعبير عن ذلك الموقف عبارات بالغة الوضوح من امثلتها : " لو ظروفى المادية كويسه كنت غصبت على المدام تقعد فى البيت" . " ياريت بيجى اليوم اللى اقدر بامكانياتى أخللى مراتى تقعد فى البيت" . " الظروف بتاعتنا بتحتم ان النظرة القديمة لاشتغال المرأة تتغير لان الدخل من اثنين يزيد" . اما الذين تمسكوا خلال الحوار المتعمق بموقفهم الاول من تأييد اشتغال المرأة دون شروط فقد عبروا عن موقفهم ايضا بعبارات بالغة التحديد من امثلتها : " العمل بيساعد على نضج شخصية المرأة" . "العمل بحسس الست بكيانها وشخصيتها" . " العمل يؤدى الى تفتيح ذهن المرأة واحساسها بالمسئولية .

ثانيا : اذا اضفنا أولئك الذين عدلوا مواقفهم خلال الحوار لنضعهم فى الفئة الثانية ، لارتفع عدد افرادها ـ أى الذين يوافقون بشروط ـ الى ٤٨ فردا (٦٢ر٣ ٪) أى اننا نصبح آنذاك حيال غالبية الأفراد . ترى ما هى طبيعة تلك الشروط ؟ انها تتلخص فى نوعين من الشروط :

النوع الأول : يتعلق بطبيعة الاعمال التى يمكن ان تمارسها المرأة والنوع الثانى يتعلق بمدى حاجة المرأة اقتصاديا للعمل . ولعل استعراض بعض العبارات التى وردت على السنة المنسقين قد تسهم فى توضيح الصورة :-

" شغل المرأة يجب أن يكون فى مجال تتعامل فيه مع السيدات أكثر من الرجال" . " هناك اعمال شاقة طبعا زى العمل كمنسقة اقليمية" . " ان كان ولابد أن تعمل المرأة ، فأفضل التمريض او التدريس" . " بعض الوظائف لا تناسب المرأة" . " احبذ عمل المرأة اذا كانت محتاجة للمال" " عمل المرأة جايز يكون ضرورى اذا كانت تتولى مسئولية اسرتها فعلا" .

ثالثا : اما الفئة الثالثة والتى أبدى افرادها اعتراضهم بوضوح على اشتغال المرأة

والذ ين بلغت نسبتهم ٢٨٫٦ ٪ ، فلعل تعبيراتهم عن موقفهم كانت أكثر التعبيرات وضوحا ، ومن امثلتها : " المرأة لا تصلح للعمل ، فهى مش قد العمل . الست هى الست مكانها المنزل" ، " انا اقتنع بالمرأة كمتعلمة وست بيت متزوجة ، اما ناحية موظفة فلا " . " عمل الزوجة بيأثر على الطفل " " عمل المرأة بيستنفذ جهدها فلا يبقى شيء للبيت" . " أنا بصراحة رأيى فى عمل المرأة انه غير مجدى" . " المرتب تنفقه فى الزينه والملابس واسمها بتجيب فلوس" . " الفلوس بتاعة الست بتذل الراجل وتجعلها متساوية معاه" . " سبب التسيب اللى حاصل فى البلد اشتغال المرأة" . "لا أفضل اختلاط المرأة بالرجل فى العمل لانه بيزيد عن الحد " .

خلاصة القول اذن ان المنسقين يميلون الى التعبير عن نظرتهم الى عمل المرأة بما يقرب من موقفهم العملى فى هذا الصدد . فغالبيتهم ترى أن المرأة لا تصلح للعمل ، وانما خلقت لتكون زوجة واما فقط ، وانها اذا عملت فان عملها لن تكون له جدوى كبيرة . بل ان عملها يدفعها الى اهمال اسرتها واثارة غيرة زوجها اذا ما كان ذلك العمل يتطلب الاختلاط برجال آخرين . وانه اذا لم يكن بد من عمل المرأة فلضرورة اقتصادية ملحة ، وفى اعمال بعينها دون سواها ..

ولسنا على أى حال بصدد الحكم بصواب أو بخطأ هذه النظرة ، ولكن علينا ان نشير من جديد الى انها بصرف النظر عن صوابها أو خطئها تبدو لنا متعارضة تماما مع الدعوة التى يتبناها مشروع السكان والتنمية بصدد تشغيل النساء . ترى هل يمكن لداعية مهما بلغت احترافيته ان ينجح فى اخفاء التعبير عن اتجاهه الحقيقى حيال قضية من هذا النوع ؟

ثانيا : رؤية المنسق للقرية وللفلاح :

تكشف رؤية المنسق للقرية عن مدى اتجاهه الايجابى او السلبى نحوها ومدى ما طرأ عليها من تغيير ومدى وعيه بمظاهر وأسباب هذا التغيير .

ويمكن ابراز رؤية المنسق للقرية فى عدد من النقاط على الوجه التالى :

١ - القرية المصرية تغيرت :

يجمع المنسقون على ان القرية المصرية قد تغيرت تغيرا فعليا ولم تعد فى صورتها التى كانت عليها من قبل ، وان جوانب التغيير شملت كل شيء ومظاهر التغيير تبدو فى كل شيء .

٢ - جوانب التغيير المادية أبرز :

ويرى المنسقون ان ابرز جوانب التغيير ، وأكثرها وضوحا هى الجوانب المادية وتتمثل فى : (دخول المياه ، دخول الكهرباء ، الميكنة الزراعية ، زيادة الصناعات ، تمهيد الطرق ورصفها ، بناء البيوت الريفية بالخرسانة

المبلحة وارتفاعها عما اعتاد وا عليه ، بد خول الكهرباء دخلت اجهـــــزة وادوات حضرية مثل التليفزيون والثلاجة والغسالة والسخان ، سهولة الاتصـال بالمدينة ليلا ونهارا) .

٣ - جوانب التغيير الاجتماعي اقل وضوحا :

وهم يرون ان هناك أيضا تغيير اجتماعي مضى مواكبا للتغيير المادى ولكن لم يكن بنفس النسبة أو بنفس الوضوح وهم يرون أن ابرز مظاهر التغيـــــير الاجتماعي يتمثل فى :

(استتباب الأمن - ارتفاع نسبة التعليم - اختفاء بعض العادات والتقاليـد مثل اقامة المأتم سبعة أيام - ارتفاع الوعى بشكل ملحوظ ، التغيير فى الموقـف من المرأة فازدادت نسبة البنات المتعلمات ، وازدادت نسبة الموظفات فـى القرية ، وأصبح مقبولا أن يوءخذ رأى الفتاة فيمن يتقدم لها ويعمـل برأيهـا احيانا) .

٤ - أن بعض جوانب التغيير ضارة بالقرية :

ويرى بعض المنسقين أن بعض جوانب التغيير لها مضارها على بنية القرية فالتليفزيون له آثاره السيئة الواضحة على القرية كما يرى بعض المنسقين انه قـد حدث بعض التفكك الأسرى داخل القرية نتيجة لهذا التغيير ، كما أن الأمـر الاكثر خطورة أن الزراعة لم تعد المهنة الرئيسية للقرية بل ظهرت مهن أكثـر جاذبية لاهالى القرية مثل : (التجارة وبعض الورش والمصانع الصغيرة) .

٥ - ان بعض جوانب التغيير ايجابية وموءثرة :

وثمة جوانب أخرى يرى المنسقون أن لها تأثيرا ايجابيا هاما على القـرية ومن اهم جوانب هذا التغيير أثرا "الوعى السياسى" "مراكز الشباب" مشـاركة الاهالى فى الحكم المحلى .

٦ - التغيير ادى الى اقتراب القرية من المدينة :

ويرى كثير من المنسقين أن التغيير الذى حدث للقرية غير من صورتهـــا بحيث اقتربت كثيرا من المدينة شكلا وموضوعا مما دعى كثيرا من ابناء المدن الى الاقامة الدائمة فى القرية رغم أن محال عملهم بالمدينة وان ثمة مظاهر مثـل محلات بقالة كبيرة ومقاهى ومحال عصير فاكهة ومطاعم اصبحت تنتشر بالقـرية ويقبل عليها القرويين .

٧ - انه رغم كل هذا التغيير فلا تزال قضية تنظيم الاسرة قضية هامشية :

لقد كان متوقعا أن يصحب هذا التغيير تغيير جذرى فى موقف القرية من قضية تنظيم الاسرة الا أن ما حدث هو استمرار النظرة القديمة لابناء القرية نحو الانجاب والاعتزاز بالعزوة والكثرة وهو أمر غير مفهوم لدى المنسق وليس لديـه

تفسير واضح يقدمه لاستمرار هذه النظرة واستمرار سيادتها على سلوك ابناء القرية .

أما رؤية المنسقين للفلاحين فتتمثل فى عدة نقاط نفصلها على الوجه التالى :

١ - للفلاح ايجابياته :

يرى المنسقون أن ثمة جوانب ايجابية كثيرة فى شخصية الفلاح لا يمكن اغفالها أو تجاهلها وهم يبدون اعجابهم بهذه الايجابيات سواء كانت صفة أم سلوكا وابرز هذه الايجابيات تتمثل فى :

(الشجاعة ، الكرم ، الصدق ، عدم التكلف ، التلقائية ، العفوية ، الذكاء ، التعاون ، التدين ، احترام الآخرين ، المجاملة ، الصبر ، حب التعلم ، اكتساب الخبرات ، الترابط ، الانتماء) .

٢ - للفلاح سلبياته :

والى جانب ايجابياته ثمة سلبيات لا تقل عنها ان لم تكن تفوقها وتتمثل فى :

(تمسكه بالعادات والتقاليد البالية ، تأخره بالأخذ بكل جديد ، سلبيته فى المشاركة ، لئيم ، مكار ، متواكل ، كسول ، متجمد فى رأيه ، لا يقتنع بسرعة ، لا مبالى ، عدم الثقة فى موظف الحكومة ، يهتم بمصلحته الشخصية فقط ، سريع فى تصديق الاشاعات ، يخاف من السلطة ، يخاف من القريب ، غير حريص وغير مقدر لقيمة الوقت ، يتفاخر بالحب والنسب وبكثرة الذرية ، يفضل الذكور عن الاناث) .

٣ - الفلاح غير مقتنع بتنظيم الأسرة :

وهم يرون ان الفلاح بصفة عامة غير مقتنع وغير مؤيد أو محبذ لتنظيم الاسرة وهو يرجع عدم تأييده الى اسباب دينية ويرون انه لا يقدم التبرير الدينى الا فى هذه القضية فقط وأنه عامل معوق فى تحقيق أى تقدم فى مجال السكان بصفة عامة .

٤ - سلبيات الفلاح هى المعوق لمشروع السكان والتنمية :

ويبرز المنسقون ان اهم المعوقات التى تواجه مشروع السكان والتنمية هو الفلاح نفسه من خلال تلك الخصائص السلبية التى سبق ذكرها فالشك واللامبالاة وعدم الثقة فى موظف الحكومة وفى المشروعات التى تقدمها الحكومة له يعوق المنسقين عن تحقيق اهداف مشروع السكان والتنمية .

٥ - استثمار وتوظيف ايجابيات الفلاح :

والحلول التى يطرحها المنسقون لتحقيق اهداف مشروع السكان والتنمية

هى الفهم الواعى لايجابيات الفلاح وتوظيف هذه الايجابيات من خلال علاقة وثيقة بين المنسق وبين الفلاح فى خدمة اهداف مشروع السكان والتنمية .

ثانيا : رؤية المنسق للمشكلة السكانية

ترى هل المنسقون على قناعة بان ثمة مشكلة سكانية تعانى منها مصر أم لا ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تكشف عن جدية واصالة موقف المنسق تجاه مسئولياته كما تكشف عن موقفه الشخصى لا الوظيفى من هذه المشكلة .

وقد أتبع لمعرفة قناعة المنسق الشخصية بالمشكلة السكانية اسلوب يعتمد على المواجهة بالرأى الآخر . فقد كنا نبدأ بتوجيه السؤال التقليدى التالى :

يا ترى ممكن تدينا تصور موجز من وجهة نظرك لمشكلة السكان فى مصر ؟

وكانت الاجابة التلقائية "المحفوظة" التى نتلقاها (والتى توجد فى كثير من مكاتب جهاز تنظيم الاسرة مكتوبة بخط عريض على لوحات معلقة) هى ان هناك مشكلة سكانية ذات جوانب ثلاثة هى النمو والتوزيع والخصائص .

وبعد ان يسجل الباحث هذه الاجابة يضع القلم جانبا ويبدأ فى اتخاذ موقف معارض لوجهة نظر المنسق التقليدية وتقديم مبررات لهذا الاعتراض لمعرفة مدى ثبات وقناعة المنسق بما يقول .

ولقد كشف هذا الاسلوب عن أن معظم المنسقين على قناعة بوجود مشكلة سكانية فى مصر وان ابدى البعض منهم تحفظا على ان تنظيم الاسرة ليس هو الحل الوحيد وان بعضهم يميل الى حلول اخرى كاعادة توزيع السكان واستثمار طاقات جديدة وزيادة الانتاج وقد يعكس هذا اسبابا دينية لدى البعض المنسقين فى تحفظهم على استخدام تنظيم الاسرة كحل رئيسى لهذه المشكلة .

ويوضح الجدول التالى موقف المنسقين من المشكلة السكانية فى مصر ومعرفتهم بها .

جدول رقم (٢٧)
يوضح موقف المنسقين من المشكلة السكانية

الموقف من المشكلة	عدد	٪
توجد مشكلة	٧٤	٩٦ر١
لا توجد مشكلة	٣	٣ر٩
الجملة	٧٧	١٠٠

ويكشف الجدول عن أن معظم المنسقين على قناعة بالمشكلة السكانية وجـــودا وحجما . . كما تكشف محتويات المقابلات التى اجريت معهم بأنهم على وعى بتفاصيل هذه المشكلة من حيث الخلل القائم بين عدد السكان والموارد الموجودة ومن حيث الزيادة المضطردة للمواليد عاما بعد عام ومن حيث الهجرة المتزايدة من القرية الى المدينة ، ومن حيث قلة الاراضى الزراعية بالنسبة للسكان وسوء استغلالهـــــا والاعتداء المستمر عليها بتحويلها الى مساكن او بتجريفها كذلك كثرة عدد الافـراد غير المنتجين فى مقابل قلة من ينتج كذلك العنصر النسائى والذى يشكل نصـــف المجتمع تقريبا عنصر غير منتج وغير فعال بالقدر المطلوب .

نخلص من هذا بان المنسـق " يعى " بان هناك مشكلة سكانية " ويعـــلم بتفاصيلها " ومقتنع بأهمية مواجهتها مواجهة علمية .

الفصل الســـابع

* صورة الذات والآخــــر

أولا : روءية الماضــى

كان التركيز على روءية المنسق لماضيه يدور حول أهم الأحداث التى تركت عليه تأثيرا اكثر من غيرها ، وكانت علامات بارزة على طريق حياته .

ترى ما هى هذه الاحداث ؟ وما هى طبيعتها ؟

وما الذى تشير اليه ؟ وما الذى تعــبر عنــه ؟

ان القراءة السريعة للحوادث المؤثرة فى حياة المنسقين تبرز عددا مـــن الدلالات الهامة التى نلخصها فى النقاط التالية :

١ - تكثر الاحداث المؤلمة عند تذكر ما مر به المنسق من احداث فى حين لا نلتقـى بالاحداث السعيدة الا قليلا ، ولعل ذلك قد يعنى ان خبرة الاحباط مـــن الخبرات التى تعيها الذاكرة جيدا ، والتى تثبت فى اعماق النفس .

٢ - وتنبع الاحداث المؤلمة اما من المنسق ذاته ، واما ممن حوله من الاهـــــل والاقارب المرتبط بهم ، والذى يصيب وقوع مصاب لهم (وفاة الوالد [1] ١٠، ١١، ٢١ ، ٦٢ ، وفاة الوالدة ٦٤ ، وفاة الاشقاء ١٠ ، ٧٥) الما بالغـــا بالنسبة له .

٣ - ويلفت النظر ان معظم هذه الاحداث المؤلمة وقعت ابان مرحلة المراهقــة أو بعدهـــا بقليل وهى فترة هامة اذ يتحدد خلالها بصورة حاسمة مدى توفيـــق المنسق فى تعليمه ومدى تحقيق اهدافه فى دخوله الكلية التى يتمناها والتخصص الذى يسعى اليه .

٤ - ويمثل الفشل فى التعليم نسبة لا بأس بها من استجابات المنسقين متمثلا فـــى (رسوب كامل فى الثانوية العامة ٤٧ ، ٥١ مرض اثناء الامتحانات ١٧ مجموع ضعيف فى الثانوية العامة ١٥ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ٧١ فشل فى دخول الكلية التى كان يتمناها (١ ، ١٢) .. وتكشف هذه الاستجابات فى مجملها عن عـــدم رضاء المنسق عما وصل اليه من تعليم وما انتهى اليه من تخصص .

٥ - وتترك خبرة التجنيد بالجيش ، وخبرة دخول الحرب سنتى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ بصماتها الواضحة على عدد من المنسقين باعتبارها أهم ما مروا به من حـــوادث اثرت فى مجرى حياتهم (٣ ، ٤ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٧٦) .

---

(١) الارقام ارقام الحالات التى اجريت عليها الدراسة من المنسقين الاقليميين .

٦ - وتتباين بعد ذلك الخبرات الخاصة المؤلمة ما بين حوادث خاصة (غرقـت لمدة نصف ساعة ٩ ، خلاف مع احد اساتذتي بالجامعة ٥٣ انقلبت بي سيارة ٢٢) الى حوادث وخبرات عامة الى حد ما مثل (ظروف صحية ٣ ، ٦٥ ، فشل في حب ٢٦ ، خلاف مع احد الاقارب ١٤) .

٧ - اما الخبرات السعيدة فرغم قلتها الا أن معظمها يدور حول خبرة الـــزواج (٥ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٤٤ ، ٦٦٠) .. ولعل ذلك يعني مدى ما انتهى اليه المنسق من استقرار عائلي وسعادة اسرية .

واذا تناولنا هذه الاحداث من منظور آخر بصرف النظر عن تفاصيلها مركزين على بعدين هما : العمق / السطحية ، الحزن / البهجة لوجدنا صورة هـــذه الاحداث متمثلة في الجدول التالي :

جدول رقم (٢٨)
يبين رؤية المنسقين للماضي وما مر بهم من احـــداث

طبيعة الحـــدث	ك	٪
حدث عميـــق	٥	٦ر٥
حدث عميق محزن	٣٠	٣٩
حدث سطحي مبهج	١١	١٤ر٣
حدث سطحي محزن	٢١	٢٧ر٣
ليس في حياتهم احداث	١٠	١٣ر٠

ويوضح لنا الجدول بعض النتائج التي تؤيد ما انتهينا اليه في استعراضنـا السابق والتي تتمثل في :

١ - ان الاحداث المؤلمة سواء اكانت سطحية ام عميقة تمثل نسبة كبيرة ٦٦ر٣٪ بينما تمثل الاحداث المبهجة سواء اكانت عميقة أو سطحية نسبة قليلة ٢٠ر٨٪ .

٢ - ان معظم المنسقين قد مرت بهم احداث (سواء كانت عميقة أم سطحية مبهجـة ام محزنة) ٨٧٪ بينما من لم يمر بهم حدث له أهمية نسبة قليلة من بينهـــم ١٣٪ .

وليس لنا من تعليق على هذه النتائج فهي فيما نرى لا تميز المنسقين بالذات بل هي اقرب الى الطابع القومي المصري وفقا لما تشير اليه العديد من البحـــوث المتخصصة في هذا الصدد .

ثانيا : رؤية المنسق لمثله الاعلى

لكل منا صورة مثالية Ideal image يسعى حثيثا ليكون على مثالهـــا أو قريبا منها ، وغالبا ما تتجسد هذه الصورة فى اطار شخصى ينال اعجابنا أو فكـــرة تشد اهتمامنا .

واتخاذ مثل اعلى أمر قريب من تلك العملية النفسية التى تسمى بالتعيــــين الذاتى Identification والتى لا بد ان يمر بها الفرد اثناء طفولته حتى يعبر مراحل نموه النفسى الاولى اذ لا بد ان يتوحد فى طفولته بابيه أو بامه ماضيا بعد ذلك فى طريقه نحو النضج متخليا عمن توحد بهم ليختار بعد ذلك ـ اختيارا حرا ـ مثله الاعلى الذى يتمنى ان يكون عليه .

لذلك فان المثل الاعلى " هو ذلك النموذج الواقعى الذى يجسد فيه الفـــرد تجسيدا حقيقيا الصورة التى يود ان يكون عليها " (١ ص١) .

ترى ما هى صورة المثل الاعلى للمنسقين ؟

كان سؤالنا المطروح على منسقينا هو : ما هو الشخص الذى تعتبره مثلـــك الاعلى ؟ ولماذا اخترته بالذات ؟

ويعرض الجدول التالى اختيار المنسقين لمثلهم الاعلى .

جدول رقم (٢٩)
يبين المثل الاعلى للمنسقــــين

المثل الاعــلى	ك*	٪
الوالـــد	٢٨	٣٦ر٤
الوالـــدة	٤	٥ر٢
شخصية اسرية أخرى	١٧	٢٢ر١
شخصية دينية	١٥	١٩ر٥
شخصية عامـــة	٦	٧ر٨
شخصية غير ذلك	٨	١٠ر٤
لا يوجد مثل اعلى	٢	٢ر٦

* ن = ٧٧

(١) قدرى حفنى : سيكولوجية المثل الاعلى لدى الشباب العربى ، عينـــة مـــن الطلاب الجامعيين المصريين ، دراسة غير منشورة ـ مارس ١٩٧٩م .

ويكشف الجدول عن الملاحظات التالية :

١ - ان الوالد يفوز باعلى نسبة من بين الاختيارات الاخرى و (٤ر٣٦٪) .

٢ - كذلك تصبح النسبة الغالبة لاختيار المثل الاعلى من داخل نطاق الاسرة (سواء كان والدا أم والدة أم شخصية اسرية اخرى) اذ تصل نسبتهم الى ٧ر٦٣٪ وهى نسبة عالية بالمقارنة الى المثل الاعلى من شخصيات خارج الاسرة اذ تصل نسبتهم ٧ر٣٧٪ .

٣ - تأتى الشخصيات الدينية على قمة القائمة فى اختيار المنسقين لمثلهم الاعلى من خارج الشخصيات الاسرية .

٤ - ان اثنين فقط من المنسقين ليس لهما مثل اعلى .

وتتفق تلك النتائج مع ما سبق ان توصلنا اليه فى دراستنا المشار اليها[1] . حيث حظت الشخصيات الاسرية بنسبة ٥٠ر٤٦٪ والشخصيات الدينية ٣ر٢٣٪ وهى اعلى النسب على الترتيب (١ ص ١٢) .

ولكن ترى ما هى الاسباب وراء اختيار المنسقين افراد اسرهم مثلا اعلى لهم؟

تختلف الاسباب التى يطرحها المنسقون وراء اختيارهم لكل فرد من افراد اسرهم ، فالاسباب وراء اختيار الاب مثلا اعلى تتفاوت من تقديرهم لصفاته وقيمه مثل :

(كان مهتما بالدين والاخلاق ١٣ ، عطوف وصديق مخلص ١٧ ، على قدر من الخلق والدين ١٨ ، رجل عصامى بنى نفسه ٧٥ شخص محترم ومرن ٦٣ يمتاز بالطيبة وحسن النية ٥٥ ، لانه كان ماشى فى طريق الحق ٤ ، انسان متدين ٥) أو تقديرهم لمكانته وعلاقته بالناس مثل : (شخصية محبوبة ١٠ ، همه يخدم الناس ١١ ، كان بيصلح بين الناس ٧٣ كان كبير العائلة بمعناها الواسع ٦٩) أو تقديرهم لما يلاقونه منه بصفة خاصة من رعاية وحب مثل : (لانه ربانا كويس ٧٧ صديق بالنسبة لى ٧٤ كان يعتبرنى اخ بالنسبه له ٧٢ كان يحبنى جدا ٧١ ، تمكن من تربيتى ٤٠) .

ويلى الاب الاخ سواء كان الاكبر أو الاوسط ويطرح المنسقون اسباب اختيارهم له فى انه : (قام بدور الاب (فهو الاب بمعنى الكلمة ٦) أو لصفاته مثل : (الناس كلها بتحبه ٨ ذكى ومحبوب من الجميع ١٤ طموح ويحب الافضل ٢٥ عدم استعجاله فى اتخاذ القرار ٦٦ لانه يتوقع الاحداث قبل وقوعها ٤٦ لانه منظم فى كل حاجة ٥١) .

اما ابرز الصفات التى جذبتهم لاختيار الام مثلا اعلى فهى تحملها المشقة وتضحياتها (كافحت وشافت عذاب لحد ما ربتنا ٤٤ تتحمل المسئولية دون شكوى ٤٥) .

---

[1] ندرى حفنى (نفس المرجع) .

ويأتى فى نهاية القائمة الاعمام والاخوال وابن الاخ وزوج الاخت .

تتبلور الان صورة المثل الاعلى للمنسقين متمثلة فى الاب بصورة خاصة أو باقى افراد الاسرة بحيث تدفعنا الى التساؤل عما تشير اليه هذه النتائج ؟

فى اطار المعطيات العامة لسيكولوجية النمو ، والخبرات الاكلينيكية من منظور علم النفس المرضى والاكلينيكى والطب النفسى فان " فكاك الفرد من النماذج الاسرية للمثل الاعلى يمكن ان يعد مؤشرا لنضجة واستقلاليته ، فى حين ان بقاءه فى اسار هذه النماذج يمكن ان يعد ـ على المستوى الفردى ـ دليلا على تعثر النضج والعجز عن الاستقلالية فضلا عن انه لو اكتسب صفة الطابع السائد فى مجتمع معين يمكن ان يعد ـ على المستوى القومى ـ نذير خطر يهدد تقدم هذا المجتمع وقدرته على التغيير ، فاستمرار الاجيال الجديدة مقيدة نفسها حتى فيما تحلم به من قيم ومنجزات بالجيل السابق انما يعنى ان غاية ما يصبوا اليه الجديد ان يكون تكرارا لقديم سبقه ، أى أن يكون قديما بدلا من أن تكون غايته تمثل ايجابيات القديم لو وجدت وتجاوزه على أى حال " (١ ص ١) .

ومرة أخرى فان المنسقين لا يختلفون فى هذا الصدد عن النمط السائد فى بلادنا بصرف النظر عن تقييمنا له .

ثالثا : رؤية الآخـــــر

كان مدخلنا الى رؤية المنسق للآخر طريقان مختلفان تمام الاختلاف يتمثلان فى :

أ ـ طريق مباشر بسؤال المنسق عن علاقته بجيرانه وعلاقته بزملائه ورؤسائه فى العمل ومرؤوسيه .

ب ـ طريق غير مباشر بسؤال المنسق عن بعض المواقف الصعبة التى مر بها والتى تكشف بالضرورة عن علاقته بالآخرين .

وكانت النتائج من كلا الطريقين ملفته للنظر فبينما تبدو علاقة المنسق بجيرانه وزملائه طيبة وممتازه ـ على حد قوله ـ تكشف النتائج الاخرى أنه يعيش ويواجه انواعا من الصراع وشعورا بالظلم احيانا وعلاقات مضطربة ـ احيانا ـ مع من حوله .

ولكى نبين التناقض الذى تكشف عنه النتائج نعرض لكلا من الجانبين ـ المباشر وغير المباشر ـ على الوجه التالى :

أ ـ الطريقة المباشرة : توضح الجداول الاتية صورة العلاقة بين المنسقين وبين :

١) جيرانهـــم .

٢) زملاء العمل ورؤسائهم ومرؤوسيهم .

جدول رقم (٣٠)
يبين علاقة الجيرة

صورة العلاقة	ك	٪
ممتازه بالجميع	٥٥	٧١ر٤
ممتازه بالبعض دون البعض	٢	٢ر٦
بين بين	٣	٣ر٩
علاقات سيئة	-	-
لا توجد علاقات	١٧	٢٢ر١

ن = ٧٧

جدول رقم (٣١)
يبين علاقات العمل

صورة العلاقة	عدد	٪
طيبة عموما	٧٢	٩٣ر٥
طيبة مع البعض وسيئة مع البعض	٢	٢ر٦
طيبة مع الروساء	٢	٢ر٦
طيبة مع الزملاء	١	١ر٣

ن = ٧٧

ويتضح من كل من الجدولين السابقين ما يلى :

١ - ان العلاقة بين المنسقين وجيرانهم أو العلاقة بين المنسقين وزملاء العمل (زملاء ، روساء ، مروئوسين) علاقة ممتازة وطيبة بالجميع يصل متوسطها الى ٨٢ر٥٪ وهى نسبة عالية للغاية .

٢ - انه لا توجد علاقة سيئة واحدة بين المنسقين وبين الاخرين ممن حولهم جيرة وعملا .

٣ - ان العلاقة الطيبة تصل الى اقصاها مع الاخرين فى العمل .

ب - الطريقة غير المباشرة

كان مدخلنا فى هذه الطريقة لمعرفة روئية المنسق للاخر متمثلة فى المواقف التالية :

١ - موقف شعور المنسق انه مظلوم من الآخرين .
٢ - موقف حدث فيه سوء تفاهم شديد بينه وبين صديق له .
٣ - موقف شعر فيه بالحرج والكسوف .
٤ - موقف غضب وفقد زمام اعصابه فيه .
٥ - موقف شعر فيه بانه ظلم احدا ما .

وتشير استجابات المنسقين الى نتائج مختلفة تمام الاختلاف عن تلك التى انتهينا اليها بالطريقة المباشرة ويمكن ان نعرض لاهم هذه النتائج بايجاز على الوجه التالى : -

١ - ان المنسق قد عاش بعض الخبرات التى اشعرته بالظلم من الآخرين ، وهذه الخبرات متنوعة ومتعددة ومتباينة . فهو يشعر بالظلم من رؤسائه (لما اتعينت فى وزارة الزراعة اللى ليهم واسطة من زملائى اللى تعينوا معايا راحو الحتة اللى همه عايزينها وانا ودونى زى ما همه عايزين ١٢ شعرت بالظلم حين منحت وزارة الصحة زميلا لى علاوة تشجيعية ولم تمنحنى وانا اعتقد أننى افضل منه ٥٥ طلب مدير المكتب تعيينى وكيلا للمكتب وفوجئت بالجهاز يلغى تعيينى ويخصم حوافز ثلاث شهور ٧٠ رفض رئيس قسم بالكلية دخولى رغم توفر الشروط ٦٦ كنت طالب نقلى لبنى سويف وكان معايا واحد وافقوا له وانا لأ ٤ وأنا فى الفيوم فوجئت بنقلى من مركز لمركز بدون وجه حق ورفضت تنفيذ النقل ٢ كان فيه وظيفه كويسة اتقدمت لها لكن فضلوا واحدة اخوها استاذ جامعة وصاحب المدير ٤٢ لم تصرف منحة رمضان لى مساواة بزملائى فى مديرية الزراعة ١٩) .

ويلخص احد المنسقين مشاعر الظلم لديهم بكلمات واضحة (نظام العمل فى مصر يجعل الشكر يعود على الرؤساء فقط والاخطاء هى التى توجه الى الموظف وهذا النظام يقتل روح الابتكار ويجعل لدى الانسان احساس بالظلم) .

٢ - وهو - فى علاقته بالآخر - زميلا أو جارا يعانى احيانا من اختلال هذه العلاقة واضطرابها (حسيت بالظلم من الناس اللى انا بساعدها وهم بيحساربونى وبيتصيدوا اخطائى ٥٧ فوجئت بالناس اللى بعمل معاهم وبحبهم ينقلبوا ضدى ٢٨ نكران الجميل بتخليك تفقد اعصابك ١٦) .

٣ - وهو يثور ويفقد اعصابه عندما تضطرب علاقته بأقرب الناس اليه - أو عندما يدخل فى خلاف مع آخرين (خلاف بين زوجتى وامى فقدت اعصابى لدرجة انى كسرت انبوبة البوتاجاز علشان أولع فى البيت كله ٤٦ تطورت مشادة بينى وبين صديق وصلت لحد الضرب . المدام صممت تنزل لاهلها حلفت يمين ما تنزلش وبعدين لقيت نفسى بخبط قزاز البيت وبكسره ٦ كان موقف بينى وبين مراتى ، أمها مدخله فى مخها انها متروحش عند اهلى ولما عرضت عليها تروح البلد رفضت شرت ومديت ايدى عليها ٥) .

٤ - وهو يظلم الآخرين ويشعر بالذنب (صدقت والدتي في امر ذكرته عن زوجتي وعنفت زوجتي عليه واكتشفت بعد ذلك انى ظلمت زوجتي وانها بريئة ٦٣ وانا مجند دبرت لعسكرى معايا حكاية عشان بنام في الخدمة وبعدين قدمته للمكتب وخد ثلاث شهور سجن و ٢٨ جلده ٥٣ ضربت واحد كان ماشي غلط في الاتجاه الممنوع بعربيته لما شتمني بالاب والام ٥٢ تعمدت اطارد موظفه كانت تعمل عندى في الوحدة الحسابية حتى قدمت استقالتها ٥٧) .

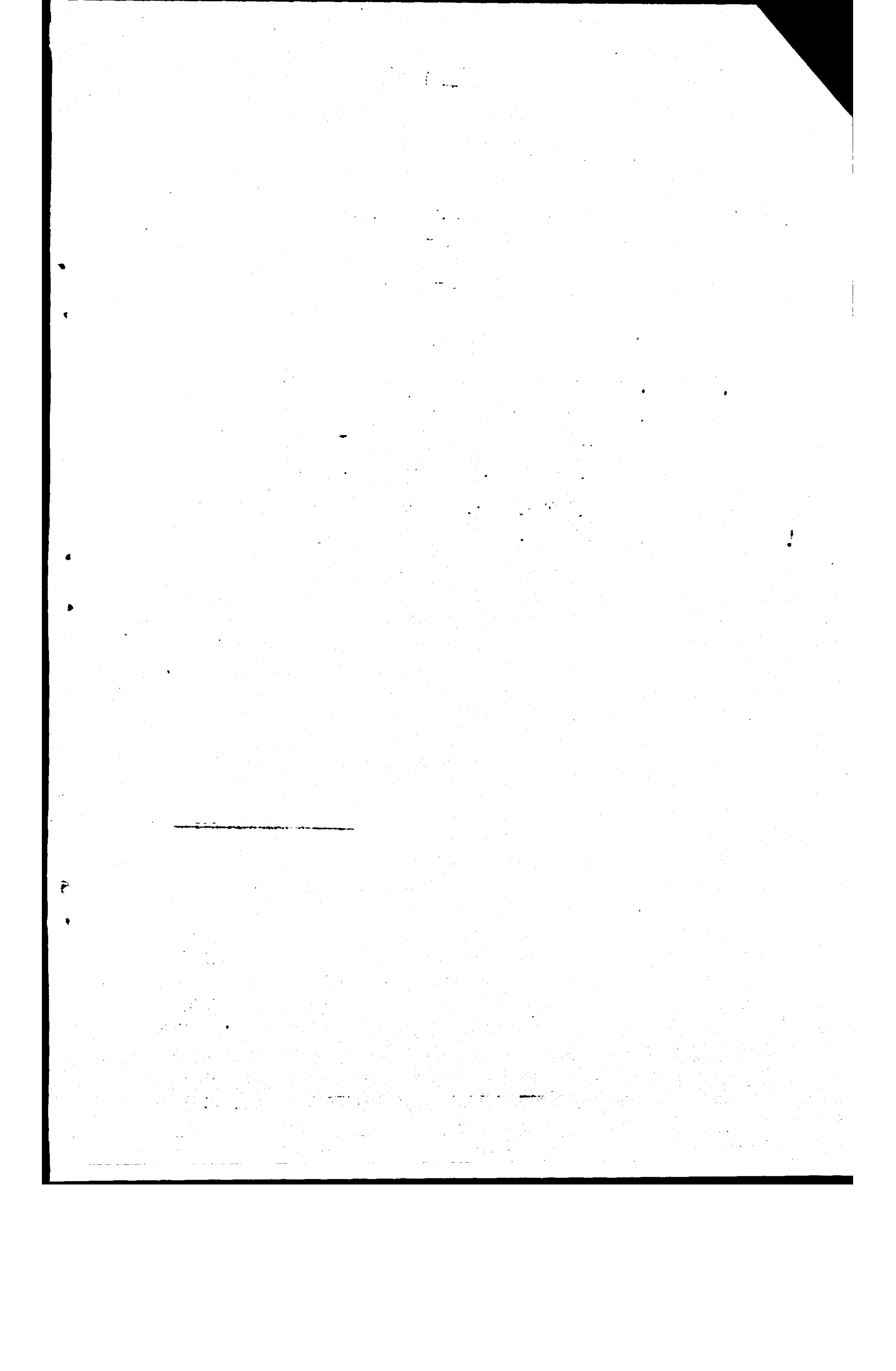
٥ - وينتابه الحرج ويشعر بالخجل في مواقف كثيرة تمس علاقته بالآخر (حدثت وفاة فجأة في البلد وما كانش معايا فلوس انكسفت اطلب من زميلي وخدت فلوس من الساعي ٦٣ وانا قاعد آكل في مطعم ما لقيتش في جيبي فلوس ٤٥ مرة كنت راكب تاكسي واكتشفت ان كل فلوسي ناسيها في البيت ١٦ كنت عامل دراسة فنية لمشروع طلباء احدى القرى قدمته للجهاز ما ردش حسيت بالحرج قدام اللجنة الاستشارية ١٥ في دورة تدريبية كنت بصور بعض الشخصيات الهامة الفلاش ما اشتغلش كانت محرجة بالنسبة لى ١٩) .

٦ - وتشعر المنسقة بصفة خاصة باضطراب علاقتها بالآخر (يوم فرح اختي زوجي كان عايزني اسيب الفرح وامشي فغضبت وزعقت له قدام الناس ٧١ ظلمت ولادي لاني بتركهم طول النهار ومفيش حته افسحهم فيها ٧١ عموما المرأة طول عمرها حاسة بالظلم ٤٧) .

الباب الثاني

الفلاحون

(١) نماذج من دراسات عن الفلاحين المصريين
(٢) حول التكوين السيكلوجي للفلاح المصرى
(٣) انماط الوعي والسلوك لدى الفلاحيين المصريين تجاه تنظيم الاسرة
(٤) المسألة السكانية في قرية مصرية، دراسة لتجربة اللجان الاستشارية بمنهج الملاحظة بالمشاركة ٠



٢٠١٠ نماذج من دراسات عن الفلاحين المصريين*

---

* نقلا عن
محمد محمد سيد خليل ، الفلاح المصرى : دراسة فى شخصية الجماعة ، بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير فى علم النفس من كلية الاداب ـ جامعة عين شمس ، ١٩٧٩ ، بحث غير منشور .

بقدر ما كان العثور على دراسة واحدة تفيد في هذا الموضوع - شخصية الجماعة للفلاح المصرى - امرا شاقا في البداية ، بقدر ما كان حصر الدراسات المتواترة وتصنيفها امرا مرهقا فيما بعد . ويرجع ذلك الى ان الباحث في البداية كان يبحث عن تلك الدراسات التى تناولت الفلاح المصرى ، وعند ما فشلت مساعيه - الا فيما ندر - ، اضطر الى توسيع نطاق البحث ليشمل كل ماكتب عن المصرى بعامة ، وبالرغم من ذلك فلم يكن الامر مثمرا بشكل كاف ، ولذا كان التوسيع الثانى فى نطاق البحث حتى يشمل كل ماكتب عن العربى . وكان المنطق وراء ذلك هو ، ان كل من يكتب عن المصرى او العربى لا يستطيع ان يتجاهل الفلاح بأن يسقطه من حسابه ، بل ان البعض قد اكتفى بدراسة الفلاح العربى عن طريق دراسة الفلاح المصرى ، لكى يتعرف على الشخصية العربية . (١٢٠) .

ومن ناحية اخرى ، لم يقتصر نطاق البحث على ماكتب بواسطة المتخصصين فى علم النفس - وهذا مافرضته طبيعة الموضوع - بل اتسع النطاق ليشمل كل ما كتب عن الفلاح او المصرى او العربى بغض النظر عن التخصص ... وقد أسفر ذلك عن اننا قد وجدنا انفسنا فى النهاية امام حشد من دراسات تمت بواسطة متخصصين فى أنوع متعددة من أنوع العلم منها - على سبيل المثال لا الحصر - علم النفس (١٢ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٢٠) . وعلم الاجتماع (١٩٦٩ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٤) والجغرافيا (١٥) والتاريخ (١٤ ، ٦٦) والفلسفة (٢٠ ، ٦١) والتربية (٥٤) والانثربولجيا الثقافية (١٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠) والزراعة (٦٠) والقانون (٧٤) وغيرها فضلا عن الكتابات العامة (٢ ، ١٦ ، ٤٠ ، ٧٣) .

ولا غرابة ، ان يعكس هذا التعدد ، تعددا فى الاطر التفسيرية للظاهرة موضوع الدراسة ، فمنها من ذهب الى تفسير الشخصية - سواء الخاصة بالفلاح او المصرى او العربى - فى ضوء مايسود من انماط ثقافية فى المجتمع وخاصة تلك التى تحدد أساليب معينة فى تربية

وتنشأة الاطفال .. ومنها من اتخذ من الارض ـ الجغرافيا ـ اساسا تفسيريا معتمدا على الشخصية الجغرافية المتبلورة والثابتة للمجتمع .. ومنها من اتخذ من التاريخ ووقائعه اساسا تفسيريا لما هو قائم الان من خصائص لافراد المجتمع الذين خبروا هذه الوقائع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ... ومنها من اتخذ من الاساس الاقتصادى للمجتمع (النظام) اساسا لتفسير كل مايوجد على ظهره ، بما فى ذلك الشخصية .. ومنها من كون اطارا تفسيريا يجمع بين كل او بعض الاطر السابقة الذكر وغيرها .

ومن الجدير بالذكر ان الدراسات التى تناولت شخصية الجماعة بطريقة مباشرة على المستوى الفلاحى او المصرى او العربى ـ بأحد المعانى التى قدمناها فى الفصل السابق ـ تعتبر محدودة نسبيا ، بل انها تكاد تنعدم على المستوى الفلاحى ـ كما سبق الذكر ، فى حين ان الغالبية العظمى منها لم يستهدف دراسة شخصية الجماعة ، وانما تعرضت لدراسة ظاهرات اخرى اقتربت بدرجات مختلفة من نقاط تهمنا على سبيل المثال ، هناك مجموعة دراسات تعرضت لظاهرة " التغير " بالدراسة فأدى بها ذلك فى بعض الاحيان الى التعرض للشخصية وبعض خصائصها ووصفها تساعد على او تحول دون حدوث التغير . (١٢ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٩) . كذلك هناك دراسات تناولت خاصية واحدة من خصائص الشخصية بالدراسة دون اعتبار للخصائص الاخرى . وقد اعتبرت بعض هذه الدراسات أن تلك الخاصية انما هى مفتاح الشخصية .

وفى نهاية هذا التقديم لايفوتنا ذكر ان الدراسات التى اهتمت بشخصية الجماعة على المستوى العربى او المصرى او الفلاحى كانت انعكاسا للتوترات والصراعات التى شهدتها المنطقة ، وبالذات الصراع العربى ـ الاسرائيلى .. بل ان الغالبية العظمى من هذه الدراسات جاءت عقب نكسة يونيو ١٩٦٧ ثم بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ .. وليس غريبا ان يكون معظم من اهتم بدراسة شخصيتنا من غير العرب والمصريين ، هم علماء النفس والاجتماع اليهود والصهاينة أو غيرهم ، وسوف نرى اثر هذه الحقيقة على كتابات ودراسات المصريين والعرب فيما بعد .

اساس تصنيفى :

كان من الصعب ايجاد اساس تصنيفى واحد يتسع ليضم بين جنباته هذا الحشد من الدراسات على تعدد تخصصاتها وجنسياتها واهدافها واطرها النظرية بمفاهيمها وادواتها ومادتها المختلفة .

ومن ناحية اخرى هناك اسس تصنيفه متعددة معروفه للجميع كأن يكون التصنيف على اساس من المنهج او الاطار النظرى او العينة او الادوات المستخدمة فى الدراسة . وقد يكون على اساس التخصص العلمى الذى تنتمى له الدراسة ، او على اساس الحقبه التاريخية التى تناولتها الدراسة او التى تمت فيها الدراسة ، وغيرها من الاسس التصنيفية .

ولقد اضطر الباحث الى ان يعرض الدراسات السابقة فى تصنيف يجمع بين اساسين فى الاسس التصنيفية سابقة الذكر ، وهما نوع الدراسة (نظرية ـ عمليه) ، والمادة الخاضعه للدراسة (تحليل افراد ، تحليل انتاج ، اعادة تحليل) .

١ ـ دراسات عملية (امبيريقية) :

وهى الدراسات التى تتعرض بالدراسة للفرد او انتاجه او الظروف المحيطه به والتى يتأثر بها يؤثر فيها . وينقسم النوع الى قسمين فرعيين :

(أ) دراسات تقوم على تحليل الافراد :

ومادة هذا النوع هم الافراد ، ويرى "قدرى" ان العينة التى تتكون من أفراد المجتمع الذى ندرس شخصية الجماعه التى تعيش فيه هو الاسلوب الامثل للدراسة ، وان كان بعض الباحثين يلجئون فى بعض الاحيان الى دراسة افراد الجماعات المختبرة من الجماعه المستهدفه او أفراد جماعه منعزله من الجماعة المستهدف دراستها (٤٥) .

اما عن الادوات المستخدمة في هذا النوع من الدراسة فهي تشمل كل وسائل قياس الشخصية دون استثناء ٠

وفيما يلي عرض لبعض هذه الدراسات ٠٠٠

١) دراسة " الاب هنري عيروط اليسوعي " (٧٢) :

أراد ان يلفت النظر الى الفلاح الذى يعانى من تجاهل الجميع على الرغم من أهميته كقوة منتجه ٠ وقد مضى الباحث عشرات السنين بين الفلاحين المصريين ملاحظا ومدققا ٠

وقد جاء كتابه أقرب الى الوصف المفصل لحياة الفلاح منه الى التحليل والتفسير ومن ثم يمكن اعتبارها دراسة وصفية ـ ويمكن استخلاص النتائج التاليه من بين صفحات الكتاب ٠٠ يشير اولا الى خاصية الثبات فى نوع حياته ـ الفلاح ـ الذى لم يتغير بالرغم من تغير ساد ته ود ينه ولغته وثقافته ٠ وهو يشير الى تشككه وسوء نيته نتيجة الظروف السيئة التى عاشها ٠ واما عن ذكاء الفلاح فان عموميته اكثر من خصوصيته كما ان جموده اكثر من حركته ، وسلبيته اعظم من ايجابيته ٠٠ كما انه يشير الى الفلاح صبره ، وانخفاض مستوى طموحه وتفكيره الخرافى ٠٠

٢) دراسة حامد عمار (١٨) :

من الدراسات التى تنتمى الى الاطار التفسيرى الثقافى والتى تعطى اهمية لعملية رعاية الاطفال بوصفها محددا اساسيا للشخصية ٠٠ ولقد تعرض الباحث لدراسة معالم المناخ السائد فى القرية مجال الدراسة (سلوا ـ اسوان) وذلك بمنهج انثربولوجى ، ثم التفت لدراسة الشخصية بالاساليب السيكولوجية (اختبار الروورشاخ) ٠

أما عن الشخصية التى تميز مجتمع الدراسة فقد وجد انها تفتقد الى الطاقة المثابرة المنتجه التى لا تستسلم بسهولة ٠٠ وانها تتسم بالنظرة الواقعية التفصيلية للمواقف ٠٠ وانها تحرص على الموافقة الشكلية لانماط السلوك والمظاهر الاجتماعية ، بضمور الخيال ٠٠٠ كما

وجد انهم قوم انبساطيون مستعدون للاستجابة ورد الفعل السريع • (١٨ : ١٣١ ـ ١٣٢) •

ويشيد عودة بمدى الاحكام الذى وخرج هذا الباحث لدراسته بما مكنه من تقديم فهما متصلا لنمو الاطفال فى قرية مصرية وارتباط ذلك بالبناء الاجتماعى للقرية (٦٣ : ٤٩) • ونؤيده فى هذا الرأى • ولانأخذ عليه سوى اطاره التفسيرى الثقافى الذى هو نتيجة بالدرجة الاولى وليس سببا •• تحقيقى • لانستطيع ان ننكر اثره على وتأثره بالشخصية • الا أن كلاهما نتاج للظروف الاجتماعية الاقتصادية السائدة فى المجتمع •

٣) دراسة حسن الخولى (١٩) :

وما ينطبق على الدراسة السابقة من نقد ينسحب على التالية بل يزيد •• تسعى هذه الدراسة الى معرفة اثر تغير الثقافية على الشخصية • عن طريق دراسة مجموعة ممن أدوا الخدمة العسكرية من الفلاحين • واقرانهم الذين لم يأدوا الخدمة العسكرية • وذلك بواسطة استبيان وعدة مقاييس اعدها لهذا الغرض تقاس بواسطتها مجموعة من الخصائص نسبها للثقافة الفرعية للفلاحين ••

ولقد كشفت نتائج الدراسة من أن الفلاح المصرى اذا اتيحت له فرصة مناسبة لتحسين اوضاعه الاجتماعية ـ الاقتصادية فانه يفيد منها ويتخذ منها منطلقا للسعى نحو بلوغ المزيد من الاحسن • والدليل على ذلك ان الفلاحين الذين التحقوا بالجيش لاداء الخدمة العسكرية • قد ازدادت لديهم مستويات الطموح كما ازداد وعيهم باوضاعهم الاجتماعية واتسعت نظرتهم للعالم (١٩ : ٥٠٤) •

والى جانب ان النقد الخاص باتخاذ الثقافة السائدة فى المجتمع اساسا تفسيريا • ينسحب على هذه الدراسة • فان هناك نقد آخر يتمثل فى خطأ التعميم حيث صادق الباحث على الاتجاه الذى يذهب الى ان هناك ثقافة فرعية فلاحية تنطبق على كل الفلاحين باختلاف الزمان والمكان وهو تعميم يفتقد الى التدعيم الامبيريقى • بل ان الباحث

قد وجد بنفسه اختلافات بين الاقران بعضهم البعض لاختلاف الظروف التى تعرضوا لها • ومن ناحية اخرى فلو صدق ان تغير الثقافة التى يعيش فيها الفرد تؤدى الى تغير فى الشخصية ، ولو عرفنا ان معظم الشباب المصرى يلتحق بالخدمة العسكرية ، لكان من الضرورى ان تكون الاحوال مختلفة الان ، وخاصة ان نظام التجنيد نظام قديم نسبياً •

٤) دراسة بثينه قنديل (١٢):

تنتمى الى نفس الاطار الثقافى فى التفسير ، وتتساءل : هل أدت التغيرات الحضارية فى مصر خلال العشرين عاما الخاليه الى تغيرات فى نفسية الفرد وشخصيته ؟ وقد اجرت الدراسة على عينتين من أطفال احدى القرى من سن ٩ ــ ١٢ سنه الاولى سنة ١٩٥٥ والثانية سنة ١٩٧٠ اى ان الدراسة كانت شبه تتبعيه (طوليه) • وقد استخدمت اختبار تفهم الموضوع للاطفال (كات) بعد اجراء عدة تعديلات فى الصور كى تناسب الطفل المصرى ، ولنا عودة الى ذلك فى الفصل القادم •

اما عن النتائج ، فقد وجدت ان هناك فروق ذات دلاله على سمات الطموح والعمل وتأكيد الذات والعدوان لصالح مجموعه ١٩٧١ ــ كذلك فان الضغط الاجتماعى العدوانى اكثر لدى عينة ١٩٧١ فضلا عن الثقة بالنفس ، كذلك كان الفارق دالا على متغيرى الاحساس بالخطر والخوف لدى عينة ١٩٥٥ •

٥) دراسة " حاريك " (١٦):

أجرى الباحث دراسته على قرية " شبرا الجديدة " بمحافظة البحيرة ، حيث القى الضوء على آثار ثورة يوليو ١٩٥٢ السياسية والاجتماعية على الفلاحين • • وذلك مستعينا بالمنهج التاريخى ثم بمصادر ثلاث للبيانات هى الوثائق ، والملاحظه بالمشاركه ، ومسح للرأى العام ، وذلك خلال عام ١٩٦٧ ــ ثم انقطع بسبب حرب يونيو ، وعاد فى صيف ١٩٦٨ •

وقد رصد فى البداية ، التغيرات الثورية فى جوانب الحياة المختلفة ، ثم قدم نتائج المسح التى عكست تغيرا فى افكار واتجاهات

سكان هذه القرية تتسق والتغيرات التى حدثت فى البناء الاجتماعى للقرية اصبح الفلاح جزءا من شبكة اتصالات باتساع الامه ، وأصبحت الافكـار جزءا من العمله التى يتعامل بها . واصبح قادرا على اتخاذ القـرارات التى تؤثر على اخرين فى القريه بصفته ناخبا . ويقول «ان هذه الصفـات أصبحت خصائص للفلاحين المتوسطين وليس فقط على اوضاع الفلاحيـن العاديين ، لانهم — على وجه التحديد — مشدودين الى بناء قـوة اوليجارشى لا يستجيب للجماعه .. (٩٦ : ٢٦١).

٦) دراسـات اخـــرى :

وهى دراسات تنتمى الى هذا النوع ،الا انها تهتم بدراسـة متغير واحد فى الشخصية ،أو ظاهرة اجتماعية واحدة.

منها دراسة " محمد عاطف غيث " (٥٧) بعنوان " التغيـر الاجتماعى فى المجتمع القروى " حيث وجد ان هناك تغيرا قد لحـق بالاوضاع السائدة فى القرية ، الا انه يرى انه تغير كمى اكثر منه تغيـر كيفى (٥٧ : ٥٠٦) .

اما " سالم " ، فانه يبرز اثر اتاحة فرص التعليم على التغير الاجتماعى فى القرية المصرية ،حيث ان هناك ارتباطا ايجابيا بينه — التعليـم — وبين الانفتاح على العالم ،وتقبل الاتجاهات الجديدة وغيرها (٢٥).

اما "محمد محيى " وآخرون ، فقد وجد ان انتشار المعلومـات الجديدة فى الريف يرتبط ايجابيا بالتعليم وملكية الارض ووسائل الاتصال ودرجة التعرض لها (٦٠).

وهذا " عودة " ،وجد ان المجددين يميلون الى ان يكونوا مـن فئات عمريه شابه ،ومن فئات اقتصادية مرتفعه ،ومن فئات تعليمية اعلـى وانهم اكثر ايجابية ،كما يميلون الى الانتماء الى المهن غير الزراعيـة اكثر من غيرهم (٦٢).

يؤكد "حمزة " وآخرون ، على الحقيقة السابقة والمتعلقة بـأن الاجيال الجديدة بفضل مرونتها وديناميتها وتطلعها للمستقبل ، انما

تمثل ذلك القطاع من المجتمع القروى الذى لايقاوم التغير ، وخاصة الشباب الذين يحصلون على تعليم وتأهيل رسمى والذين اتصلوا مع طرق الحياة الحضرية ، بما ادى الى نشأة الصراع بين الاجيال (٦٥ : ١٦٨) .

ولقد تعرض " عبد الباسط " لدراسة مظاهر صراع القيم فى أسر مصرية بطريقة سوسيوجرافيه فتوصل الى ان الاتجاه العقلى – فى مقابل الاتجاه التقليدى – يسود بين الابناء ، ثم الاباء ، ثم الامهات واخيرا البنات على الترتيب . ومن أبرز صور الصراع بين الابناء الذكور والاباء هو مايحدث بين الابناء الذين نالوا قسطا من التعليم وبين ابائهم الاميين ، حيث تضاد القيم بينهم ، فالابناء يهتمون بالمظهر الخارجى . فى حين ان الاباء يهتمون بالحفاظ على النقود لشراء الارض والتأمين مستقبل الاسرة (٣١ : ٨٤ – ٨٥) .

ويتوصل " ملكية " لنتيجة مشابهه لما سبق ، حيث وجد ان الاتجاهات الايجابية ترتبط د ائما بصغر السن وارتفاع مستوى التعليم وازدياد التعرض لوسائل الاتصال الجمعى وزيادة حجم العضوية فى الجماعات المحلية (٤٩) .

كذلك أبرز " نجيب ورشدى " هذه المتغيرات واهميتها من خلال د راسة " الاتجاهات نحو الخرافات من حيث الشدة والسعه والتردد حيث وجدوا ان انتشار الخرافات يرتبط بشكل سلبى مع ازدياد مستوى التعليم وارتفاع المستوى الاقتصادى والاجتماعى . كذلك يزداد انتشارها بين الاناث والذكور بشكل دال على بعدى الشدة والسعه (٧٠) .

(ب) دراسات تقوم على تحليل الانتاج :

ومادة هذا النوع من الدراسات عبارة عن حصيلة كافة أوجه النشاط التى يمارسها أفراد الجماعه او المجتمع المستهدف وذلك فى حياتهم اليومية دون سعى من الباحث لدفعهم اليها ، ودون ان يقصدوا هم تقديمها اليه . ومنها الصحف والمجلات والاذاعات والافلام السينمائية والانتاج الفكرى المكتوب ، وعيبها جميعا أن هذه المادة من الممكن

الا تكون سوى تعبير عن منتجها . اما الاحصاءات السكانية كمادة تخضع للتحليل فانها تكون غير دقيقة على النطاق القومى "كذلك يمثل الفولكلور مادة خصبة يلجأ الكثيرون الى تحليلها للتعرف على شخصية اصحابها ، الا ان مشكلة الفولكلور تتمثل فى تعريفه وتمييزه . عن بقية انواع الادب . وقد يلجأ البعض الى تحليل اللغة بوصفها نتاج اجتماعى ، الا انها اقل النتاجات الاجتماعية تأثرا بما يطرأ على الجماعات من تغييرات (٤٥) . وفى الغالب يكون " تحليل المضمون " هو الاداة المستخدمة فى تحليل هذه المادة ..

وفيما يلى بعض الدراسات التى صنفناها فى هذه الفئة ..

١) مجموعة دراسات " سيد عويس " : (٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦) :

من أهم من تصدى بالتحليل لانتاج المصريين ، مثل الرسائل التى يرسلها البعض الى الامام الشافعى ، والكتابات على المركبات ، فضلا عن غيرها من الحقائق الثقافية الموجودة فى المجتمع المصرى وهو يصف دراساته هذه بأنها موضوعية ، اتخذت من المنهج العلمى طريقا لها ، وان كان يشير الى ضرورة اجراء مزيد من الدراسات الواقعية الاكثر عمقا وشمولا .

وهو يكاد يكون قد جمع فى كتابه " حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المعاصرة " ـ الذى كان رد فعل لهزيمة يونيو ١٩٦٧ ـ معظم خبرته فى هذا الموضوع حتى تاريخ صدور الكتاب .

وهو يتحدث عن بعض قيمنا الايجابية مثل الصبر والتضحية والتعاون والعيش والملح والمجاملة ، مدعما كلامه بالشواهد الثقافية . كذلك يتحدث عن مشاعرنا الجميلة ، مثل ان الموتى يتحكمون فى الاحياء ، والحزن ، والصدقات والنذور ، والتدين ، والدعوات الى الله ، والذكر والعصبية والتعصب ثم ينتقل الى الحديث عن انماط تفكيرنا فيذكر الموقف من الجديد وما يشوبه من حذر وتردد وخوف وهو موقف يوجد فى مختلف المجتمعات المتخلفة (١٢١) ، ومواجهة المجهول وطبيعتها المتشائمة ،

وضفاضية الزمان والمكان بوصفها خاصة المجتمعات المتخلفه ، والاهتمام بالكم على حساب الكيف او العكس ، والتفاؤل والتشاؤم ثم النظره المتخلفه نحو المرأة .

الا أن الامر يتطلب ـ كما يذهب الباحث نفسه ـ المزيد من الدراسات الواقعية والاكثر شمولا ، والتى تربط بين تلك الخصائص فى صورة كليه ناهمه ، وتفسير شامل وليس جزئى .

٢) دراسة " رافائيل باتاى "(١١٤) :

كان الهدف من هذه الدراسة هو رسم صورة " للعقل العربى " ، وقد سعى الى ذلك من خلال تحليل اساليب التنشئة السائدة فى العالم العربى ، وتحليل اللغه العربية ، وتحليل مجتمع ماقبل الاسلام فى مقابل مجتمع مابعد الاسلام ، وتحليل الفنون والاداب العربية .

ولقد خرج بالنتائج التالية :

١ ـ ان هناك اختلافا بين الرجل والمرأة ، القوة والتفوق للرجل ، والدونيه للمرأة .
٢ ـ الميل للاعتماد على الماضى .
٣ ـ الميل للاعتماد على القواعد الموروثه والتقاليد التى تتميز بقدامة القديم .
٤ ـ النفور من بذل الجهد لتغيير المواقف القائمة .
٥ ـ عدم الاستعداد للمثابرة بهدف تحصيل مرجأ .
٦ ـ الميل الى التهديدات اللفظية كتعبير عن الغضب دون يتبع ذلك فعل .
٧ ـ الميل الى البلاغه اللفظيه والمبالغه وزيادة التأكيد والاعادة .
٨ ـ الميل لاحلال الافعال بالكلمات .
٩ ـ اغفال الزمن وعدم القدرة على الاحساس به وذلك لغياب التحديد الزمنى فى اللغة العربية .
١٠ ـ الازدواجية ، وذلك بالنسبة لمن يتعلمون لغة اجنبية غربية حيث

ان ذلك يمثل الانكسار الاول في التكامل السيكولوجي العربـــي .
بل انهم يكونون اتجاها ثنائي الوجدان نحو الثقافتين ، العربيــة
والغربيـــة .

١١ـ حس قرابي ،ولاء ،شجاعه ، رجوله، كراهية العمل اليدوي ،اهتمام كبير بالشرف ،احترام الذات ، الثأر الدموي ، الضيافية،الشهامه الشرف الجنسي للمرأة ،وكلها بديهيه الصدر وترجع الى حقبـــــه ما قبل الاسلام.

١٢ـ القدريه ، وبالتالي عدم القيام بأي جهد لتحقيق الافضل .

١٣ـ مزاج ثائر ، ومضات من الغضب ، عدوانية معنف ، وفي ذلك يتحول السلوك من النقيض الى الاخر ، من ضبط النفس الى الاندفـــاع المدمـــر .

١٤ـ سلوك متفصل يعكس نقص في العلاقة بين المستويات الوظيفيـــة الثلاث للوجـــود والانساني : الافكار ، الكلمات ،الافعـــال فالتفكير يعمل على مستوى مثالي ، واللغه تميل الى التعبير عـــن أفكار مثاليه ، وتمثل الامال والرغبات كما لو كانت حقيقة واقعـــه.. هذا فضلا عن أن هناك انفصال بين الافكار والاقوال من جانـــب ، وبين الافعال من جانب آخر ، حيث ان الافعال مرتبطه بالحقيقـــه بعكس الافكار والاقوال .

١٥ـ تكرار لانهائي للعناصر الرمزيـــة.

١٦ـ الميل للصراع .. صراع بين المثالي والواقع .. تردد بين الوحـــدة والصراع بين الاقطار العربية ، فالوحدة فكرة مثالثة ، والحقيقـــة غير ذلـــك .

١٧ـ عقدة الدونيـه ، وكراهية لا مبرر لها للغرب .

ولقد تصدى " سمير نعيم " لهذا الكتاب بالنقد ، وبالرغم من أنـــه يقدر قدرة " باتاي " المنهجية ، الا انه ينتقده لتعمده اتباع اساليـــب غير علميه في هذا الكتاب لكي يؤكد تلك الصورة النمطية السلبية عـــن العـــرب ، وأولى النقاط التي وجه اليها هجومه ، هي الطابع المثالـــي

لمفهوم الشخصية المنواليه او الطابع القومى المستخدم فى الدراســــة ،
والذى فى ضوء تكون الافكار او الحالات العقليه هى المحددات للوجـود
الاجتماعى .. اى ان أفكار تفسر افكار .. اما الحقيقه المادية التاريخيــه
فيتم تجاهلها او تعتبر تاليه للعوامل النفسيه . وهو فى ذلك يقول :
" .. ان سمات شخصية الانسان لاتحدد وجودة المادى والفعلــــى ،
وانما على العكس من ذلك تشكل الظروف المادية للمجتمع شخصية الانسا ن
من خلال تفاعل ديالكتيكى بين الاثنين .. " (١١٢ : ٤) " .

أما النقطة الثانية التى تعرضت لهجومه فهى تتعلق بكون براهيـن
"باناى" غير علميه . فهو بعد ان استعرض نتائج دراسته والتى تجعــل
من العرب قوم فى حاجة دائمه الى من يقوم برعايتهم لانهم يكادوا يكونـوا
غير قادرين على شئ حتى مجرد اطعام انفسهم ، بعد ذلـك
يفند البراهين التى قدمها "باناى" ويقول : " .. ان معظم البراهين
التى قدمها عبارة عن تعميمات نمطيه جامدة تقوم على اساس من انطباعا ت
شخصية وتم استخلاصها بواسطة وجهة النظر الخاصة بالمؤلف وسوء تفسير
الحقائق الملاحظة .. " (١١٢ : ٦) .

٣) دراسة فاطمـــة المصــرى (٣٧) :

من ضمن الدراسات التى كانت انعكاس لهزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وفيها
حاولت الباحثه ان تدرس الشخصية المصرية عن طريق دراسة بعض مظاهـر
الفلكلور المصرى ..

ويرى "على فهمى" ان مثل هذه الدراسات لا يجب ان تعتمد على
نتائجها بشكل نهائى ، وان كانت يمكن ان تمهد لدراسات امبيريقيـــة
اخرى والسبب فى ذلك ـ على حد قوله ـ هو أن السمات الثقافيـــــة
العامة (البناء الفوقى) انما هى نتاج يستند الى مركب معقد من طبيعـة
العلاقات الاجتماعية الاقتصادية السائدة (البناء المادى) . فضلا عـــن
عوامل اخرى ثانوية مثل العوامل غير المادية كالدين وعلى سبيل المثـال ،
فان " القدريه والتواكليه " انما ترجع الى طبيعة العلاقات الاجتماعيـــة

الاقتصادية التي سادت في المجتمع المصري والتي تنتسب الى النظام الاقطاعي (٣٤).

٤) دراسة عاطف وصفي (٣٠):

يسعى الباحث في هذه الدراسة الى التعرف على اكثر سمات الشخصية المصرية شيوعا بين الفلاحين ، وهذا يساوى عنده الشخصية القومية المصرية. يتم ذلك من خلال تحليل الشواهد الثقافية في المجتمع ، مبلورا اياها في سمات ومحاولا تقديم المحددات الثقافية لكل منها .

وهو يقدم عدد من السمات هي الاستمرار والثبات النسبي ، وان كان لا يعني الجمود والتصلب .. والتدين .. والوطنية .. والازدواجية .. والحزن والفكاهه .. والكرامه..

وهو وان كان ينتقد الدراسات السابقه على دراسته والتي كثرت فيما بعد هزيمة ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ لكونها - سواء ماتم فيها في الداخل او الخارج - لاتتعدى مجرد تأملات وانطباعات عامه ، فانه ينتقد دراسته لعدم خضوعها للمنهج العلمي الدقيق .. هذا فضلا عن كون هذه الدراسة تنتمي الى التيار الثقافي بكل ماينسحب عليه من انتقادات سبق تكرارها عدة مرات ..

٥) دراسة فتحي ابو العينين (٣٨):

قام بدراسة القيم الاجتماعية القروية من خلال تحليل مضمون رواية " الفلاح " لعبد الرحمن الشرقاوي ، وهو يؤكد منذ البداية على ان ماسيعرض من قيم ليس انعكاسا "موضوعيا" مباشرا للواقع وانما هو نتاج جدل بين الواقع العملي وذات الفنان ..

أما عن المحتوى القيمي الذى قدمه مرتبا حسب بروزه في الرواية ، فيأتي على قمته مجموعة القيم السياسية والايديولوجية تليها القيم الاقتصادية والعملية ، فالقيم الدينية ، ثم التاريخية ، ثم الاخلاقية ،

وبعد ذلك القيم العائلية ، فالمعرفية ، فالتنظيمية ، ثم القيم الوطنية ، فالترويحية ، فالجماليه والفنية ، ثم القيم الجسميه ، فالوجدانيـــة والعاطفية ثم قيم الامن ، فضلا عن مجموعه من القيم الاجتماعية والثقافيــة المتنوعة. وجدير بالذكر ، ان الباحث قد تعمد تحديد موقف الطبقــات الاجتماعية الثلاث في القرية بالنسبة لكل قيمة من القيم السابقة الذكـــر ، وفي الغالب كان يحدث تناقض بين مواقف الطبقتين الدنيا والعليا ، نتيجة تناقض مصالح أفراد كل منها ..

ولقد تساءل الباحث عن مدى انطباق هذا المحتوى مع مايوجـــد في الواقع ، وخاصة ان مجيء القيم السياسيه والايديولوجية على رأس القائمه يمثل امرا غير وارد في ملاحظاتنا اليوميه. وهذا هو مادعاه الى اجراء دراسة ميدانية ليضاهي في نهايتها بين المعالجة الفنية وبين مايوجـــد في الواقع ، وقد وجد اختلافا ملحوظا بينهما ...

وفي ذلك يكفينا ان نذكر ما جاء به " فتحي " حيث يقـــول " .. قناعتنا ان هذا الاختلاف بين الحقيقة الواقعه والحقيقة الفنية تقــف وراءه عوامل ترجع الى رؤية الشرقاوي نفسه واحلامه وآماله وتطلعاته .. " (٣٨ : ٥٩٩).

٢ ـ دراســـات نظريـــــة :

وهي كل الدراسات التي لاينتقل فيها الباحث الى الواقـــــع الامبيريقي وذلك بالتعامل المباشر مع أفراد المجتمع او مع انتاجهـــم المادي والفكري .. وانما يتصدى بالتحليل النظري لبعض الوقائـــع والملحوظات الخاصه به ، وذلك بهدف التعرف على بعض خصائص الشخصية الفلاحية او المصرية او العربية .. او ان يقوم الباحث باعادة قـــراءة وتحليل دراسات سابقه ، وذلك لتحقيق نفس الهدف ، وذلك هو الاسلوب الذي اعتمد عليه كثير من علماء النفس اليهود والاسرائيليين .

وينقسم هذا النوع من الدراسات الى قسمين فرعيين :

(أ) دراسات نظرية أولية (مباشرة):

وتقصد بها تلك الدراسات التى تعبر عن تحليلات خاصة بمن قاموا بها من علماء ومفكرين .. ويمثل هذا القسم الضخم الاقسام حجما من حيث عدد الدراسات التى صنفت فيه ، ولذلك كان من الطبيعى ان نجد فيه تعددا واسعا فى التخصصات التى ساهمت فى دراسة هذا الموضوع ، ومن الجدير بالذكر ان بين ايدينا فى هذا القسم دراسات لاتتعدى مجرد شطحات ذاتيه ليس ورائها اى اساس علمى ، ومعظمها جاء لحظة انفعاله الهزيمه ، كما أن بين ايدينا دراسات نظريه ، استطاع القائمين بها ان يحققوا نتائج يكاد لايرقى لها شك لما اتبعوه من منهج موضوعى علمى دقيق .. بل يمكن القول ان هناك دراسات نظرية قد استفدنا منها بأكثر من الدراسات العمليه (الامبيريقيه) لما تميزت به من ثراء ، وخاصة تلك التى عرضت المنهج الملائم لدراسة شخصية الجماعه ..

وسوف نكتفى بعرض بعض الامثله من هذه الدراسات ..

١) دراسة " يوسف نحاس " (٧٤):

وهى عبارة عن رسالة الدكتوراه فى القانون ، والتى قدمها الباحث لمدرسة الحقوق العليا بباريس سنة ١٩٠١ تحت عنوان " الفلاح حالته الاقتصادية والاجتماعية " ، وفى الجزء الاول منها يتعرض لظروف البلاد ومدى تغيرها بتغير حكامها ، وفى الثانى يتعرض لشئون الفلاح فى معيشته ، وفى الثالث ينظر الى الفلاح امام القضاء وكيف انه لم يكن يفكر فى اللجوء اليه لاسباب متعددة .

ويهمنا هنا ان نوضح موقفه من الفلاح بشكل اوضح ، فهو يرى ان الفلاح الصبور الذى يميل الى السكينه ، والذى يتخذ مواقف تتسم بالتواكل والمكر وعدم التبصير ، هذا الفلاح لم يجبل على ذلك ، وانما كان ذلك نتيجة مانزل به من اضرار ، ومن ناحية اخرى يشير الباحث الى محاولات الاصلاح التى حدثت منذ عهد محمد على العبقرى الذى سخر عبقريته لنهضة البلاد ، الا انه يرجع الاخفاق الى افتقاد الفلاح للهمه ،

وهذا التناقض في موقفه انما يرجع الى عدم موضوعية الكاتب وذاتيتــــه ، فلا ننكر انه كان متعاطفا مع الفلاح ، ويدعو الى اصلاح احواله ، الا أنــه عندما تعرض لتفسير وقائع حياته وضع نفسه انتمائه الطبقي وما يمكن ان يكون قد حقق من مصالح نتيجة انفتاح " محمد علي " في ذلك الوقت علــى الغرب .. ولذلك فانه لا يرى نظام محمد علي معيبا وانما العيب فــي الفلاح ..

٢) دراسة حسين فوزي النجار "(٢١) :

عبارة عن رسالة الدكتوراة التي قدمها الباحث بعنوان " لطفي السيد والشخصية المصرية " وكان موضوعها صحيفة " الجريدة " التي كان لطفــي السيد يصدرها ، وهو يرى ان هذه الصحيفه خير مرآة لتاريخ مصر فــي حقبه زمنيه معينة ، كما ان لطفي السيد خير ممثل للشخصية المصريــة .

ومن خلال اطار تفسيري بيئي — جغرافي ، يقدم لنا بعض خصائص الشخصية المصرية مثل وحدة الشعور الناتجة عن العزله ، والتشابــه والاتساق الذي يسير عليه النهر وتلك الصورة المتكررة من الارض .. بمــا أدى الى شعور واحد يبدو بشكل اكبر في مواقف الشدة .. ومثل الاصاله الدينيه وليدة الاستقرار والتأمل في طبيعة الوادي واقتراب الفلاح مــن الطبيعة .. ومثل خاصية البقاء والاستمرار ، حيث ادت وحدة الشعــور الى البقاء والاستمرار .. ومثل خاصية المقاومه المرنه التي تقابل كل نزعــه للتجديد ، وهي مقاومه مرنه تتسم بالعقل والسكون والصبر والحريه .

وفضلا عن الانتقاد الذي يوجه للاطار التفسيري الجغرافي الــذي يعجز عن استيعاب كل جوانب الظاهرة مثل التغير ، فان هذه النتائج تفتقد الى الصدق الامبيريقي ، فضلا عن كونه يتخذ موقفا يقترب من تطبيق مفهوم الشخصية الاساسيه عندما يرى في لطفي السيد تعبيرا عن الشخصية المصريــة .

٣) دراســة جمال حمــدان (١٥) :

لا نستطيع ان نقول بأن " جمال حمدان " كان جغرافيا تقليديــا

وانما كان عالما بمادته ، وفنانا فى معالجته لها ، وفيلسوفا فى نظرتـــه كما انه يمتد ببصره عبر التاريخ الطويل ، الى جانب ان نظرته تطوريـــه تقدر عوامل النمو والتطور فى شخصية الاقليم كما هو الحال فى شخصيـة الفـــرد ٠٠

ونركز الان على بعض الخصائص التى تهمنا ٠٠ يشير اول مايشيـــر الى التجانس والوحدة ،تجانس طبيعى عام ، تجانس بشرى نسبـــى ، تجانس لغوى ، تجانس دينى ، ولذا كانت الوحدة طبيعيا وسياسيـا ٠٠ ويشير الى الطغيان والبطش الذى كان النغمه الحزينة الداله لدرامـــا التاريخ المصرى ، وما ادى اليه من استكانه وزلفى ، كما ادى ذلك الى التدين طمعا فى ان يجدوا فى الحياة الاخرى عوضا عن حياتهم الدنيا ، كما تحول التعاون الى محسوبيه ومحاباه ، وتدهور المزاج الانطلاقـــى الى تزلف ورياء وسعى لدى السلطه ، وهو يشير الى خاصية التواكــــل والسلبية باعتبارها من أبرز ملامح الشخصية المصرية ، نتيجة المركزيـــه الصارمه طبيعيا واداريا ٠٠

ولا يستطيع احد ان ينكر اهمية هذه الدراسه ، لما وفره لهـــــا الباحث من دقة وضبط من خلال اطار على قدر كبير من الشمول اتاح لـــه الاتساع والعمق فى آن واحد ٠٠ والانتقاد الوحيد الذى نوجهه لـــه هو ابراز المتغير الجغرافى بوصفه متغيرا تفسيريا سائدا على المتغيـرات الاخرى التى يعترف بها ويهملها فى تفسير الظاهرة موضوع الدراسـة ٠٠ ولكن الذى يقلل من هذا العيب هو موقفه الشمولى ٠٠

٤) مجموعة دراسات مجلة الفكر المعاصر (٢٠ ، ٣٣ ، ٦١٤) :

عبارة عن مجموعة مقالات نشرت فى عدد مجلة الفكر المعاصر الخـاص عن الشخصية المصرية ٠٠ وكان كتابها متأثرين حتى ذلك الحين بهزيمـة يونيو ، ولذلك كانت الصورة قائمة امام اعينهم وفيها قدر من المبالغـــة ، وهذا طبيعة كل عمـل ينشأ عن لحظة انفعال كتلك التى ترتبت علـــى الهزيمـــة ٠

ومن هذه الدراسات ، تلك التى قدمها " عزت حجازى " بعنوان " الشخصية المصرية بين السلبية والايجابية " .. وهو منذ البداية يؤكد اهمية الموضوع وحداثته ، كما يؤكد على ان كل ما توصل اليه لا يتعدى مجرد انطباعات شخصية، وان كان قد وضع لنفسه ضمانات عديدة من خلال الرؤيه الشامله الكليه التى تربط الظاهرة بالواقع المادى الذى توجد فيه..

اما عن ملامح الشخصية المصرية التى توصل لها ، فمنها التصلب النسبى الذى يرجعه الى توافر عنصرى الوحدة الطبيعية والسياسية، والاستقرار النسبى عبر التاريخ .. ومنها الشعور بعدم الحيله ، حيث عاش الفلاح غريبا على ارضه لا يمكن القدرة على التدخل فى سير الاحداث .. ومنها ضعف روح المبادرة وانخفاض مستوى الطموح .. وذلك بسبب الاحباط المتكرر لحاجات المصرى الاساسيه .. ومنها القدريه التى ترجع الى سطوة الطبيعة .. ومنها التواكل ، الذى ينتج عن ضعف روح المبادرة والقدريه ، وقد نتج عن التواكل استغراق الفلاح فى الحاضر وعدم التطلع الى المستقبل .. ومنها كون العلاقه بالسلطة مزيجا من ناحية ، ونتيجة لما تبدو عليه السلطه من مقدره .. ومنها الحزن العميق (الاكتئاب) ، ويرجع الى كل ماسبق ذكره .. ومنها الحفاظ على ماء الوجه .. وهو ينتهى فى النهاية الى غلبه طابع السلبية على ملامح الشخصية المصرية كنتيجة حتميه للظروف الاجتماعية الاقتصادية غير المواتيه التى نشأت فى ظلها هذه الشخصية وتشكلت (٣٣) .

وهذا " محمود رجب " فى مقاله بعنوان " نحن : وظاهر الاغتراب " يؤكد على ان الاغتراب بمعنى الاستلاب والاستبعاد والبؤس كان غالبا على مصر واهلها منذ قديم الزمان ، محاولا تفسير ذلك جغرافيا ودينيا وسياسيا .

وهو يتفق مع سابقه فى معظم الخصائص التى تنسب الى المصريين مثل القدريه ، والتواكل ، والسلبية ، وعدم المبالاه ، والهروب الناتج عن العجز ، ثم البؤس والشقاء وما يتولد عنهما من حزن شديد (اكتئاب) .. (٦١) .

اما " حسن حنفى " (٢٠) فانه يحاول فى مقاله بعنوان " التفكير الدينى وازدواجيه الشخصية " ان يحدد الشخصية بارجاعها الى احد مصادرها واكثرها اهمية ، ويعنى بذلك التفكير الدينى ، اى النمط التقليدى للتفكير الدينى القائم على الثنائيات ، مثل ثنائيه الله والعالم ، الحلال والحرام ، الثوب والعقاب .. الخ ، وذلك من خلال وصف فنومنولوجى معتمدا على تجاربه الشخصيه والامثله الشعبية .

ويحدثنا عن مظاهر الازدواجيه فى الشخصية ، والتى يعنى بها ان يكون الشعور فى احد المستويات والسلوك الفعلى فى مستوى آخر ، يحدثنا عن مظاهرها الاربعة وهى ١ ،) الانشاء ـ الاخبار (الشعور والتفكير) ، ٢) القول = الاعتقاد ، ٣) القول ـ العمل ، ٤) الداخل والخارج .. حيث يجمع المظهر الاخير كل المظاهر الثلاث السابقه عليه ، حيث يكون هناك انفصام بين ماهو بالداخل وما هو فى الخارج .. ثم يحاول بعد ذلك ان يصل الى اصل هذه الازدواجيه فى التفكير الدينى الذى تسوده هذه الثنائيه الموروثه ، وان كان البعض قد يرجعها الى عوامل جغرافية (النيل) او اقتصادية (الفقر) او سياسة (الظلم) .

وقد عبر " يوسف ادريس " بطريقة اخرى عن هذه الازدواجية فى الشخصية المصرية بقوله : " .. فالمزاج المصرى ليس هو ما تسمعه من الناس فى العلن مثلا فى جلسات المقاهى او حتى فى " القعدات " الخاصة ، الرأى المصرى الحقيقى شىء غويط جدا ، من الصعب تماما الوصول اليه ومن المستحيل تقريبا الامساك به ، شىء دقيق ، دفين ، وكأنه من اسرار الحياة والخلود ، بل لعله فعلا كذلك ، وربما هو الذى ابقى شعبنا حيا ومتماسكا لسبعة الاف عام او تزيد ، قدرته الخارقه على اخفاء مايريد ، حتى يحقق مايريد .. " ويصل الكاتب الى مايثير حيرته حين يقول " .. نجدهم يصفقون تصفيقا راعدا للمطربه او الراقصه او اللاعب او الكاتب ، فاذا انتحيت بأيهم جانبا وسألته عن رأيه الحقيقى لابدى وفى الحال رأيا مخالفا تماما .. " (٧٣ : ١٢) .

ومع تقديرنا الشديد للتفسير الدينى لهذه الازدواجية التى يقدمها " حسن حنفى " الا اننا لايمكننا اعتباره السبب الوحيد أو الاهم وراء هذه الظاهرة .

٥) دراسة عبد العزيز الرفاعـــي (٣٢):

الهدف من هذه الدراسة هو دراسة الطابع القومى المصرى عبر التاريخ . وهو يختط لنفسه منهجا يطلق عليه المنهج المنطقى الذى ينتقل فيه من العام الى الخاص ،وحيث الاتساق بين المقدمات والنتائج ،وهو بالرغم من كونه يقول بان هذا المنهج قد لايتطلب استيفاء شروط المنهجية العلمية الدقيقه الا انه يرفع منذ البداية لواء الموضوعيه .. وهو يرجع الشخصية المصرية الى عاملين متكاملين البيئة والطبيعية من جغرافيا وفيضيه زراعيه ، والبيئة الاجتماعية .. وكان الطابع القومى يستمد ثباته من ثبات البيئة الطبيعية ، بينما يتغير بتغير البيئة الاجتماعية عبر العصور (٣٢ : ٢٧) وينطلق عبر تاريخ مصر منذ الفراعنة حتى الان مبرزا كيف كان الطابع القومى ينحو بنحو الايجابية فى عصور الازدهار ونحو السلبية فى عصور التخلف .

وهو فى النهاية ، يستخلص خصائص الطابع القومى المصرى وهى .. الرضا والقناعه .. الكرم والعطاء الوفير .. الاستغراق فى الوعى الدينى . حب الاسرة .. الطلعه والتوحد .. روح الفكاهه والنكته .. اللامبالاة الارادية .. التوازن والاعتدال .

٦) دراسة "الهادى عفيفى وآخرون" (٥٤) :

تحاول هذه الدراسة الاجابة على سؤال مؤداه : ماهى الشخصية المصرية .. وبعد نقد الدراسات السابقة ووصفها بعدم العلمية ، فانهم يصفون دراستهم بانها قاصرة عن ان توصف بالعلمية .. كذلك يذكرون انهم قد اصطنعوا المنهج الاستقرائى اعتمادا على المثل الشعبـــى المصـرى ، وأن نتائج هذه الدراسة تنسحب على جمهرة الشعب المصرى من عمال ، فلاحين ومعظم الطبقه المتوسطه .

وابراز نتائج هذه الدراسة هى ان الشخصية المصرية تخلو من التناقض حيث ان مايبدو من تناقض لا يتجاوز المستوى السطحى ، ويـزول

كلما تعمقنا فيها •• ومن ناحية أخرى يقدم ان نمطين من الشخصية يتيحا للمصرى حرية الحركه • أحدهما يمثل " الطبع " والاخر يمثل " التطبع " شخصية اصيله هى شخصية " ابن البلد " وشخصيه دخيله نشأت مع الاستعمار هى شخصية " الفهلوى " •

ثم يعدد ان صفات كل منهما •• الا اننا نرى أن نفى التناقض لا محل له • لانه حقيقه واقعه اكدتها الدراسة • بغض النظر عن ايهما الاصل وايهما الصورة •• ويرجع السبب فى عدم القدرة على استيعاب هذا الموقف المتناقض الى ان هذه الدراسة تنتمى ـ بشكل او بآخر ـ لمفهوم البناء الاساسى للشخصية • الذى ثبت عدم صلاحيته للمجتمعات المعقدة • فى حين أن هؤلاء الباحثين لو كانوا قد تناولوا الشخصية المصرية من خلال البعد التاريخى والطبقى والتكنولوجى • لكانوا أقدر على استيعاب حقيقة التناقض بشكل اكثر فهما •• ولو كانوا فعلوا ذلك ربما لخرجوا باكثر من نمطين اثنين وربما عشرات الانماط • وكان جديرا بهم ان يسلكوا مسلك "ليلى الحمامصى " حين قصرت شخصية ابن البلد على الفئة الدنيا من الطبقة المتوسطة وعلى الطبقة الدنيا من سكان حضر مصر تجنبا للتعميم (٩٠ : ٢٩٨) •

٧ ـ دراسة على فؤاد احمد (٣٦) :

يعد ان يستعرض خصائص المجتمع القروى • يعدد الخصائص النفسيه والاجتماعيه للريفيين • وذلك دون ذكر او اشاره الى مصدر هذه المعلومات او المنهج الذى اتبعه فى التوصل اليها ••

اما عن هذه الخصائص فهى : الكرم •• احترام السن •• التأثر بالعلاقات الشخصية •• النظرة غير المحددة للوقت والمسافات •• احترام القوه والشجاعه •• التأثر العاطفى •• ومن الواضح انها كلها انطباعات ذاتيه •

٨) دراسة " جيلدن " (٩٤) :

في مقاله له بعنوان " العالم العربي " ، يناقش الكاتب انفعالتين اساسيتين ينبعان اساسا من انفعاله الخوف ، وهما الاحساس بالعار والخزي ، والحاجة الى الانتقام واخذ الثأر ، ودورهما في الصراع العربي الاسرائيلي .. وهي نتاج القيم العربيه التي توثر في الصراع مع اى خارج .

وفي سبيل توضيح ذلك يشير الى النظام السائد في المجتمع العربي .. حيث التماسك داخل الجماعه الذى يتطلب درجه عاليه من التطابق مع قيم ومعايير المجتمع .. والتطابق يحقق للفرد الشرف والاحترام والمكانه الاجتماعيه ، في حين أن الفشل في التطابق يجلب العار .. والعرب يخافون منه بشدة .. لان من يشعر بالعار لا يخسر فقط قوته وتأثيره ، وانما قد يعاني ايضا من العزله عن الجماعه حتى يتخلص من العار .. ويتم التخلص من العار بواسطة الانتقام والثأر ، والاسلام يفسر الثأر .. ويقدم من الاحصائيات مايؤكد به ان الثأر الان يوجد بنفس القوة ، كما كان موجودا قبل الاسلام .. وهي احصائيات عن جرائم القتل في مصر عام ١٩٦٩ ..

ولا نجد صعوبة في ابراز ذلك التعميم الذى لا يستند الى اساس في الواقع ، وهو شيء متعمد ، لانه كان من السهل عليه اكتشافه ، من خلال ما قدمه من احصائيات اكدت ان معظم حوادث القتل قد وقعت في صعيد مصر دون الوجه البحرى .. ومن ناحيه اخرى فان تلك الاحداث وقعت في عام ١٩٦٩ حيث كان التمزق داخل المجتمع المصرى في اقصى درجاته .. ومن ناحية ثالثة ، لا نستطيع الوثوق في الاحصاءات الرسمية الى درجة كبيرة .

٩) دراسة " ملاك جرجس " (٦٧) :

في كتابه بعنوان " سيكولوجية الشخصية المصرية ومعوقات التنمية " ، يحاول ان يلقي بعض الضوء على السمات السلبيه في الشخصية المصرية

للغالبية العظمى منا ، تلك السمات التى يجب ان تتغير لتساير العصر العلمى التكنولوجى الذى نعيشه .

أما عن تلك السمات السلبيه فهى .. تحقير العمل اليدوى ... التواكل .. وقيم الصبر ، اى الجمود .. والخوف من المستقبل ، والتفكير الخرافى .. والاسراف فى الوقت .. وفى النهاية يقدم لنا ثالوث يتكون من أ) التفاخر والتظاهر والمباهاة ب) مركب النقص ، جـ) مركب العظمه وهو ثالوث يحاول الكاتب ان يكوّن منه تصورا ديناميا شاملا للطابع القومى المصرى ، فالتظاهر والتفاخر والمباهاة انما الى مركب النقص الذى يترتب عليه فقد ان الشعور بالثقه ، اما الشعور بالعظمه او الشخصية البرانايه فهى تغطيه ورد فعل للشعور بالنقص الذى يتخذ تكوينا عكسيا فى شكل تفاخر وتظاهر ومباهاة . (٦٧ : ١٠٠ ـ ١٢٠) .

وبالرغم من انها ـ الدراسه ـ محاولة جادة لتكوين تصور دينامى عن الطابع القومى المصرى ، الا انها لاتتعدى مجرد انطباعات شخصية الكاتب .

١٠) دراسة " قدرى حفنى " (٤٤) :

فى مقال بعنوان " حول التكوين السيكولوجى للفلاح المصرى " يتعرض " قدرى " للكيفيه التى ينبغى لنا ان تدرس من خلالها الريف المصرى ، وهى لاتختلف كثيرا عن تلك التى قدمها كل من " عودة " و " فرج "

ثم يقول الكاتب بمراجعة ناقدة لافكارنا عن سيكولوجية الفلاحين .. فهو يرى مثلا ، ان الفلاح غير رجعى فى ضوء محك اشتراك المرأة فى الانشطة الاقتصادية والاجتماعية والاسرية بشكل يقوم على تكافؤ الادوار وتكاملها ، أى الاعتراف بكيانها المستقل ودورها الفعال . وهو يعود وينسب ذلك للفلاحه الفقيره بالذات .. كذلك يتحدث عن رفض الجديد وهل هو من خصائص الفلاح المصرى أم لا ، وهو يرى أن الفلاح كما يرفض اشياء فانه يقبل اخرى ، شأنه فى ذلك شأن غيره ، يرفض مالا يراه مناسبا له ، ويقبل مايرى فيه فائده له ... اما عن فكرة الالتصاق بالارض مهما كانت

الظروف ، فانه يؤكد ان الاحصاءات اثبتت عكس ذلك حيث تضاعفت نسبة سكان الحضر نتيجة لهجرة الفلاحين الى المدن .. ويؤيده في ذلك " فتحي عبد الفتاح " الذي يرى ان هذه الخاصيه تقتصر على كبار الملاك والاغنياء (٤٠ : ٩٧ — ٩٨) .

ثم يقدم لنا " قدري " تصوره لسيكولوجية الفلاح المصري ، وهذا لا يتعدى وجهة نظر ناتجه من خبرات خاصه ، دون أي دراسة ميدانية متخصصه .. وهو في ذلك يحدثنا عن .. التشكك العميق في الافندية او أهل البندر .. المجامله الشديده لابناء البندر .. التظاهر بتحقير الذات لتجنب البطش والقهر ..

١١) دراسة " مصطفى حجازي " (٥٣) :

اتضح ان النظريات النفسيه الخاصه بالمجتمعات الصناعيه لا تصلح لتفسير وفهم الانسان الذي يعيش في العالم المتخلف ، وهذه الدراسه عبارة عن محاولة متواضعه على طريق اقامة علم نفس خاص بمجتمعنا ، همها الاول ان تقترح طريقا وتقترح منهجا .. وعلى وجه التحديد ارادت هذه الدراسة ان تكمل الحلقه الجدليه بين الظروف الموضوعية (الاجتماعي .. الاقتصادي) والبعد الذاتي (الانساني) ، وذلك عن طريق محاولة التعرف على البنيه السيكولوجية للانسان المتخلف وديناميتها .. مدخل الباحث مادي تاريخي ، واستخدم طرائق الملاحظة والتحليل النفسي الاجتماعي للظواهر المعاشه ، وتدخل هذه الدراسه ضمن علم النفس الاجتماعي العيادي . اما عن حدود الدراسة فهي الانسان المتخلف عموما ، وان كانت مادتها مستقاه من واقع الانسان اللبناني خاصة ، والعربي عامة .

واما عن نتائج هذه الدراسه القيمه ، فهي ان التكوين النفسي للمتخلف — بالرغم من تعدده وتشتته — يمثل بنيه جدليه لها تاريخها .. وان شخصية الانسان المتخلف هي نتاج المجتمع المتخلف بالضرورة ، حيث التخلف التكنولوجي ، وحيث التعرض لبطش الطبيعة وبطش المتسلط ..

اما عن النشاطات الذهنية ، فانها تتسم بالجمود والقطعيه والحسيه وانتقارها الى التجريد والجدليه والمرونه ، كما انها انفعالية يعوزها العقلانية والضبط المنطقي ... واما عن الخصائص النفسية ، فانها تتراوح بين الرضوخ المستلم ، وما يرافقه من عقد نقص وعار ومهانه واستكانه وفقدان للثقة بالنفس ، وبين العدوانية المفرطه التي تأخذ علاقات اضطهاد او تمرد متفجر فرديا بشكل عابر ، او جماعي يهز بنيه المجتمع وقد ينتهي الى التغيير.

ويحدثنا عن الدينامية اللاواعيه للانسان المقهور ، والتي هي عبارة عن (القهر + عدم وجود الضمانات = اهدار جذري لقيمة الانسان) ويترتب على ذلك قلق ـ قلق الفناء وقلق الحصاء ، وهو قلق ذا وطأة غير محتملة .

اما عن الحلول التي يلجأ لها ، فهي كثيرة ومتنوعة ، ولكنها مترابطه في بنيه جدليه حيث تتكون من ثنائيات متعارضه تشكل محاور حركة الانسان المقهور ، تبعا للظروف التاريخية .. فكلما زاد الضغط الخارجي برزت الحلول الاستسلاميه والانكفاء على الذات واللجوء الى السيطره الخرافيه على المصير ، وكذلك الذوبان في المتسلط .. واخيرا يقدم لنا العلاقة بين الرجل والمرأة ودورها الدفاعي ، حيث يتهرب الرجل من مأزقه بصبه على المرأة من خلال تحميلها كل مظاهر النقص والمهانه التي يشكو منها في علاقته مع قهر المتسلط والطبيعة ..

ولاشك انها واحدة من افضل الدراسات التي تعرضت للانسان المتخلف بالدراسة ، وذلك يرجع الى مدخلها المادى التاريخي .. وان كان الامر يتطلب دائما الانتقال الى الواقع ، الانتقال من الفكر الى العمل هذا فضلا عن التعميم الشديد .

١٢) دراسة " جبرائيل بير " (١٤) :

يختلف هذا الكاتب في كتابه " دراسات في التاريخ الاجتماعي لمصر الحديثه " مع من يذهبون الى ان الفلاح المصرى يتميز بالخضوع والاستسلام

وان ذلك يرجع الى مئات السنين من الظلم والطغيان .. فهو يرى ان الحقائق التاريخيه تثبت عكس ذلك تماما ،فبالرغم من ظروف مصر الخاصة من طبيعة منبسطه ومواصلات سهله وحكومه مركزية ، بما جعل من الصعب على الفلاح ان يثور ويتمرد ، فان حالات تمرد الفلاحين لم تكن ضئيله على الاطلاق ، ومن ثم لا يوجد اساس سليم لنظرية خضوع الفلاح المصرى . ثم يعدد الكاتب حالات ثورة وتمرد الفلاحين خلال قرنين من الزمان (١٧٧٨ - ١٩٥١) وهى ثورات عديده ، قامت ضد اعمال السخره والضرائب ومصادرة الاراضى والحيوانات وانخفاض الاجور وارتفاع ايجارات الاراضى وكانت بعض هذه الثورات من الضخامه بحيث لم تقدر على اخمادها الا الجهود الحربية الكبيرة المبذوله من جانب الحكومه . ولقد اتخذت هذه الثورات طابعا دينيا مخلصا ، وهى ظاهرة شائعة فى جميع انحاء العالم .. ومن ناحية اخرى ، كانت معظم هذه الثورات ذات طابع محلى باستثناء ثورة ١٩١٩ . ولكن ثورات الفلاحين التى تتخطى مناطقها المحددة لم تكن امرا شائعا فى تاريخ البشريه بعامة والشرق الاوسط بخاصة ، وهو يرجع ذلك الى نقص الاتصال بين فلاحى المناطق المختلفة لبعد المسافات . وليس من الصعب على القارئ العادى ان يلتمس وجودا لظاهرة الثورة فى بعض كتب ومراجع التاريخ (٦٦ : ١٤٣) .

١٣) دراسة "ابراهيم عامر" (٢) :

كذلك يشير ابراهيم عامر الى نضال الفلاحين مشيرا الى ان اساليبه ووسائله كانت مختلفه عن تلك الخاصة بالفئات الاجتماعية الاخرى ويرجع هذا الاختلاف الى ان الفلاح لا يشعر بان هناك ما يمكن ان يخسره عند تواجه مقاومته ونضاله بالقوه ، فالارض اثبت وادوم من أى شئ اخر ... كما يرجع من ناحية اخرى الى بطئ وتخلف وسائل الانتاج الزراعى .. ولذلك فان نضال الفلاحين على المستوى القومى وفى المجال التاريخى يتخذ اساليبا اكثر عنفا وجذريه من أساليب الفئات الاجتماعية الاخرى . (٢) .

ولعل ازمة القطن التى شهدتها البلاد فى العام الماضى (١٩٧٨) والتى هدد فيها رئيس الوزراء بحرث ارض كل من يخالف الدوره الزراعيـة وخاصة ارض اولئك الذين رفضو زراعة القطن ، لعل هذه الازمة تعكس ـ كما يذهب البعض ـ ظاهرة تشبه حالات التمرد الجماعى على نظام الدورة (١٦ : ٦) كذلك يحاول " قدرى " ان يربط بين بعض الوقائع التـى ظهر فيها العنف الجماهيرى فى الاونه الاخيره ، وبين الخصائص النفسيه التاريخية للشخصيه المصرية ، ويخلص لى ان خاصية الحرمان النسبى تمثل المحور السيكولوجى لممارس العنف الجماهيرى التلقائى (٤٦ : ١ ٢ ـ ٢٢) .

اما عن ذلك الخطأ الذى وقع فيه البعض باعتبار الفلاح المصـرى ـ بل الفرح فى كل مكان (١٠٠) ـ يتميز بالسلبيه والخضوع ، فان "بير " يرجعه الى خطأ التعميم القائم على الانطباعات الذاتية والملاحظـات العابره للكتاب الاجانب ، والى ارتياح الكتاب المصريين لفكرة خضـوع وسلبية الفلاح لان ذلك كان يحقق مصالحهم بوصفهم طبقة تحقق فائـدة كبيرة من ذلك .

١٤) دراسة على زيعـور (٣٥) :

تهدف دراسته " التحليل النفسى للذات العربية : انماطهـا السلوكيه والاسطوريه " الى دراسة عدم التوازن بين الذات العربية وحقلها او الخلل فى صحتها الانفعاليه الذى يتمثل فى عدم الشعور بالرضـى عن الذات ازاء نفسها ، وعن الذات فى المجتمع ، وعن المجتمع امـام الحضارة العالمية .

اما عن المنهج فانه يعتبر الذات العربية زيونا ، هو هنا موضـوع حى ، ووحدة دراسة منغرسه فى التاريخ ، وكل مستمر ، وقد لجـأ الكاتب الى الطرق التجريبية والعيادية فضلا عن الاساليب التحليل نفسيه

واما عن نتائج دراسته ، فقد كشفت عن ان الشخصية الراهنه مصابـه بسوء تغذية وباضطرابات فى السلوك والوظائف النفسية بما ولد قلقـا

وتوترا افقدها الشعور بالامن اساس الصحة الانفعاليه .. وبدت الذات العربية مصابه بالفشل في التكيف مع المحيط المصرى وبالاحباط فى الصراع مع البيئة المحلية .. سوء تكيف .. نقص فى الشعور بالاطمئنان . عدم توازن .. انعدام المرونه فى مجابهة التحديات وايجاد الحلول المتوافقه والوقوف عند الحلول القديمه : كالعودة ، والنكوص ، والهروب ، والخلفه ونكران الواقع .. كذلك ينعكس سوء التكيف فى اواليات الدفاع السلبيه من خلفه ، وشعور بالدونيه ، وسلبية ، وعدوانيه ، وهروب ، ونكوص الى القديم ، والاحتماء بالحلول المسبقه والمكتسبه ، وكلها اواليات تكشف عن تصلب فى المواقف وصعوبة فى اقامة التوافق مع المستجدات والمتغيرات . وذلك هو المرض النفسى ، أو ذاك هو عصاب الذات العربية الذى لاحظناه وبعد ذلك يستعرض الكاتب طرائق العلاج المختلفه والمناسبة لهذا المريض ..

الا اننا لا نستطيع ان نقبل هذه النتائج على علاتها وذلك لسبب ذكرناه مرات عديدة ، وهو خطأ التعميم على أساس من انطباعات شخصية لم يتم تدعيمها بمعطيات من الواقع الامبيريقى تغطى تلك المساحه الشاسعه من العالم العربى ، بل ان المرء ليتساءل عن امكانيه وجود ذات عربية واحدة ، تستلقى على اريكه واحدة ، وتطرح جماع شتاتها فى لحظة واحدة على مصالح واحد .. ونعتقد ان ما جاء عن الذات العربية فى هذا الكتاب يمكن ان ينسحب بسهولة ، ونتيجة عدم التحديد الواضح ، على كثير من مجتمعات العالم الثالث ، وربما على كل البشر من وجهة نظر الكاتب ، اننا لا ننكر التشابه بين العرب ، ولكن لا نستطيع تجاهل التباينات الواضحه بينهم ، واذا لم نفعل ذلك نكون محلقين فى الخلاء بعيدا عن ارض الواقع .

١٥) دراسة "فرج طه" (٤٢) :

احدث ما وقع بين ايدينا من الدراسات ، والتى جاءت تحت عنوان " اضواء على سيكولوجية الشخصية العربية " .. ومن خلال بحث علمى

التزم فيه الباحث الموضوعية والعلم قدر استطاعته ، وابتعد فيه عن الانحيازات القومية والذاتيه بقدر الامكان ، يقدم لنا الباحث الخصائص التالية :

" فى البداية يحدثنا عن الخصائص ذات الطابع الانفعالى فى الشخصية العربية" .. فيذكر الحدة الانفعاليه وسهولة تقلبها ، فمن السهل استثارتها ومن السهل الانتقال من موقف التأييد الى المعارضه بسبب حدث سطحى تافه .. ويحدثنا عن التوحد بالمعتدى ، بوصفه وسيله نفسيه تلجأ اليها الشخصية ، حيث تتشبه فى بعض جوانبها الانفعالية والسلوكيه بالشخص الذى تخشى عدوانه ومن ثم لا تعود الشخصية مهددة بل تصبح مهددة .. كذلك يحدثنا عن سمات الشخصية القبليه وذلك بحكم نشاط العرب الرعوى والزراعى ، الذى ينمى فى الافراد الولاء للقبيله والتعصب لها ، ثم تظهر الجوانب السلبية والايجابية لتلك الخاصية .

ثم ينتقل الى الحديث عن الخصائص ذات الطابع الفكرى .. فيذكر سيادة التفكير الغيبى ، وهو سمه للشخصية البدائية الطفيليه .. ويذكر سيادة الاميه وتخلف التعليم ، بما يساعد على انتشار الافكار الغيبية واعاقة التنمية ، ويذكر ايضا ان الطاقات الاساسية العقلية والعلمية متوفره ، وان كانت الظروف التى تساعد على تفجير هذه الطاقات غير متوفره .

وبالرغم من موقف الباحث الموضوعى ، الا اننا لا يمكن ان ننظر الى هذه النتائج على انها اكثر من الواقع المعاش عن قرب .

(ب) دراسات نظرية ثانوية (غير مباشرة) :

ونقصد بها تلك التى قامت على اساس من تحليل او اعادة قراءة او اعادة تحليل نتائج دراسات اخرى . وهى اقرب الى ذلك النوع من دراسات شخصية الجماعه التى تتم عن بعد . ويؤكد ذلك ان معظم ، بل كل ، الدراسات التى صنفت فى هذا القسم قد انجزت بواسطة

علماء النفس اليهود او الاسرائيليين الذين لم يكن متاح لهم دراسة الشخصية الفلاحيه او المصرية او العربية بطريقة مباشرة ..

وفيما يلي بعض هذه الدراسات ..

١ ـ دراسة " صنسوم " (١٢٠) :

في دراسة بعنوان " سيكولوجية الفرح العربي واثرها على الصراع العربي ـ الاسرائيلي " ، يحاول الكاتب ان يفسر سبب انتصار العرب في حرب اكتوبر ٧٣ بعد هزيمتهم في يونيه ١٩٦٧ ، وهل هذا التحول يمثل نتيجة لتغير مقابل في شخصية العرب ، ام لا ؟ وللاجابه على هذا السؤال يستعرض سيكولوجية الفلاح العربي بعامه والمصري بخاصة ..

وقد اعتمد الكاتب في ذلك على عدد من الدراسات السابقه والتي اكتفى بمجرد سرد ماجاء في بعضها ، في حين اعاد تفسير بعض نتائج دراسة " حامد عمار " على قرية " سلوا " . واهتم تلك الدراسات التي اعتمد عليها هي : كتاب " ادوارد لين " ، كتاب " بلاكمان " ، وكتاب " الاب عيروط " ودراسة " حامد عمار " ، والى جانب ابحاث اخرى كتلك الخاصة " بمليكيان وبروشو " ، وسنيه حمادي ، و" رفائيل باتادي " .. والى جانب ملاحظاته الخاصه ، حيث انه كان قد امضى جزءا من حياته في الاسكندرية .

اما عن النتائج التي يؤيدها في دراسته فهي .. ان ذكاء الفلاح عادي ، او ـ نقلا عن عيروط ـ ذكاء اعيق نموه بسبب ثقافته وطبيعتها ، وهو ذكاء جمعي اكثر منه فردي ، استياتيكي اكثر منه ديناميكي ، والفلاح لايستخدم المنطق وانما يعتمد في احكامه على المضاهاة

ويضيف ان الفلاحين لايستطيعون التعامل مع الافكار المجردة ، وان تفكيرهم وسواسي . هذا فضلا عن جمودهم .. وعدوانيتهم الشديدة التي يمكن ان تنتج العاطفيه ، ويشير ايضا الى تسلطهم وتشككهم الناتج عن تاريخ طويل من الخيانات . ويشير الى ان المضيافيه واللياقة ماهي الا تكوين عكسي للعدائيه الشديده .. واخيرا يشير الى قيم المحافظة والقدرية والحسد ..

وينتهى الى ان تغيرا لم يحدث فى الشخصية ، لان ذلك يحتاج الى سنوات طوال .

٢ - مجموعة دراسات " بيت حالحامى " (٨٠،٧٩،٧٨) :

قدم الكاتب عدد من المقالات اهتم فيها بالشخصية العربية ، وذلك فى محيط دراسته للصراع - الاسرائيلى .. ومنها مقاله بعنوان (الطابع القومى والسلوك القومى فى صراع الشرق الاوسط : حالة الشخصية العربية) ، ومقاله بعنوان "الطابع القومى العربى فى صراع الشرق الاوسط" ، ومنها مقاله بعنوان " بعض العوامل النفسيه والحضاريه فى الصراع العربى - الاسرائيلى : عرض للتراث " ..

وما يهمنا فى هذا النطاق ، هو معرفة خصائص الشخصية العربية كما يراها .. ولقد كان اعتماده فى وصفها قائما على استعراض لعدد من الدراسات السابقه بعضها علمى وبعضها غير علمى - كما يقول ..

ويخلص من استعراض تلك الدراسات الى ان العرب يتسمون بالجمود ، والتشكك المتطرف ، والمحافظه ، والقدريه ، والعدائيه مع اللباقة ، والتسلطيه ، والخيال وعدم الواقعية .. ويقول ان هذه القائمة من الخصائص السلبية بيد و انها تدعم بالضرورة العديد من القوالب الجامدة السلبية لدى الاسرائيليين والغربيين عن العرب (٧٩ : ٢٣) .

٣ - دراسة " السيد يسين " (٨) :

يحاول الكاتب فى هذا المقال ان يتعرف على المفهوم الاسرائيلى للشخصية العربية ، وذلك عن طريق عرض الدراسات التى اهتمت بالشخصية العربية والتى اجريت بواسطة الاسرائيليين ..

وينتهى الى تكوين صورة مركبه للعرب فى ضوء المفهوم الاسرائيلى فيقول : " العرب لايفهمون سوى لغة القوة ، ولذلك فاتباع سياسة

الردع والعنف والكذب والمبالغه وخداع الذات ، وهم بالمقارنـــة بالاسرائيليين كسالى وجبناء وخونه ، ومستوى ذكائهم منخفض، وعلـــى الجمله هم ادنى من الاسرائيليين " (٨: ١٧٦) .

الا انه يرى ان هذه الدراسات قد نهضت فى كثير من الاحيان على احكام انطباعيه وتأمليه ، وانها ـ فى كثير من الاحيان ـ كانت تستخدم لاغراض دعائية .

ويؤيده فى ذلك جزئيا ـ " بيت حالحامى " ، حين يقـــول بأن الاعتماد على الملاحظات الشخصية ومعلومات الكاتب عن تراث شائع، بالرغم من اهميته الا انه لابد من التزام الحرص مع تلك الملاحظات (٧٨ : ٢٧١ ـ ٢٧٢ ، ٨٠) ..

أولا : المراجع العربية

١) ابراهيم ابو لغد ، لويس كامل مليكه ، البحث الاجتماعي ، مناهجه وادواته ، مركز التربية الاساسية في العالم العربي ، سرس الليان ، ١٩٥٩ .

٢) ابراهيم عامر " تاريخ القرية : ثورات الفلاحين " ، مجموعة محاضرات غير منشورة .

٣) احمد فؤاد فاهـق ، جنون الفصام ، دار المعارف ، ١٩٦١ .

٤) اريك فروم " الخوف من الحرية " (ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ .

٥) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء ، الكتاب السنوي للاحصاءات العامة للجمهورية العربية المتحدة ٥٢ – ١٩٧٠ ، يونيه ، ١٩٧١ .

٦) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء ، مختارات من الاحصاءات العامه لجمهورية مصر العربية ٥٢ – ١٩٧١ ، ديسمبر ، ١٩٧١ .

٧) السيد محمد خيرى ، الاحصاء في البحوث النفسيه والتربوية والاجتماعية ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٨) السيد يسين ، " المفهوم الاسرائيلي للشخصية العربية " ، المجلة الاجتماعية القومية ، ١٠ (٢) ، ١٩٧٣ ، ص ١٥٩ – ١٧٦ .

٩) ———— ، الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلي والمفهوم العربي ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، ١٩٧٤ .

١٠) ———— ، الشخصية العربية : النسق الرئيسي والانساق الفرعية (ملاحظات أوليه) " ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، سبتمبر ، ١٩٧٨ ، ص ١٤٤ – ١٥٥ .

١١) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية • الاستجابات الشائعة لاختبار تفهم الموضوع : بحث ميدانى ، القاهرة ، ١٩٧٤ •

١٢) بثينه قنديل • " التغير النفسى والتفسير الاجتماعى فى قرية مصرية " ، فى : الكتاب السنوى للجمعية المصرية لعلم النفس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ١٢١ — ١٤٧ •

١٣) برونو كلوبفر ، هيلين دافيدسون ، تكنيك الرورشاخ ، (ترجمة باشراف سعد جلال) ، منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٦٥ •

١٤) جبرائيل بيير • دراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثه ، (ترجمة : عبد الخالق لاشين ، عبد الحميد الجمل) ، مكتبة الحريه الحديثه ، القاهرة ، ١٩٧٦ •

١٥) جمال حمدان • شخصية مصر : دراسة فى عبقرية المكان ، كتاب الهلال ، يوليو ١٩٦٧ •

١٦) جمعه عبده قاسم • محاوله لفهم ازمه القطن المصرى " ، الاهالى ، ٩ يوليو ، ١٩٧٨ •

١٧) حامد عبد الله ربيع • " حول التحليل العلمى لمفهوم الطابع القومى المصرى " ، فى لويس مليكه قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٠ ، ص ٥١٩ — ٥٣٦ •

١٨) حامد مصطفى عمار • " التنشئه الاجتماعية فى قرية مصرية : سلوا - اسوان " ، فى لويس مليكه قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ١٢٠ - ١٣٣ •

١٩) حسن احمد الخولى • " الاثار الاجتماعية للخدمة العسكرية على ثقافة الفلاحين المصريين " رساله ماجستير لاداب القاهره باشراف محمد الجوهرى : بحث غير منشور ، ١٩٧٦ م •

٢٠) حسن حنفى ، " التفكير الدينى وازمة الشخصية " ، مجلة الفكر المعاصر ، القاهرة ، ابريل ١٩٦٩ ، ص ٥٨ – ٦٨.

٢١) حسين فوزى النجار ، " لطفى السيد والشخصية المصرية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣.

٢٢) رالف لنتون ، دراسة الانسان ، (ترجمة عبد الملك الناشف) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤.

٢٣) رالف لنتون (تحرير) ، الانثروبولوجيا وازمة العالم الحديث ، (ترجمة عبد الملك الناشف) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٢.

٢٤) روبرت ردفيلد ، المجتمع القروى وثقافته (ترجمة فاروق العادلى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٣.

٢٥) سالم عبد العزيز محمود ، " اثر اتاحة فرص التعليم على التغيير الاجتماعى فى القرية المصرية " ، المجلة الاجتماعية القومية ، ٩ (٢) ، ١٩٧٢ ، ص ٥٦ – ٧٢.

٢٦) سيد عويس ، ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى فى لويس مليكه : قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ١٩٤ – ٢١٧.

٢٧) ــــــــــــ ، حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المعاصرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠.

٢٨) ــــــــــــ ، نظرة المصريين الريفيين نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى ، فى الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع فى ج.ع.م. المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٧١ ص ١٢ – ٤٢.

٢٩) سيد غنيم ، هدى برادة ، الاختبارات الاسقاطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤.

٣٠) عاطف وصفى ، الثقافة والشخصية : الشخصية المصرية التقليدية ومحدداتها التاريخية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٥.

٣١) عبد الباسط محمد . " بعض مظاهر صراع القيم في اسر قروية مصرية : دراسة سوسيوجرافيه " ، المجلة الاجتماعيه القوميه ، ٨ (١) ، ١٩٧١ ، ص ٧١ - ٨٨ .

٣٢) عبد العزيز الرفاعي . " الطابع القومي للشخصية المصرية بين السلبية والايجابية ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ .

٣٣) عزت حجازي . " الشخصية المصرية بين السلبية والايجابية " الفكر المعاصر ، ابريل ١٩٦٩ ، ص ٤٢ - ٤٩ .

٣٤) على حسن فهمي . " شخصيتنا بين القدرية والتواكليه " ، الفكر المعاصر ، ابريل ١٩٦٩ ، ص ٨٠ - ٨٤ .

٣٥) على زيعور . " التحليل النفسي للذات العربية : انماطها السلوكية والاسطورية ، دار الطليعه بيروت ، ١٩٧٨ .

٣٦) على فؤاد احمد . علم الاجتماع الريفي ، مكتبة القاهرة الحديثه ، الطبعه الثالثه ١٩٦٦ .

٣٧) فاطمه حسين المصري . " محاوله لدراسة الشخصية المصرية عن طريق دراسة بعض مظاهر الفلكلور المصري " ، رساله دكتورا ، مقدمه لاداب عين شمس باشراف مصطفى زيور ، بحث غير منشور ، ١٩٧٤ .

٣٨) فتحي أبو العينين . " الادب والقيم الاجتماعية القروية : دراسة وبحث ميداني في ضوء مفاهيم علم الاجتماع " رسالة ماجستير مقدمه لاداب عين شمس باشراف حسن الساعاتي ، بحث غير منشور ، ١٩٧٦ .

٣٩) فتحي عبد الفتاح . " الفلاح : مهنته العمل الزراعي ولا تتجاوز ملكيته خمسة افدنه " ، الطليعه ، نوفمبر ٧٤ ، ص ١٩ - ٢٠ .

٤٠) ________ . القرية المعاصره ، دار الثقافه الجديدة القاهرة ، ١٩٧٥ .

٤١) فرج احمد فرج ، " الشخصية القروية " ، في الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفي في ج م ع ، المركز القومي للبحوث الاجتماعيه والجنائية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٩٤ ـ ٢٠٦ .

٤٢) فرج عبد القادر طه ، " اضواء على سيكلوجيه الشخصية العربية " في فرج طه علم النفس وقضايا العصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٧ ـ ٢٠٢ .

٤٣) فؤاد ابو حطب ، محمد سيد عثمان ، التقويم النفسي ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

٤٤) قدري حفني ، " حول التكوين السيكولوجي للفلاح المصري " ، نشرة المجلس الاعلى لتنظيم الاسرة والسكان ، ابريل ٧٤ ، ص ١ ـ ١٦ .

٤٥) ــــــــ ، دراسة في الشخصية الاسرائيلية : الاشكنازيم منشورات مركز بحوث الشرق الاوسط ، مطبعة عين شمس ، ١٩٧٥ .

٤٦) ــــــــ ، ديناميات العنف الجماهيري في اطار الخصائص النفسية التاريخيه للشخصيه المصرية " في العنف التلقائي الجماهيري في المجتمع المصري ، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، يوليو ، ١٩٧٦ .

٤٧) لطفي عبد الوهاب يحيى ، " حتى لا نزيف الشخصية المصرية " الاهرام ، ١٩ يناير ١٩٧٨ .

٤٨) لويس كامل مليكه ، " الشخصيه البدويه " ، في لويس مليكه : قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٥٥٢ ـ ٥٧٥ .

٤٩) ــــــــ ، " بين الايجابية واللامبالاة : دراسة تتبعيه لاتجاهات القرويين نحو العمل الجمعي في خمس سنوات ، في لويس مليكه : قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٠م ، ص ٦١١ ـ ٦٢٠ .

٥٠) ________ • علم النفس الاكلينيكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧ •

٥١) ________ • محمد عماد الدين اسماعيل (اقتباس واعداد) مقياس وكسلر - بلفيو لذكاء الراشدين والمراهقين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ •

٥٢) مصري عبد الحميد حنوره • " الريف والحضر في المجتمع المصري : مقارنة بين مستويات التوتر النفسي - دراسة تجريبية ، في لويس مليكه : قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٣٧ - ٣٥٩ •

٥٣) مصطفى حجازى • التخلف الاجتماعي : مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور ، معهد الانماء العربي ، بيروت ، ١٩٧٦ •

٥٤) محمد الهادى عفيفي ، وآخرون • التربية ومشكلات المجتمع ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٢ •

٥٥) محمد رشاد سيد كفافي • " سيكولوجية اشتهاء المخدر لدى متعاطى الحشيش ، رسالة ماجستير مقدمه لآداب عين شمس باشراف مصطفى زيور ، بحث غير منشور ، يناير ١٩٧٣ •

٥٦) محمد اسلام آدم • " دراسة مقارنة لاتجاة التحرر/ المحافظة بين العمال والفلاحيين " رسالة ماجستير مقدمه لبنات عين شمس باشراف رمزيه الغريب ، بحث غير منشور ، ١٩٧٧ •

٥٧) محمد عاطف غيث • التغير الاجتماعي في المجتمع القروي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ •

٥٨) ________ ، وآخرين • " دراسة نظرية ومرجعيه للمجتمع الريفي " ، المجلة الاجتماعية القومية ، ٦ (٣) ، ١٩٦٩ ، ص ٤ - ٥ •

٥٩) محمد عماد الدين اسماعيل ، وآخرين ، كيف يربى اطفالنا : التنشئة الاجتماعية للطفل في الاسرة العربية ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٦٠) محمد محيى الدين بحزء ، مرزوق عبد الرحيم عارف ، " انتشار المعلومات الجديدة في الريف ، دراسة تطبيقية في ريف الجيزه (المجلة الاقتصادية القومية) ، ٦(١) ، ١٩٦٩ ، ص١٣٥ ـ ١٥٢ .

٦١) محمود رجب ، " نحن : وظاهرة الاغتراب " ، الفكر المعاصر ، ابريل ١٩٦٩ ، ص ٨٥ ـ ٩١ .

٦٢) محمود عودة ، " القروى المصرى بين التقليد والتجديد " ، الفكر المعاصر ، ابريل ١٩٦٩ ، ص ٥٠ ـ ٥٥ .

٦٣) ــــــــ ، " الوضع الحالي للدراسات الاجتماعية الريفية ، في الحلقه الدراسيه لعلم الاجتماع الريفي في ج.م.ع ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ١٩٧١ ، ص١٥ ـ ٥٦

٦٤) ــــــــ ، القرية المصرية وعلم الاجتماع ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

٦٥) مختار حمزة ، واخرين ، " بحث احتياجات ومشاكل الطفولة والشباب في الريف المصرى ، المجلة الاجتماعية القومية ، ٦ (٣) ، ١٩٦٩ ، ص١٠٧ ـ ١١٤ .

٦٦) مرجريت مرى ، مصر ومجدها الغابر ، (ترجمة : محرم كمال) لجنة البيان العربي ، الالف كتاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٦٧) ملاك جرجس ، " سيكولوجية الشخصية المصرية ومعوقات التنمية ، روز اليوسف ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٦٨) نجيب اسكندر ، واخرون ، الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي مؤسسة المطبوعات الحديثه ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

٦٩) نجيب اسكندر ، رشدى فام ، التفكير الخرافى : بحث تجريبى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٢ .

٧٠) ________ ، " الاتجاهات نحو الخرافات : قياسها ، تباينها ، مغزاها " ، المجلة الاجتماعية القومية ، ٥ (٢) ، ١٩٦٨ .

٧١) هـ . ايزنك . مشكلات علم النفس ، (ترجمة : جابر عبد الحميد ، ويوسف الشيخ) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

٧٢) هنرى عيروط اليسوعى ، الفلاحون ، (ترجمة : محمد غلاب) ، مطبعة شركة الاعلانات الشرقية ، (سنة النشر غير مبينه) .

٧٣) يوسف ادريس ، " تعالوا الى كلمة سواء " ، الاهرام ، ٢٤ يونيه سنة ١٩٧٧م .

٧٤) يوسف نحاس ، الفلاح حالته الاقتصادية والاجتماعية ، مطبعة المقتطف والمقطم ، مصر ، ١٩٢٦ .

ثانيا : المراجع الاجنبيـــة

75- Alexander, F. " Education influence of personality factors", C.Kluckh ohn et. al., Personality in nature, society, and culture, Jonathan cape, London, 1953, P.P. 421-435.

76- A nastasi, A. Psychological testing, Macmillan, London, 1968.

77- Barry, H., I. Child, & M. Bacon, " Relation of child training to subsistance economy" American Anthropologist, 61, 1959 , P.P. 51 - 63.

78- Beit - hallahmi, B. "Some poychological and cultural factors in the arab-israeli conflict: a review of the leterature", Conflict Rosolution, Vol. XVI, 2, P.P. 269 - 280.

79- ------------------." National character and national behavior in the middle east conflict: the case of the ' Arab Personality' ", International J. of Group Tensions, Vol.2, 3, 1972, P.P. 19 - 28.

80- ------------------." The ' arab national character' and the middle east conflict", Mental Health soc., 1, 1974 P.P.320-327.

81- Bellak, L. The T.A.T., C.A.T., and S.A.T., in clinical use.; Grune & Stratton, N.Y., 1975.

82- Broek, J.O.N. " National character in the prespective of cultural geography ", The Annals of the American Academy of Social science, Vol. 370, March 1967, P.P. 8 - 15.

83- Campbell, D.T. " The indirect assesment of social attitudes", Psychol. Bull., 47, 1950, P.P. 15-38.

84- Charlesworth, J.C. " National character in the perspective of political science", The Annals of the American Academy of political and social science, Vol 370. March 1967, P.P. 23 - 29.

85- Cronbach, L.J. Essentials of psychological testing, Harper & Row, N.Y. 1970.

86- De Vos, G.& A. Hippler." Cultural psychology: comparative studies of human behavior", G. Lindzey and E. Aronson, (eds), The handbook of social psychology, Vol .4, Addison-wesley 1969.

87- Don- Martindale (introduction). The annals of the american academy of political ans social science, Vol.370, March 1967.

88- ——————————." The Sociology of national character", The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 370, March 1967, P.P. 30 - 35.

89- Drever, J.A. Dictionary of pzychology, Penguin, 1971.

90- El-hamamsy, L.S. " The assertion of the egyptian identity", Problems of Ethnic Ascendency and Alienation P.P.276-303.

91- English, H.B. & A .C. English. A comperhensive dictionary of psychoanalysis and psychological terms, Longmans, Green, & N.Y. 1958.

92- Fromm, E. " Individual and social origin of neurosis", C.Kluckhohn et.al., (eds), Personality in nature, culture, and society, Janathan cape, London, 1953, P.P. 515 - 521.

93- Gillin, J. " Methods of approach to the stydy of human behavior", F.L.K. Hsu, (eds), Aspects of culture and personality, Abelard - Schuman N.Y., 1954,P.P. 3-17.

94- Glidden, H.W. " The Arab world", American J. of Psychiatry, 123, 1972, P.P. 983-988.

95 - Gorer, G. " The concept of national Character" C. Kluckhohn et.al., (eds), Personality in nature, society, and culture, Jonathan cape, London, 1953, P.P. 246 - 259.

96 - Harik. I.F. The politicalh nobilisation of personality, a study of an Egyptian community, Indiana University Press, Bloomington & London, 1974.

97 - Henry, J. "The problem of invariance in the field of personality and culture", F.L.K. Hsu, (eds), Aspects of culture and personality, Abelard - Schuman, N.Y., 1954, P.P. 139 - 171.

98 - Henry, W. The analysis of Fantasy, John Willey & Sons Inc., N.Y. 1963.

99 - Hoebel, E.A. " Anthropological prespeǒtives on national character", The annals of the american academy of palitical and social science, Vol. 370, March 1967, P.P. 1-7.

100- ------------------., E, L; Frost. Cultural and social anthropology Mc Grow- Hill, N.Y., 1976.

101- Hunt J, Mc V,." An instance of the social organization of conflict resulting in psychoses" C.Kluckhohn et.al., (eds), Personality in nature, society and culture Jonathan cape, london, 1953, P.P. 456 -463

102- Inkeles, A,." Some sociological observations on culture and personality studies ", C.Kluckhohn et.al., (eds), Personality in nature, culture, and society, Jonathan Cape, London, 1953, P.P. 577-592.

103- ----------------." D.Levinson." National character: the study of modal personality and sociocultural systems", G. Lindzey and E. Aronson, (eds), The Hand-book of social Psychology, Vol 4, Addison-Wesley, 1969.

104- Klinberg, O."How far can the society and culture of a people be gauged through their personality characteristics?" F.L.K. Hsu, (eds), Aspects of culture and personality , Abelard - Schuman, N.Y., 1954 , P.P. 29 - 42.

105- Klopfer, B., et.al., Developments in the rorschach techniaue, Vol. 1, Harcourt, Brace & World, Inc., N.Y., 1954.

106- Kluckhohn, F.R. " Dominant and variant value orientations" , C.Kluckhohn et.al., (eds), Personality in nature, society, and culture Jonathan Cape, London , 1953, P.P. 342-357.

107- Lazar, J."Juridical perspectives on national character", the annals of the american academy of political and social science, Vol. 370, March 1967, P.P. 16 - 22.

108- Linton, R." what we know and what we don't", F.L.K. Hsu, Aspects of culture and personality Abelard - Schuman, N.Y., 1954, P.P. 187 - 228.

109- ——————. Culture background of personality. Routledge & Kegan paul LTD, London, 1968.

110- Mead.M." Administrative contributions to democratic character fomation an the adolescent level", C.Kluckhohn et.al., (eds), Personality in nature, society and cultyre, Jonathan cape, London, 1953, P.P. 663 - 670.

111- Mischel, W. Introduction to personality, Holt' Rinehart and Winston INC., N.Y., 1971.

112- Naim, S." Towords a demystification of arab social reality: a critique of anthropological and political writings on arab societies" , Unpublished paper presented to the middle east studies seminar, University of Hull, Dec. 1973.

113- Nelson, C. The waiting Village: social change in rural mexico, Little' Brown and company, Boston, 1971.

114- Patai, R. The arab mind, Scribners, N.Y. , 1973.

115- Peres, Y. & Z. Levey." Jews and arabs: Ethnic group stereotypes in Israel, RACC, Vol.4. April 1969, P.P. 479 - 492.

116- Rosaldo, R.I. (Review)" Psychology of modernization in the rural philippines by Guthrie, G.M. et,al." American Anthropologist, Vol. 74(6), Dec., 1972, P.P. 1439-1442.

117- Riesman, D. " Some questions about the study of american character in the twentieth century", the annals of the american in academy of political and social science. Vol. 370, March 1967 P.P. 36 - 47.

118- Roheim, G. Psychoanalysis and anthropology, International University Press, N.Y.1969.

119- Sandhu, H.S. & D.E. Allen." the village influence on punjabi farm modernization", American Journal of Socialogy, Vol. 79 (4), Jan. 1974, P.P. 967-979.

120- Sanua, V.D. " The Psychology of the arab peasantry and its implication for the Israel-Arab conflict," Unpublished, 1974.

121- Smock, D.R. " Cultural and attitudinal factors affecting agricultural development in eastern Nigeria", E.D.C.C. Vol. 18(1) october 1969, P.P. 110 -124.

122- The annals of the american academy of politial and social sciences, Vol. 370, March 1967.

123- Thorndike, R.L. & E. Hagen. Measurment and evaluation in psychology and education, John Willey & Sons INC., N.Y. 1969.

124- Yacorzynski, G.K., " The nature of man", F.L.K. Hsu, (eds) Aspects of culture and personality Abelard - Schuman, N.Y., 1954.

٢٠٢٠ حول التكوين السيكلوجى للفلاح المصرى (*)

(*) نشرت هذه الدراسة فى :
" دراسات " (نشرة شهرية يصدرها المجلس الاعلى لتنظيم الاسرة والسكان) ، العدد السابع ، ابريل ١٩٧٤٠

تفيض كتاباتنا وقراءتنا بالحديث عن " الفلاح " و " القريــــــة " و " الزارع " ترى ما سر هذا الاهتمام ؟ لماذا نهتم أو يجب ان نهتــم بدراسة الفلاحين خاصة اذا كنا بصدد الدعوه الى تنظيم الاسره أو محو الاميه او مضاعفة الدخل القومى او ما الى ذلك من قضايا عامه؟ •

ان ذلك الاهتمام انما يرجع الى العديد من الاسباب المتشابكــة المعقده التى يتعلق بعضها بنا فى مصر ريفا وحضرا ، ويتعلق بعضهــا الاخر بالانسانية جمعاء تاريخا وحاضرا • كذلك فان بعض تلك الاسباب يتعلق بالانسان او البشر وبعضها الاخر يتعلق بالظروف البيئيــــــه المحيطه بالانسان من اقتصاد وتاريخ وما الى ذلك •

وعلى اى حال فاننا نستطيع ان نجمل أهم تلك الاسباب فيما يلى :

١) يمثل الفلاحون الاغلبية الساحقه من سكان مصر • ويكفى ان نلقــى بنظرة سريعة الى بيانات تعداد ١٩٦٦ ليتضح لنا أن قرى مصــر تضم ٥٩ ٪ من المصريين • واذا ما أضفنا اليهم من يقيمون فــــى المراكز والبنادر ، والذين تبلغ نسبتهم ١٨ ٪ أصبحت نسبة مــــن يعيشون فى مناخ حضارى فلاحى تصل الى ٧٧٪ •

٢) ان قطاعا كبيرا من ابناء الحضر ينتمون الى اصول فلاحية مباشـــرة مازالت تمارس تأثيرها الحضارى عليهم تاركة بصمات الريف علـــى بنائهم القيمى واتجاهاتهم الاجتماعية وتكوينهم السيكولوجى •

٣) مازالت الزراعة تحتل جانبا رئيسيا من مصادر الدخل القومى رغـــم كل ماشهدته بلادنا من تقدم صناعى • ويكفى مرة اخرى أن ننظـر سريعا الى الكتاب السنوى للاحصاءات العامه للجمهورية العربيــة المتحدة الصادر عن الجهاز المركزى للتعبئه والاحصاء فى يونيـو عام ١٩٧٠ لنتبين أن الدخل القومى المتحقق من الزراعه ٦٧ / ٦٨ بلغ ٦٤٤ر٠٤ مليون جنيه من موضوع الدخل القومى ذلك العـــام ١٢٤٢ر٠٨ مليون جنيه ، فى حين بلغ الدخل القومى المتحقــق من الصناعة ٤٨٨ر٠٩ مليون جنيه • كذلك يتضح من نفس المصدر

ان حجم العمالة فى الزراعة فى نفس العام ٤٠٠ر٨٦٧ر٣من مجموع حجم العماله البالغ ٤٠٠ر١٢ ٠ره فى حين بلغ حجم العمالة فى قطاع الصناعة ٧٠٠ر٨٦٦٠

٤) تعد الزراعه من أقدم الحرف التى عرفها الانسان ، وبالتالى فان الحضارة الزراعية أقدم بكثير من الحضاره الصناعيه٠ ومن هنا فان فهم الحضارة الصناعية الاحدث يتطلب بالضرورة فهما مسبقا للحضارة الزراعية ومكوناتها ، خاصة وان المجتمعات الريفية على نطاق العالم الصناعى المتطور مازالت تحتل مكانا هاما اقتصاديا وحضاريا وبشريا٠

تلك — فيما نرى — هى اهم الاسباب التى يمكن ان تفسر وأن تبرر ضرورة الاهتمام بدراسة الريف فى بلادنا من زاوية العلوم الانسانية بعامة وعلم النفس على وجه الخصوص ٠

ترى كيف ينبغى لنا أن ندرس " الريف المصرى " ؟ أو بعبارة اخرى ما الذى ينبغى علينا أن ندرسه فى " الريف المصرى " ؟ ولعلنا لو طرحنا مثل هذا التساؤل على اى من المتخصصين فى علم الاجتماع الكلاسيكى لاشار لنا ببساطة الى ذلك الكم الهائل من الدراسات الاجتماعية التى تبحث فيما يعرف بمجال "علم الاجتماع الريفى" ولسنا هنا بصدد التعرض لمناهج علم الاجتماع الريفى ، ولا حتى لموضوعاته ولا لنتائجه كل ما يعنينا تأكيده ، هو أن مجال هذا العلم ملىء بالعديد المتنوع من الاتجاهات والمذاهب والمدارس التى تعكس جميعا اهتمام أهل الحضر منذ قديم بدراسة الفلاحين واحوالهم٠ ولن يتسع المقام كما سبق ان أشرنا لعرض تلك الاتجاهات جميعا٠ ولذلك فسوف نكتفى بتعرض سريع لاكثر تلك الاتجاهات شيوعا واكثرها خطأ أيضا٠ ولعلنا لا نجاوز الحقيقة كثيرا اذا ما قلنا ان ما نحن بصدد التعرض له ليس مجرد اتجاه ضمن اتجاهات عديده بل هو خاصية تتسع لتشمل عددا كبيرا من الاتجاهات ومناهج الدراسة ، ونعنى بها خاصية النظر الى الريف من الخارج ٠ او — بعبارة اخرى النظر الى الريف من موقع حضرى

بعيد بحيث يؤدى ذلك عادة الى الوقوع فى اخطاء عديدة أهمها :

أولا خطأ التجزئـــة :

أى تجزئة الظواهر الريفية وفصلها بعضها عن البعض الاخـر دون اهتمام كاف بتقصى أسباب تمايزها ولا بمدى تفاعلها . فمن الشائع مثلا أن يقال أن الريف المصرى يتميز بعدة خصائص منها زيادة الخصوبة وارتفاع نسبة الامية ، والبطالة الموسمية واستخدام الاطفال فى سـن مبكرة كقوة عمل ... الخ . وقد يكون كل ذلك صحيحا وهو صحيـح بالفعل الا ان الوقوف عند حد تقرير ذلك لايمكن ان يتيح لنا فهمـا حقيقيا عميقا للريف . بل أن مثل ذلك الفهم الحقيقى لايمكن أن يتحقق الا اذا درست تلك الظواهر سويا فى ضوء العلاقات المتبادلة فيمـا بينها ، والتى تدور حول محور اساسى واحد هو انعكاس الظروف المادية للواقع الفلاحى على تكوين ثقافة الفلاحين وخصائصهم النفسية . ان اسلوب الزراعة فى الريف المصرى ، بما يفرضه من استخدام موسمى للايـدى العامله يؤدى الى ظاهرة " البطاله الموسميه " . كما ان ذلك الاسلوب نفسه بما يتميز به من تخلف تكنولوجى يسهم فى انتشار الامية ، وايضـا ـ ولو بطريق غير مباشر ـ فى زيادة النسل حيث يعتبر الابناء مصـدرا للدخل وللمكانه الاجتماعية . خلاصة القول ان ثمة تفاعل متبادل بيـن تلك الظواهر جميعا وانها كلها تدور حول محور اساسى هو " عمليـة الانتاج الزراعى فى الريف " .

ويؤدى هذا الخطأ النظرى على مستوى التطبيق الى اخطـاء عملية عديدة اهمها ان نلجأ الى معالجة كل من تلك الظواهر كما لـو كانت منفصلة عن الاخرى ، وكما لو كانت جميعا مقطوعة الصلة بمحورهـا الرئيسى . وبالتالى نقد نحاول مثلا التصدى لمشكلة الامية بالدعـوة الى محوها وفتح الفصول لها . ونحاول مثلا التصدى لمشكلة الانفجـار السكانى فى الريف بالدعوة الى تنظيم الاسرة وتيسير الحصول على وسائـل تحديد النسل . وتمضى تلك المحاولات جميعا كل منفصلة عن الاخـرى لها رجالها ، ومخططوها ، وتمويلها ، ومؤسساتها ثم يفاجأ الجميـع

بمعوقات لاقبل لهم بمواجهتها • وفى الحقيقة فانه لا سبيل لهم بالفعل الى مواجهة مثل تلك المشاكل الا بالتصدى لها مجتمعة متفاعلة • وذلك لا يتأتى الا بتحاشى خطر التجزئة •

ثانيا : خطأ التعميم :

تعد المبالغة فى التعميم سمة مكملة لسمة التجزئة المشار اليها • فالنظرة الى الريف من الخارج لاتتيح ادراكا حقيقيا شاملا لجوهر المجتمع الريفى • وبالتالى لايبقى امام الباحث الا ان يعمم من النتائج الجزئية التى يصل اليها • او التى يصل اليها غيره من الباحثين لتصبح كما لو كانت نتائجا تنطبق على المجتمع الريفى كله بل وعلى المجتمعات الريفية قاطبة •

وتزداد خطورة هذا الخطأ لو وضعنا فى الاعتبار حقيقة أن الدراسات الريفية قد نشأت وتقدمت على المستوى الاكاديمى النظرى والتطبيقى فى مجتمعات تختلف عن مجتمعنا اختلافا جذريا وخاصة فيما يتعلق بالوضع الفلاحى • فتطبق على الريف فى كل البلدان •يعد فضلا عن خطئه النظرى مغامرة خطيرة العواقب من حيث التطبيق العملى •

ان النظر الى " الفلاح " باعتبار أن له خصائص وصفات اجتماعية وسيكلوجيه ثابته ومطلقه لا تتغير من مجتمع لاخر يتنافى مع التسليم بأن الانسان من حيث عاداته وتقاليده ونظمه الاجتماعية وتكوينه السيكلوجى لا يمكن ان يكون الا نتاجا للظروف المادية المحيطه به والتى تتغير بدرجات متفاوته من مجتمع لاخر • بعبارة اخرى فان القول باعتبار " الريف هو الريف " فى كل مكان وزمان " يؤدى مباشرة الى اهدار البعد القومى والبعد التاريخى والبعد الطبقى فى تناول الموضوع•

فلابد من التسليم على المستوى القومى بأن اوجه التشابه الحضارية والسيكولوجية بين الريف المصرى والحضر المصرى او بين الريف الامريكى والحضر الامريكى اكثر بكثير من أوجه التشابه بين الريف الامريكى والريف المصرى او بين الحضر الامريكى والحضر المصرى بعبارة اخرى فان بين

الفلاح المصرى والحضرى المصرى لغة مشتركة تفتقدها العلاقة بين الفلاح المصرى والفلاح الامريكى ولانعنى باللغة هنا بطبيعة الحال لغة اللسان فحسب بل لغة التواصل ، اى تلك اللغة التى تضمن رباطا بين أبناء الامة الواحدة .

وعلى المستوى الطبقى تصبح الصورة اوضح ، فالحديث عن " الفلاح المصرى أو الفلاح الامريكى " يعنى التسليم بأن الفلاح كتلة بشرية واحدة متجانسة وبالتالى فان لها خصائصها المميزة الواضحة . وعلى هذا الاساس يمكن التعميم من فلاح الى اخر دون حرج والحقيقة التى أكدتها العديد من البحوث والدراسات الميدانية على اختلاف المنطلقات النظرية لاصحابها ان الفلاحين ايا كانت قومياتهم ليسوا فئة واحدة بل طبقات متدرجة . الفلاح المالك يختلف اجتماعيا وسيكلوجيا عن الفلاح المعدم . والمالك الكبير يختلف عن المالك الصغير وهكذا .

وعلى المستوى التاريخى ، يؤدى التعميم الى اهمال حقيقة تطور المجتمعات ريفيه كانت أو حضارية . وبالتالى فان الريف المصرى الان يختلف قطعا عن الريف المصرى فى عصر الفراعنه او عصر محمد على مثلا ، ويشمل ذلك الاختلاف بطبيعة الحال جوهر التكوين الاجتماعى والسيكلوجى للفلاح المصرى . ان اهمال العلماء الامريكيين مثلا للبعد التاريخى فى دراساتهم الريفية يمكن تبريره منطقيا باعتبار أن الريف الامريكى والحضر الامريكى كذلك ليس له ذلك التاريخ الممتد الذى يميز المجتمعات الريفية فى السواد الاعظم من بقية بلدان العالم ، ان المجتمع الامريكى ككل مجتمع مستحدث نسبيا وبالتالى فلم يكن ضروريا بالنسبة لعلماء الاجتماع الامريكين عند تصديهم لدراسة القرية الامريكية الاهتمام بالبعد التاريخى . ولكن الامر ليس كذلك على الاطلاق اذا كنا بصدد تناول الريف المصرى ذى التاريخ الطويل الممتد .

ترى هل يعنى كل ما ذكرناه أنه ليس ثمة سمات عامة مشتركة بين المجتمعات الريفية جميعا ؟ واذا ما كان ثمة تشابه ، الا يؤدى ذلك الى تشابه على المستوى السيكلوجى بين الفلاحين جميعا ؟ .

ان السمة الوحيدة والمحددة التي تميز " الريف في كل زمان ومكان " هي اشتغال اهل الريف بالزراعة • وتلك السمة هي كما أسلفنا المحور الذي ينبغي ان تعتمد عليه محاولتنا لفهم الفلاحين سيكلوجيا واجتماعيا ان أسلوب الانتاج الزراعي وهو اسلوب يختلف من مجتمع ريفي الى اخر ، يؤدي الى العديد من الاثار الاجتماعية والسيكلوجية التي تختلف بدورها وبدرجات متفاوته من مجتمع الى اخر • بعبارة أخرى فرغم ان الاشتغال بالزراعة عموما امر تشترك فيه المجتمعات الريفيه جميعا — الا أن أساليب الزراعة تختلف من مجتمع الى اخر وفقا لدرجات التطور التكنولوجي والطبقي والتاريخي لكل مجتمع • وبالتالي فان مجرد الاشتغال بالزراعة لايؤدي في حد ذاته الى ترك طابع سيكلوجي مميز على جميع المشتغلين بها ، بل أن ذلك يختلف باختلاف طبيعة ذلك المشتغل بالزراعه •

مراجعة ناقدة : لافكارنا عن سيكلوجية الفلاحين :

تمتلىء ترسانتنا الفكرية نحن ابناء المدينة — ابناء الفلاحين — بالعديد من الافكار الخاطئه المشوهة عن سيكلوجية ابائنا الفلاحين • ولذلك التشوه او التشويه العديد من المسببات والمصادر والجذور التي لا يتسع هذا المقام للتعرض لها تفصيلا ولا حتى لعرضها اجمالا • ومايعنينا اولا هو تأكيد ان تلك الافكار الخاطئة تعد من اخطر العوائق التي تهدد محاولات النفاذ ثقافيا الى الريف بهدف التغيير او حتى بهدف الدراسة والفهم فحسب وبالتالي فان محاولة مراجعتها تعد ضرورة ملحة عمليا ونظريا في نفس الوقت •

ترى هل المجتمع الريفي المصري اكثر رجعية من المجتمع الحضري المصري على المستوى السلوكي :

بعبارة اخرى هل " الفلاح المصري " أقل تحررا وأشد تمسكا بالقديم ودفاعا عنه ، واكثر نفورا من الجديد ومحاربة له ؟ يكفي أن نتناول على سبيل المثال محكا واحدا لاختبار تلك القضية هو الموقف من المرأة •

هو محك نستطيع أن نعتمد عليه الى حد كبيرا لنبين مدى تحرر او رجعية جماعة من الجماعات • ولا يعني ذلك بحال أنه المحك الوحيد • والمقصود بتحرر المرأة على المستوى السيكولوجي هو تقبل افراد جماعة معينة لمشاركة المرأة في الانشطة الاقتصادية والاجتماعية والاسرية مشاركة تقوم على تكافوء الادوار وتكاملها • اى تقوم على الاعتراف بكيانها المستقل ودورها الفعال •

ولو سلمنا بذلك لامكننا ان نضع أيدينا على ظاهرتين تتعلقان بوضع المرأة في الريف المصرى وتتعارضان — فيما نتصور — مع القول برجعية الفلاح المصرى بشكل مطلق •

أ — ان وضع المرأة بين فقراء الفلاحين ومعدميهم يختلف عن وضعها بين اغنيائهم اختلافا كبيرا • فالمرأة الفلاحة الفقيرة لاتتحرج ولا يتحرج زوجها عادة من اقدامها على مشاركته في العمل • وظاهرة عمال التراحيل — وهم من الفلاحين المعدمين — تفيض بنماذج لاحصر لها تؤكد جميعا مشاركة المرأة للرجل في هذا النشاط الشاق دون حرج أو تحرج •

ب — تتمتع المرأة القروية الفقيرة — بل والمتوسطة احيانا — وتحت ضغط الحاجة الاقتصادية بقدر تبسى من الاستقلال الاقتصادى الذى يصل في بعض الاحوال الى حد تقبل ان يكون لها مشروعها الاقتصادى الخاص الذى يمول في اغلب من مال تحصل عليه لسبب او لاخر من اهلها او يمول من مال تتلقاه على سبيل النقوط في مناسبة اجتماعية خاصة بها • ويتخذ ذلك المشروع الاقتصادى الخاص عادة شكل المشاركة على المواشي او التجارة البسيطة في بعض المنتجات الغذائية أو ما الى ذلك •

أن المرأة الريفية حين تشارك الرجل في مشاق عمله • وحين تمارس انشطتها الاقتصادية المستقلة البسيطة لاتبدى • بل وقد لاتحس • انها تقدم على امر غير مألوف او انها تحقق " ثورة " أو شيئا من هذا القبيل

وكذلك الحال بالنسبة للرجل الريفي الذى لا يجد غضاضة فى شيء من ذلك ، ولا يبدى ـ بل وقد لا يحس ايضا ـ انه يقدم تنازلا بشكل أو بآخر . بل على العكس تماما فان الرجل الريفي والمرأة الريفية يمارسان مايمارسانه باعتبار انه امر طبيعى تماما ، امر تفرضه طبيعة الامور بحيث لايحتاج الى مناقشة او اعمال فكر . وهو كذلك بالفعل .

وخلاصة القول ان التسليم المطلق برجعية الفلاحين عموما أمر فى حاجة الى اعادة النظر والتفكير والتناول . واذا كان الموقف من المرأة يعد محكا واحدا من محكات عديدة لتبين مدى تحرر جماعة معينة فلسوف نشير فيما بعد الى بعض المحكات الاخرى التى تدعم ماذهبنا اليه .

ترى هل صحيح أن " رفض الجديد " سمة سيكلوجية تميز الفلاح المصرى ؟

تعد فكرة رفض الفلاح المصرى للجديد من أهم الافكار التى ينبغى علينا التوقف أمامها ومناقشتها . وينبغى ان نشير أولا الى ان تلك الفكرة انما هى فى الاساس رافد لفكرة أشمل مؤداها أن الانسان بطبعه يرفض الجديد ويعزف عنه ويطمئن الى القديم ويتمسك به . وهى فكرة لابد من مناقشتها اولا قبل التعرض ـ لتطبيقاتها على الفلاح المصرى .

صحيح ان الجديد فى العلم ـ وكما يعلمنا دروس التاريخ ـ كان يواجه ومازال يواجه برفض وهجوم ولكن من الصحيح كذلك ـ وكما يعلمنا دروس التاريخ ايضا ـ ان جديد الامس هو قديم اليوم وأن جديد اليوم هو قديم الغد ـ العلاقة بين القديم والجديد اذن علاقة ديناميكية متحركة وليست بالعلاقة الاستاتيكية الجامدة . وتلك هى سنة التطور .

ورغم ذلك فهل صحيح ان الفلاحين يرفضون الجديد أيا كان ويتمسكون بالقديم بكافة صوره ؟ صحيح ان الفلاح قاوم ومازال يقاوم فكرة تحديد النسل ، ولكن نفس هذا الفلاح لم يرفض ولم يقاوم ادخال ماكينات المياه الالية فى الرى ، بل لعله يسعى الى تعميم الاستفادة منها لو استطاع . صحيح ان الفلاح قد يحجم عن التعامل مع البنوك

ولكن نفس الفلاح لايحجم بنفس الدرجة عن التعامل مع المستشفيات•
صحيح ان الفلاح قد يرفض تصميما حديثا لبيته ، ولكنه لايرفض على الاطلاق دخول الكهرباء الى قريته ، ولايتردد فى شراء " الترانزستور " اذا ما استطاع تدبير ثمنه • كل ذلك يصدق بطبيعة الحال على غالبية الفلاحين وليس ضروريا ولاتصورا ان ينطبق ما نقول على الفلاحين جميعا فردا فردا • فالافراد سواء أكانوا حضريين او قرويين لايتخذون جميعا موقفا موحدا من الجديد •

خلاصة القول ان ما أوردناه ــ مجرد امثله توكد ان الفلاح المصرى لا يرفض الجديد ايا كان ولا يتمسك بالقديم بكافة صوره• انه ــ شأنه شأن غيره ــ يرفض الا يراه مناسبا له او ما لا يقتنع به• ويقبل مايرى فيه فائدة له • ويبقى فى النهاية مجال للاختلاف بين مانراه نحن جيدا له وبراه هو ضرا به• وليس حتما أن تكون وجهة نظرنا نحن أبناء المدينة صحيحة تماما وبصورة مطلقة •

<u>هل صحيح ان الفلاح المصرى ملتصق بالارض ولايود ان يبرحها ايا كانت الاحوال والظروف ؟</u>

لقد طال ترديدنا لفكرة أن الفلاح المصرى ملتصق بالارض لايستطيع ان يبرحها او ان يبتعد عنها حتى ولو الى حيث يجد رزقا أوفر وظروفا اكثر تقدما •

ان النشرة الصادرة فى ابريل عام ١٩٧٢ عن مركز الابحاث والدراسات السكانية التابع للجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء يمكن ان تحسم هذه القضية بالارقام المجردة• تورد النشرة فى صفحتها السادسة مايلى " تلعب الهجرة الداخلية دورا هاما فى مصر ويمكن تلمس اثارها فى التغير السريع فى توزيع السكان بين الريف والحضر • فقد تضاعفت نسبة سكان المناطق الحضرية بين عامى ١٩٠٧ و ١٩٦٠ • كما زادت زيادة ملموسة فى التعداد الاخير نتيجة التنمية السريعة المطردة فى القطاع الصناعى وقطاع الخدمات واجتذاب هذين القطاعين

لكثير من سكان الريف بدافع السعى وراء اجر أعلى والتطلع الى حياة أفضل واكثر رفاهية ... ويلاحظ ان ظاهرة هجرة السكان من الريف الى الحضر عامة فى جميع المحافظات " . ثم تورد النشرة الجدول التالى الذى يبين التوزيع العددى والنسبى لسكان الريف والحضر فى الفترة من ١٩٤٧ ـ ١٩٧٠ .

السنة	عدد سكان الحضر	النسبة	عدد سكان الريف	النسبة	الجملة
١٩٤٧	٦٢٠٢٣١٦	٪٣٣	١٢٦٠٣٥١٠	٪٦٧	١٨٨٠٥٨٢٦
١٩٦٠	٩٦٥١٠٩٧	٪٣٧	١٦١٢٠٣٦٨	٪٦٣	٢٥٧٧١٤٩٥
١٩٦٦	١٢٠٤٢٠٣٠	٪٤٠	١٧٦٨٩٦٣٠	٪٦٠	٢٩٧٣١٦٦٠
١٩٧٠*	١٣٩٩٨٠٠٠	٪٤٢	١٩٣٣١٠٠٠	٪٥٨	٣٣٣٢٩٠٠٠

التزاحم الشديد :

الفلاح المصرى اذن يفزع من أرضه الى المدينة طلبا للرزق وسعيا الى التحضر بل ان قرى كاملة فى صعيد مصر على وجه الخصوص يكاد يتخصص رجالها فى اعمال معينة يمارسونها فى القاهرة كتجارة الاسماك وتجارة الفواكه واعمال البناء . وحتى لو تركنا جانبا ظاهرة الهجرة الى المدن فيكفى ان نتأمل ظاهرة اخرى اكثر وضوحا ، أعنى ظاهرة عمال التراحيل . انهم فلاحون فرضت عليهم ظروفهم عملا يقتضيهم تنقلا دائما يحول بينهم وبين الارتباط بالارض .

---

* تقدير

وتعود النشرة فى صفحة ٢٧ وتحت عنوان " سياسة الدولة فى مواجهة الهجرة الداخلية فتقرر : " تواجه جمهورية مصر العربية تيارات هجرة داخلية واضحة من الريف الى الحضر مما يترتب عليه نمو المدن بمعدلات عاليه ، وحدوث مشاكل فى الاسكان ـ والمواصلات بهذه المدن نتيجة .

والقضية فيما نرى ليست التصاق الفلاح بالارض كشئ " مطلــــق " ولعلنا لو عدنا من صيغة طرح هذه القضية لتصبح قضية التصاق بأرضه اى بالارض التى يمتلكها ، لاصبح الامر منطقيا مقنعا ، فليس من المتصور أن يقدم فلاح مالك لقطعة ارض صغيرة تكفيه على تركها والنزوح الـــى القاهرة مثلا ، انه فى هذه الحالة يلتصق بالفعل بقطعة أرضه هـــذه ، اما اذا لم يكن مالكا بصورة أو بأخرى لقطعة الارض فأن الامر لا يصبح التصاقا بحال ، قد يحن الى المكان الذى نشأ فيه ويشتاق اليه ولكن " بعد ذلك ، وشتان بين الحنين الى الارض والالتصاق بها ،

سيكلوجيــة الفلاح المصـــرى : وجهة نظر

قد يستريب القارىء المتخصص فى عنوان كهذا العنوان ، وقـــد يحتج وحق على حديث يلقى على عواهنه عن سيكلوجية الفلاح المصـــرى دون دراسة ميدانية متخصصة حتى ولو كان الحديث لا يعدو أن يكـــون " وجهة نظر " ونحن نسلم دون تحفظ بوجاهة هذا الاعتراض ، ونبـادر نقرر ان ما نوشك أن نورده تحت هذا العنوان لا يعدو ان يكون نوعـــا من التجريد النظرى لخبرات شخصية مباشرة وغير مباشرة بالفلاح المصرى ، اعتمدنا فيه على الاسترجاع الاستبطانى للخبرات الشخصية المباشـــرة وعلى التحليل المنطقى للخبرات الشخصية غير المباشـــرة (*) ،

وكل ما نطمع اليه هو أن يكون ما تقدمه بمثابة الدعوة لضرورة الاهتمام بدراسات متعمقة لموضوع سيكلوجية الفلاح المصرى ،

(*) لا يفوتنا ان نقدم الشكر موفورا للاخوة رواد ورائدات الدورتيـــن الرابعة والخامسة بمركز اعداد الرواد الثقافيين التابع لادارة الثقافة الجماهيرية لما بذلوه من جهــد فى تقديــم خبراتهـــم الشخصية بالفلاح المصرى من خلال تعاملهم الشخصى معـــه اسريـــا ومهنيـــا ،

أولا : الفلاح المصرى اميل الى التشكك العميق فى "الافندية" أو "أهل البندر" التشكك فى نواياهم حياله ، واتجاهاتهم نحوه، وتفسير تلك الخاصية السيكلوجية ليس بالامر الصعب ، فالتشكك ، اذا لم يكن ، فلابد وان يكون نتيجة لخبرات سابقة مؤلمة ومحبطة والفلاح المصرى قد تجاوز عمره على الارض المصرية خمسة الاف عام او مايقرب من ذلك ، ولم ير الفلاح من أهل البندر طوال ذلك التاريخ وحتى مؤخرا سوى الصراف والمأمور ومندوب الجهادية ووكيل النيابة ومن اليهم من رجال السلطة الذين ساموا الفلاح سوء العذاب ، وليس غريبا والامر كذلك ان يتشكك الفلاح فى نواياه ابناء البندر ، وان يأخذ حذره منهم بطريقته الخاصة.

ثانيا : يتميز الفلاح المصرى بقدر هائل من " المجاملة الشديدة " لابناء البندر " وقد يبدوا ذلك للوهلة الاولى متعارضا مع ما أشرنا اليه من تشككه فيهم ، غير اننا نستطيع بغير عناء كبير ان نستخلص من الخبرات المتوافرة أن تلك المجاملة الشديدة لاتعدو ان تكون فى اغلب الاحيان نوع من " اتقاء الشر " ، اى انها ميكانيزم سيكلوجى قد يلجأ اليه الفلاح ويبالغ فى استخدامه تغطية لتشككه فى الغريب ودراء لما يتوقعه من شره، ويكفى ان نشير فى هذا المقام الى خبرات العديد من الباحثين الميدانيين الذين عملوا فى امجال الفلاحين والذين تؤكد خبراتهم ان المجاملة الشديدة المبالغ فيها التى يلقونها فى البداية لاترتبط بحال بدرجة تعاون المبحوث سواء على المستوى اللفظى تعبيرا عن اتجاهاته أو على المستوى العملى تغييرا لتلك الاتجاهات.

ثالثا : يلجأ الفلاح المصرى فى كثير من الاحوال الى ابراز سمة قد تبدو للوهلة الاولى وكأنها نوع من تحقير الذات " فعبارة ، مثل " .. واحنا ايش عرفنا .... احنا فلاحين. " تتردد بشكل غير عادى فى محاورات الفلاحين مع ابناء الحضر ، ومثل تلك العبارات لاعلاقة لها ـ فيما نرى ـ بسمة تحقير الذات ، او ادعاء الجهل

هو السلوك التوافقي الامثل الذى توصل اليه فلاحنا بعد خبرة الاف السنين من القهر الحضرى • فهو السلوك الذى يصلح لتخفيف الحساب على الخطأ ، وهو فى نفس الوقت السلوك الذى يثير فى الحضرى اشد انواع الغرور مما قد يدفعه الى التسامح مع هذا الفلاح " الساذج "

تلك مجرد خصائص ثلاث اخترناها بالذات لان المتخصصين فى علم النفس وفى حدود ما نعلم لم يتعرضوا لها ولم يقفوا امامها كثيراً • وذلك لا يعنى بحال انها الخصائص الوحيدة ، كما انه لا يعنى أن عرضنا لها فى هذا الحيز وبهذا الايجاز فيه الكفاية •

الفلاح المصرى وقضية تنظيم الاسرة :

لم يعد اليوم جدال كثير حول التسليم بأن الفلاح المصرى اميل الى الاسرة الكبيرة العدد • وانحصرت المناقشات ـ اوكادت ـ فى تبين أسباب هذا الميل • البعض يرجعه الى " ان التطور الاجتماعى والفكرى اكثر بطئا فى الريف منه فى الحضر مما يجعل الدعوة لتنظيم الاسرة أبطأ تغلغلا فى الريف ، وقد يكون لانخفاض المستوى التعليمى تسببا فى الريف أثره فى عدم الاستجابة السريعة لتنظيم الاسرة فيه (1) والبعض قد يرجعه الى غير ذلك من الاسباب التى قد تتفاوت قربا وبعدا من الصحة والدقة : يعد الاطفال مصدر دخل للفرد الفقير• الاسرة الكبيرة تشغل فى الريف مكانة اجتماعية اعلا من المكانة التى تشغلها الاسرة الصغيرة • الى اخره • والسؤال الذى سوف نحاول التصدى للاجابة عنه يسبق كافة اتلك التفسيرات والتبريرات • هل صحيح أن حجم الاسرة فى الريف اكبر منه فى المدينة ؟ •

فلنورد فى البداية جدولين احصائيين وردا فى نشرة مركز الابحاث والدراسات السكانية الصادرة فى يناير ٧٢ مرجئين التعليق عليهما الى ما بعد •

(1) نشرة مركز الابحاث والدراسات السكانية ،اكتوبر ١٩٧١ ، ص ٣٢•

متوسط حجم الاسرة (١)

" حسب مدة الحياة الزوجية ـ بحضر وريف الجمهورية "

في عام ١٩٦٦

مدة الحياة الزوجية بالسنوات	ـ ٥	٥ـ ٩	١٠ / ١٩	٢٠ / ٢٩	٣٠ فأكثر	الجملة
حضر	٣٨ر٠	١٣ر٢	٧٠ر٣	٦٢ر٤	٢١ر٤	٢٥ر٢
ريف	٣٥ر٠	٨٩ر١	٤٠ر٣	١٨ر٤	٩١ر٣	٠٩ر٢
نسبة متوسط الريف الى متوسط الحضر٪	٩٢ر٣١	٨٨ر٧٣	٩١ر٨٩	٩٠ر٤٨	٩٢ر٨٧	٩٢ر٨٨

متوسط حجم الاسرة

حسب سن الام بحضر وريف الجمهورية

	ـ ٢٠	٢٠ـ ٢٤	٢٥ـ ٢٩	٣٠ـ ٣٤	٣٥ـ ٣٩	٤٠ـ ٤٤	٤٥ـ ٤٩
حضر	٢٦ر٠	١٢ر١	٠٠ر٢	٨٣ر٢	٥٤ر٣	٣٧ر٣	٠٥ر٣
ريف	٢٣ر٠	٠٣ر١	٨٨ر١	٦٦ر٢	٢٨ر٣	٠٧ر٣	ـ ر٣

وتتضمن النشره تعليقاً على بيان تلك الجداول جاء فيه " تشير البيانات الى أن متوسط حجم الاسرة بالريف يقل عن الحضر وذلك لكل من فئات عدد الحياة الزوجية التى تضمنها الجدول .

(١) المقصود بمتوسط حجم الاسرة هو متوسط عدد الابناء الباقين على قيد الحياه للنساء اللائى سبق لهن الزواج .

ويتراوح متوسط حجم الاسرة الريفية مابين ٨٩٪ ، ٩٣٪ من متوسط حجم الاسرة الحضرية " ثم يختتم التعليق تناوله لهذه الظاهره بتقرير أن " نقص متوسط عدد الابناء الباقين على قيد الحياة بالريف عنه بالحضر قد يكون راجعا الى احد او كلا عاملين سيوضعان موضع دراسات مستقبلة وهما :

الاول : اختلاف خصوبة الريف عن خصوبة الحضر •

الثاني : ارتفاع مستوى المعيشة والمستوى الصحي بالحضر عنه بالريف وبالتالى فأن معدلات الوفاه الحقيقية بالحضر تكون أقل منها بالريف •

ان مجرد وضع مسألة اختلاف خصوبة الريف عن خصوبة الحضر موضوعا لدراسات مستقبلة انما يعنى ان الامر قابل للمناقشة • وكل ما يعنينا فى هذا المقام هو ابراز حقيقة قد اندهشنا لها وقد يندهش لها غيرنا أيضا ، وهى : ان الاسرة الريفية أصغر حجما من الاسرة الحضرية فى مصر حتى عام ١٩٦٦ • ومجرد وضع تلك الحقيقة فى الاعتبار دون خوض فى تفسيراتها يفرض علينا مراجعة الكثير من مسلماتنا النظرية عن تنظيم الاسرة فى الريف قد يكون الفلاح المصرى كثير الانجاب حقيقة ولكن اطفاله كثيروا الموت ايضا وتلك حقيقة أخرى ولابد ان نضع الحقيقتين معا امام اعيننا ونحن نحاول تناول قضية تنظيم الاسرة فى الريف المصرى •

ولعل وضع هاتين الحقيقتين معا موضع الاعتبار هو الذى يفسر ما تضمنته نشرة " السياسة القومية للسكان وتنظيم الاسرة : ١٩٧٣ ـ ١٩٨٢ " الصادره عن المجلس الاعلى لتنظيم الاسرة • ولقد تضمنت تلك النشرة عرضا للعوامل الرئيسية التى تسرع بخفض النمو السكانى • وورد ضمن تلك العوامل السعى الى " تخفيض معدل وفيات الاطفال " باعتبار أنه عند ارتفاع معدل وفيات الاطفال ، يكون دوافع الابوين نحو انجاب الزائد تعويضا لوفياتهم ••• فاذا انخفض معدل وفيات الاطفال نتيجة لعديد من الانشطة فالمفروض نتيجة لذلك ان يطمئن

الابوان على استمرار حياة اطفالهم • وان يكتسبوا الاتجاهات الجديدة نحو الانجاب المنخفض •

خلاصة القول ان موقف الفلاح المصرى من قضية تنظيم الاسرة موقف يعكس بصدق ظروفه المعيشية الاقتصادية والاجتماعية • وان أى جهد يقف عند حد " دعوة " الفلاح الى تنظيم اسرته انما هو جهد محكوم عليه بالفشل مسبقا اذا لم يصحبه او يسبقه " سعى " الى تغيير الواقع الفلاحى اقتصاديا وصحيا واجتماعيا • ومن ناحية اخرى فأن دعوة الفلاح الى تنظيم الاسرة وكذلك السعى الى تغيير واقعه لابد وان يضع فى اعتباره دائما ضرورة توافر الفهم الموضوعى المكتمل لسيكلوجية هذا الفلاح • وهو امر يتطلب جهدا مكثفا من علماء النفس المصريين نضجت الحاجة اليه لم تعد تحتمل التأجيل •

٢٠٣ • انماط الوعى والسلوك لدى الفلاحيـــــن المصريـين تجاه تنظيم الاســــــرة (*)

(*) نشرت هذه الدراسة في :
دراسات سكانية (نشرة ربع سنوية يصدرها جهاز تنظيم الاســـرة والسكان) السنة الثامنه ، العدد ٥٧ ، ابريل / يونيو ١٩٨١ .

مقدمة : الفلاح ومشروع السكان ـ والتنمية :

تتركز أنشطة المشروع فى ريف مصر ، وذلك لعدة مبررات هى على وجه التحديد [(1)] :

أ ـ أن غالبية سكان مصر يتركزون فى الريف ، اذ أظهرت نتائج تعداد عام ١٩٧٦ ان ٥٥٪ من مجموع السكان من الريف .

ب ـ تزيد نسبة الانجاب بين الريفيات عنها بين السيدات فى الحضر .

جـ ـ تقل نسبة استخدام وسائل منع الحمل فى الريف عن الحضر فضلا عن عدم انتظام هذه الخدمات .

د ـ تزايد الهجرة من الريف الى الحضر تؤدى الى تدهورهما على حد سواء .

هـ ـ الخصائص السكانية (أو نوعية السكان) وانخفاض مستواها خاصة بالنسبة للصحة والتعليم والانتاج .

واذا كانت تلك هى مبررات توجه المشروع الى الريف ، واذا ماكان هدفه النهائى هو " تخفيف حدة هذه المشاكل كلها " ، فانه يسعى لتحقيق هذا الهدف من خلال سبيلين متكاملين : " تشجيع الجهود المحلية الرامية الى التنمية الاجتماعية والاقتصادية كوسيلة لحل المشكلة السكانية " وتحسين نظام توصيل خدمات تنظيم الاسرة .

ولعلنا لا نبالغ كثيرا اذا ما اعتبرنا ان نجاح مثل هذا المشروع فى بلوغ اهدافه لا يتوقف فحسب على اجراءات او حتى اعتمادات تصدرها اجهزة المدينة الى القرية رغم اهمية كل ذلك ، بل ان الامر كله يرجع فى النهاية الى مدى ايجابية أو سلبية الفلاح المصرى حيال ذلك الذى يقدم له . فبدون قبوله بل ومشاركته الايجابية تتحول أية مشروعات

---

(1) أحمد عبد الفتاح " مشروع السكان والتنمية " ، دراسات سكانية أبريل / يونيو ١٩٧٩ .

مهما بلغ حجمها ومهما تضخمت اعتمادا تها بل ومهما خلصت نوايا القائمين عليها الى مجرد ابنية خاوية تصفر فيها الريح ويعلوها التراب اما اذا اقبل الفلاح وشارك بقليل من الجهد الخارجي يكفي لتفجير امكانات لا حد لها بل قد تكفي آنذاك الكلمة المخلصة لتحريك تيارات التغيير •

ولعل نقطة البداية الضرورية لنجاح مثل هذا المشروع أن تتمثل في مدى حجم وصحة معرفتنا بالفلاح المصرى • وعلى وجه التحديد مدى معرفتنا بأنماط وعيه التى تحدد سلوكه والتى تتحدد بناء عليها مواقفه من الواقع الاجتماعى المحيط به •

نظرة الى الدراسة الميدانية الفلاحية :

لقد حظى الفلاح المصرى بقدر لا يستهان به من الدراسات التى استهدفت التأكد من وصول الدعوة لتنظيم الاسرة الى مسامعه • ومدى تأييده لهذه الدعوة وممارسته لتنظيم الاسرة • وبذلت تلك الدراسات محاولات دوب لتقصى التفاصيل فى تلك المجالات الثلاث •

من الذين بلغتهم الدعوة على نطاق أوسع ؟ الصغار ام الكبار ؟ الاناث ام الذكور ؟ الفقراء ام الاغنياء ؟ الاميون أم المتعلمون ؟ المتزوجون ام غير المتزوجون ؟ واى مصادر الدعوة كان الاكثر فعالية ؟ التليفزيون ؟ الجرائد ؟ الاذاعة ؟ المساجد ؟ المدارس ؟ الاتصال الشخصية ؟ الملصقات الدعائية ؟ • وهل ثمة تفضيل لمصادر معينة لدى فئات بعينها ؟ أى فئات الفلاحين اكثر تأييدا للدعوة الى تنظيم الاسرة ؟ واى الفئات اشد رفضا لها ؟ من تلك الفئات اشد اقبالا على استخدام وسائل تنظيم الاسرة ؟ واى تلك الوسائل اكثر انتشارا ؟ ولا يقف الامر بطبيعة الحال عند حد الاجابات الرقمية على كافة تلك التساؤلات بحساب النسب المئوية مثلا بل ان الارقام فيما يبدو تجتذب الكثير من الباحثين لمزيد من الاغراق فيها • ومن ثم فلدينا بالفعل ركام هائل من حسابات معاملات

الارتباط بين الاتجاهات نحو الانجاب وبين ما لا حصر له من الموضوعات الاجتماعية والنفسية : الدخل ، استخدام الكهرباء في الاضاءة ، وعدد المواشي التي يمتلكها الفرد ، ومدة الزواج ، وتقبل او رفض الخرافات ومعرفة القراءة والكتابة ومستوى الطموح ... الى آخره .

خلاصة القول ان الاف الالاف من الاسئلة وجهت الى عينات متنوعة من الفلاحين المصريين ، وان مثابرة هؤلاء الفلاحين في الاجابة على تلك الاسئلة لم تكن تقل بحال عن مثابرة وحماس الباحثين المصريين في توجيه اسئلتهم وتنويعها وان هذا الجهد المضنى المتبادل قد استمر لسنوات طويلة ، ومازال مستمرا : مخططات البحوث الميدانية تتوالى ، ومعين الاسئلة لا ينضب تكرارا وتنويعا وأساليب المعالجات الاحصائية للنتائج تتطور وتزداد دقة واحكاما ، وفلاحنا المصري مستمر في تزويدنا بفيض لا ينقطع من الاجابات التفصيلية لكافة ما يمكن ان يطرأ لنا من تساؤلات ، وتلال النتائج الرقمية التفصيلية تتراكم بلا حدود .
وغنى عن البيان ان المشكلة السكانية المصرية أيا كان تعريفنا لها مازالت قائمة تتحدى ، ورغم كل الجهود المخلصة ، ورغم كل البحوث المضنية ورغم تلال النتائج الاحصائية التفصيلية .

ولقد حاولنا كخطوة على الطريق ان نتناول بالتحليل لعينة من الدراسات الميدانية المتاحة في هذا الصدد .

اختيار العينة :

اختيرت هذه العينة بعد استعراض الدراسات المتعلقة بالمشكلة السكانية والمتوافرة في المصادر التالية :—

١) البيلوجرافية الشارحة للدراسات السكانية لجمهورية مصر العربية حتى عام ١٩٧٦ ، الصادرة عن مكتب البحوث بجهاز تنظيم الاسرة والسكان اشراف الدكتورة سارة فهيم لوزا .
٢) " دراسات سكانية " الدورية الصادرة من مكتب البحوث بجهاز تنظيم الاسرة والسكان .

٣) " المجلة الاجتماعية القومية " ، الدورية الصادرة عن المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائيـة.

٤) الرسائل الجامعية المجازة فى المركز الديموجرافى ،والجامعـة الامريكية بالقاهرة ، وجامعات القاهرة وعين شمس والازهر.

وقد روعى فى اختيار الدراسات التى شملتها عينة التحليل المعايير التاليـة : ـ

أ ـ أن تكون الدراسة " ميدانية " ، وتعنى بذلك استبعـاد تلك الدراسات التى لاتستند الا الى مجرد الاجتهادات ، والتأملات النظرية لاصحابها .

ب ـ ان تكون الدراسة " سلوكية " ،وتعنى بذلك استبعاد تلـك الدراسات القائمة على مجرد تحليل البيانات الديموجرافيـة او الاقتصادية ما لم تكن تلك البيانات مستقاه مباشرة مـن اجابات المبحوثين على أسئلة الباحثين .

جـ ـ أن تكون الدراسة " فلاحية " ، مستبعدين بذلك تلـك الدراسات التى تناولت ابناء الحضـر .

<u>وصف العينـــة :</u>

تتكون العينة المختارة من الدراسات التالية مرتبة حسب تواريـخ نشرهـا :

* محمد عبد الخالق ذكرى ومرزوق عبد الرحيم* ، " الاتجاه نحـو تنظيم .. الاسرة فى قرية مصرية ، " <u>الحلقة الثانية للدراسات والبحوث الاحصائية</u> القاهرة ١٩٦٦.

* لويس كامل وصلاح الدين نائق ، <u>اتجاهات القرويين والعمال نحـو تنظيم الاسرة</u> ، مركز التنمية المجتمع فى العالم العربى ، سـرس الليان ، ١٩٦٨.

* هيفاء الشنوانى ، " العوامل المساعدة على ارتفاع الخصوبة فـــى جمهورية مصر العربية ،فى : خبرات فى مجال تنظيم الاسرة نظرية وتطبيقية، الجمعية العامة لتنظيم الاسرة، القاهرة ، ١٩٦٨ .

* مرزوق عبد الرحيم عارف ، " اتجاهات الاسرةالريفية نحو تنظيــم الاسرة ،الاسرة والطفولة، يونيو ١٩٧٠ .

* نازك نصير الفيشاوى ، " تنظيم الاسرة فى القرية المصرية جزيـــرة مسعدة " رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الامريكية بالقاهــــرة، ١٩٧٠ ، بحث غير منشور .

* محمود عـودة ،أساليب الاتصال والتغير الاجتماعى : دراســة ميدانية فى قرية مصرية ، دار المعارف ١٩٧١ .

* على السيد ابراهيم عجوة ، " دور الاعلام فى تنظيم الاسرة بالريف المصرى ، رسالة دكتوراه مقدمة الى قسم الصحافة بآداب القاهـرة ١٩٧٤ بحث غير منشـور .

* نادية شكرى يعقوب ، تنظيم الاسرة فى المجتمع المصرى : دراسة ميدانية مقارنة للمجتمع الحضرى (القاهرة) والمجتمع الريفـــى (ثلاث قرى من محافظة الجيزة) رسالة دكتوراه مقدمة الى قســم الاجتماع بآداب عين شمس ١٩٧٤ ، بحث غير منشور .

* وحدة بحوث الاتصال بجهاز تنظيم الاسرة والسكان ، نتائج بحـث تنظيم الاسرة كما يراه المجتمع الريفى ، دراسات سكانية، يونيو ٧٥ .

* السيد محمد الحسينى ، " الطبقة الاجتماعية والسلوك الانجابـــى" دراسات سكانية ، يونيو ١٩٧٦ .

* سلوى محمد عبد الباقى ، دراسة تجريبية عن الاتجاهات العامـة للقرويين نحو تنظيم الاسرة وامكانية تغييرها " ،رسالة ماجستيـر مقدمة الى كلية البنات الاسلامية بجامعة الازهر ، ١٩٧٦ ، بحث غير منشـــور .

* سعد جاد الله ، هل يوجد أمل ؟ الخصوبة وتنظيم الاسـرة فى مجتمع ريفى مصرى ، الجامعة الامريكية بالقاهرة ، ١٩٧٨ (عرض وتعليق بيستس ستيفنز ، دراسات سكانية ، يوليو /سبتمبر١٩٧٨).

* بثينه محمود الديب ، الخصوبة والوفيات فى مجتمع ريفى مصـرى : دراسة لحالة قرية بشلا بمحافظة الدقهلية ، رسالة ماجستير مقدمة للمركز الديموجرافى بالقاهرة ، ١٩٨٠ ،بحث غير منشور.

* المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، العوامل الاقتصادية الموثرة على السلوك الانجابى للزوجين ، القاهرة ، ١٩٨٠.

وينبغى ان نكرر موكدين أن تلك الدراسات ليست سوى بعض من كثير ، ولكنها عينة ممثلة لذلك الكثير . فهى كما أشرنا تمتد زمنيا لخمسة عشرعاما كما انها شملت حوالى ثلاثين قرية مصرية تنتشر فى ١٣ محافظة : الشرقية ، والجيزة ،وبنى سويف ، والفيوم ،والبحيرة، والدقهلية ، والمنيا، وأسيوط ، والقليوبية ، والغربية ، وكفر الشيخ وقنا ، والاسكندرية .

أسلوب التحليل :

اتبعنا فى تحليلنا لنتائج عينة الدراسات المختارة أسلوب اعادة التركيب باعتباره الاسلوب الامثل فى هذا الصدد . ولقد توصلنا الى صياغة هذا الاسلوب منذ سنوات واستخدمناه بالفعل فى دراستنا للشخصية الاسرائيلية ، وأشرنا فى هذه الدراسة الى أن أسلوب أعادة التركيب يصلح للاستخدام فى عديد من مجالات علم النفس الاجتماعى ،ونستطيع الان ان نطرح هذا الاسلوب على المشتغلين فى مجالات علم النفس الاجتماعى باعتباره ـ فيما نرى ـ الاسلوب الذى يمكن ان يجمع بين الدقة

والكمية والثراء التفسيرى مع الالتزام بالشروط الاساسية للمنهج العلمى (*)

ولقد قمنا وفقا لما تقتضيه خطوات هذا الاسلوب بتحليل نتائج كل دراسة من الدراسات المختارة الى عناصرها الرئيسية ،ثم صنفنا هذه التحليلات الى محاور أساسية ، ثم انتهينا الى مجمل تركيبى وسوف نعرض لما انتهى اليه تحليلنا مصنفين اياه وفقا للمحاور الاربعة التالية :ـ

أ ـ مدى انتشار فكرة تنظيم الاسرة •
ب ـ مدى تقبل هذه الفكرة •
جـ ـ مدى انتشار ممارسة أساليب تنظيم الاسرة•
د ـ العلاقة بين المكانة الاقتصادية الاجتماعية وبين الموقف من المشكلة السكانية •

ولقد استخرجنا هذه المحاور الاربعة من خلال تحليلنا الاولى لنتائج عينة الدراسات المختارة وذلك وفقا لما يقتضيه اسلوب اعادة التركيب •

نتائج التحليل :

أولا : مدى انتشار فكرة تنظيم الاسرة :

تميل النتائج الى تأكيد انتشار فكرة تنظيم الاسرة بين الفلاحين فقد بلغت نسبة من " يدركون وجود مشكلة سكانية فى مصر " ٦٣٫٦٧ % فى دراسة السيد محمد الحسينى على قرى اسيوط (١٩٧٦) واخذت تلك النسبة فى التزايد تدريجيا ، ففى دراسة سلوى محمد عبد الباقى على قرية مطرطارس بالفيوم (١٩٧٦) بلغت نسبة من سمعوا عن تنظيم الاسرة ٧٥٫١% ، ومن يشعرون بالزيادة السكانية ويرون انه سوف يكون لها تأثير سىء على المستوى الاقتصادى العام والخاص ٨٦٫١١ % ويقرر محمود عودة فى دراسته التى اجريت على احدى قرى محافظة الغربية (١٩٧١) أن ٩٠٫٢ % من الفلاحين قد سمعوا عن موضوع تنظيم

الاسرة وفى دراسة نازك الفيشاوى على جزيرة مسعدة ببنى سويف (١٩٧٠) بلغت نسبة من سمعوا بموضوع تنظيم الاسرة ٩٠٫٥ % وتبلغ النسبة أقصاها فى دراسة على السيد ابراهيم عجوة (١٩٧٤) حيث يقرر أن ٩٥٫٨ % من الفلاحين الذين شملتهم الدراسة يدركون النمو المتزايد للسكان ٠

ثانيا : مدى تقبل الفلاحين لفكرة تنظيم الاسرة :

تميل النتائج فى هذا الصدد ايضا الى ترجيح القول بتقبل الفلاحين لفكرة تنظيم الاسرة ، حيث يشير مرزوق عبد الرحيم عارف (١٩٧٠) الى ان ثمة " اجتماعا فى الرأى بالنسبة للاخذ بمبدأ التنظيم وذلك عند توافر الاقراص المانعة للحمل مجانا ٠ ويشير لويس كامل (١٩٦٧) الى أن نسبة المؤيدين لتنظيم النسل تبلغ ٩١ % اما دراسة وحدة بحوث الاتصال (١٩٧٥) فتشير الى أن ٩٠ % من الفلاحات يحبذن الخلف القليل " وتبلغ هذه النسبة فى بحث نازك الفيشاوى (١٩٧٠) ٤٧٫٩ % أما سلوى عبد الباقى (١٩٧٦ فتزيد الامر تفصيلا حيث تقرر أن ٥٣٫٩١ % يعارضون الانجاب الكثير ، وأن ٤٦٫٦٤ % يوافقون على تنظيم الاسرة ويخلص سعد جاد الله فى بحثه الذى شمل ثلاثا من قرى المنوفيه (١٩٧٨) الى أن ٦٦ % من الزوجات و ٧٠ % من الازواج قد أبدوا موافقة فورية صريحة على ممارسة تحديد النسل ٠ وتشير دراسة كنوب (١٩٨٠) الى أن ٦٣ % من الفلاحين " يعتبرون أن تنظيم النمو السكانى يعد من أهم واخطر الابعاد الاستراتيجية لتحقيق التنمية فى مجتمع ريفى كمجتمعهم"

ثالثا : مدى انتشار ممارسة أساليب تنظيم الاسرة :

تميل غالبية النتائج الى تأكيد ان انتشار الممارسات حتى كما يعبر عنها الفلاحون لفظيا ينخفض كثيرا عن مستوى انتشار التعبير اللفظى عن تقبل الفكرة ٠ وتشير نتائج دراسة وحدة بحوث الاتصال (١٩٧٥) الى أن ٢١ % من الازواج الذين أبدوا موافقتهم على تنظيم الاسرة قرروا أنهم يمارسون أساليب تحديد النسل ، وأن تلك النسبة تنخفض الى ١١ % لدى

الزوجات ويشير سعد جاد الله (١٩٧٨) الى ان نسبة الذين يحددون نسلهم بالفعل وقت اجرائه لدراسته بلغت ٨ر٨% برغم ان خدمات تنظيم الاسرة كانت متوافرة فى هذه القرى منذ ثلاث سنوات • وتشير سلوى عبد الباقى (١٩٧٦) الى أن ٣٤ر١٩% من الافراد الذين شملتهم دراستها يمارسون تنظيم الاسرة • وترتفع تلك النسبة وفقا لنتائج دراسة لويس كامل ١٩٦٧ لتصل الى ٢٩% وتصل فى دراسة محمود عودة (١٩٧١) الى ٣٧ر٣١% أما الدراسات التى تجاوز منها معدل الممارسات نصف عدد العينة فتنحصر فى دراستين : ففى دراسة نادية شكرى (١٩٧٤) بلغت نسبة الممارسات ٩ر٥٧% وان كانت الباحثة قد أشارت فى عرضها لتفصيلات هذه النسبة الى أن اعداد الممارسات تتزايد مع ارتفاع فئات العمر مما يتفق مع ما انتهت اليه دراسة المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية (١٩٨٠) والتى شملت قرى من دمياط وقنا حيث بلغت بنسبة الممارسات فى دمياط ٢ر٥٥% وفى قنا ٤ر٢٢% ونستطيع تفسير ارتفاع نسبة الممارسات اذا عرفنا ان اللاتى شملتهن العينة كان قد مضى على زواجهن عشر سنوات على الاقل وان ١٦ من عينة دمياط كن قد تجاوزن بالفعل مرحلة الانجاب •

رابعا : العلاقة بين المكانة الاقتصادية والاجتماعية والموقف من تنظيم الاسرة :

تضاربت نتائج الدراسات فى هذا الصدد تضاربا شديدا يرجع فى جانب منه الى ما يثيره مصطلح المكانة الاقتصادية الاجتماعية من مشكلات منهجية وعملية وان كانت تلك المشكلات لا تكفى وحدها لتفسير ذلك التضارب الشديد •

يخلص سيد الحسينى (١٩٧٦) من دراسته الى أن ادراك وجود مشكلة سكانية فى مصر يرتبط ارتباطا ايجابيا بارتفاع المكانة الاقتصادية اذا اتضح له أن ٨٥% من كبار الملاك الزراعيين يتوافر لديهم هذا الادراك فى مقابل ٢٤ر٧٦% من متوسطى الملاك ، و ١٥ر٤٦% من

صغار الملاك ، و ٤١ر٥٢٪ من العمال الزراعيين ، ويتفق ذلك مع جوهر ما انتهت اليه سلوى عبد الباقي (١٩٧٦) برغم انها لم تتناول التوزيع المهني او مصادر الدخل الا انها خلصت الى أن من يضيئون منازلهم بالكهرباء كانو اكثر افرادا وعيا واحساسا بالمشكلة السكانية . وتخلص نادية شكري يعقوب (١٩٧٤) في بحثها الى انه كلما ارتفعت المكانة الاقتصادية الاجتماعية ازداد الاقبال على ممارسة تنظيم الاسرة ، وقد تحددت المكانة الاقتصادية الاجتماعية في هذا البحث وفقا للعديد من المؤشرات كاشتغال الزوجة بمهن علمية ، والاقامة فى مسكن مستقل ، وتوافر حجرة نوم مستقلة للزوجين ، ودورة مياه مستقلة بالسكن ، والاضاءة بالكهرباء ، واستخدام الادوات الكهربائية المنزلية ، وارتفاع المستوى التعليمي للزوجين . وتتفق هذه النتيجة عامة مع ما انتهى اليه محمود عودة (١٩٧١) رغم اعتماده على الملكية والعمل المأجور كمحكات للمكانة الاقتصادية الاجتماعية.

واذا كان الامر كذلك فيما يتصل بالوعى بوجود المشكلة السكانية والاقبال على ممارسة وسائل تنظيم الاسرة ، فان محمد عبد الخالق ذكرى ومرزوق عبد الرحيم (١٩٦٦) قد انتهيا فى بحثهما الذى أجرياه فى قرية سندبيون بالقليوبية الى أن مستوى الخصوبة يرتبط ارتباطا سلبيا بارتفاع المكانة الاقتصادية الاجتماعية حيث يبلغ ذلك المستوى ٨٩ر٣ فى فئة العمال الزراعيين ثم يتدرج صعودا فيبلغ ٦٧ر٤٪ لدى الموظفين ٧٢ر٤ لدى العمال غير الزراعيين ، ويتفق ذلك مع ماأشارت اليه هيفاء الشنواني (١٩٦٨) خلال عرضها لبعض من دراسات اجرتها على منطقتين للاصلاح الزراعى هما شبين الكوم بالمنوفيه وأبيس بالبحيره فى أوائل الستينيات حيث اتضح ان توزيع أراضي الاصلاح الزراعى على المزارعين وما حققه من انتعاش اقتصادى قد أدى الى تشجيع تعدد الزوجات وارتفاع ملموس فى المواليد . أما بثينه محمود الديب (١٩٨٠) فى بحثها الذى اجرته فى قرية بشلا بمحافظة الدقهلية فقد انتهت الى مايخرج تماما عن السياق السابق حيث خلصت الى أن الخصوبة تبلغ اقصاها لدى اللاتى يعشن فى مساكن ذات مستوى اجتماعى واقتصادى

متوسط ، وتقل فى المستويات الاجتماعية الاقتصادية المرتفعة ، ويبلغ ادناها لدى اللاتى يعانين من انخفاض ذلك المستوى السكنى • وان اكثر النساء خصوبة هن اللاتى يزرع ازواجهن مساحة كبيرة من الارض بينما كان اقلهن خصوبة اللاتى لا يزرع ازواجهن سوى مساحة صغيرة من الارض • وتصل نازك الغيشاوى (١٩٧٠) فى بحثها الى نقيض من تلك النتيجة تماما ، اذا انتهت الى أن ذوى الدخل المتوسط هم الاقل انجابا عن ذوى الدخل المرتفع والمنخفض على حد سواء • أما بحث المركز القومى (١٩٨٠) فينتهى الى خطوة أبعد فى الاتجاه المخالف حيث تشير نتائجه الى أنه كلما زاد الدخل قل عدد الابناء •

أما البحث الذى اجرته وحدة بحوث الاتصال (١٩٧٥) فقد خلص الى أن الموافقة على تنظيم الاسرة بل والاقرار بممارسة وسائل هذا التنظيم ترتفع بارتفاع الدخل حيث بلغت نسبة الموافقين على تنظيم الاسرة من بين الازواج الذين يقل الدخل لديهم عن عشرة جنيهات ٨٤٪ بينما بلغت النسبة ٩١٪ بين من يزيد الدخل لديهم عن عشرة جنيهات • كذلك فقد بلغت نسبة الممارسين لوسائل تنظيم الاسرة فى الفئة الاولى ١٦٪ بينما ارتفعت فى الفئة الثانية الى ٣٨٪ اى مايزيد على الضعف •

واستند البحث الى تلك النتائج فى تأييد اتفاق " اغلب الدراسات الميدانية والنظرية على وجود علاقة بين الدخل وتنظيم النسل بحيث ان كل ارتفاع فى الدخل يؤدى الى زيادة فى الاقبال على وسائل تنظيم النسل لرغبة الازواج والزوجات فى التمتع بكل اضافة فى الدخل من أجل رفع مستوى معيشتهم " ثم لا يلبث البحث أن ينتهى الى نتيجة متناقضة تماما فيما يتعلق ببيانات الزوجات حيث ترتفع نسب الموافقة على تنظيم الاسرة مع كل انخفاض فى الدخل ، وتقرر نتائج البحث " أن هذا طبيعى لان الاحساس بالفقر لابد وان تصاحبه رغبة فى عدم زيادة الاعباء المعيشية •

ويصل الامر فى بحث كتوب (١٩٨٠) الى منتهاه فبعد العديد من الحسابات الاحصائية الدقيقة يخلص البحث الى أنه لم يثبت أن هناك علاقة حقيقية بين حجم حيازة الارض ملكا او ايجارا وبين الاهتمام بالمشكلة السكانية كما أنه لم تلحظ مثل هذه العلاقة مع وجود او عدم وجود عمل اخر الى جانب الزراعة يشتغل به الفرد . وفى حقيقة الامر فان المؤشر الاقتصادى الاجتماعى الوحيد الذى ثبت أن له علاقة ذات دلالة بالموضوع كان عدد المواشى التى يملكها الفلاح " وتتساءل الدراسة عما اذا كان ذلك المؤشر يعد سببا أم نتيجة للاهتمام بالمشكلة السكانية . ثم تخلص الدراسة الى تقرير واضح نصه " ... والاغلب الاعم انه ليس ثمة علاقة سببية بين المكانة الاقتصادية الاجتماعية والمسألة السكانية فى الريف المصرى " (كذا) .

المجمل التركيبى العام للنتائج : محاولة للتفسير :

لقد حاولنا حتى الان ان نجمع نتائج عينة الدراسات المختارة فى المحاور الاربعة التى أشرنا اليها . وعلينا بعد ذلك . ووفقا لما يقتضيه اسلوب اعادة التركيب . أن نجمع بين تلك المحاور الاربعة فى اطار تفسيرى منسق لكى يبرز لدينا المجمل التركيبى العام .

" أن الفلاح المصرى النمطى وفقا للنتائج السابقة يقرر لفظيا أنه على علم بزيادة سكان مصر وبالدعوة الى تنظيم الاسرة . وانه مقتنع بضرورة هذا التنظيم . ثم يأخذ اتجاهه الايجابى فى الخفوت عندما يشرع فى الافصاح لفظيا عن ممارسته لوسائل تحديد النسل ثم لاتلبث الصورة ان تتضارب وتتداخل ملامحها لدى محاولة الربط بين ما يقوله ايا كانت طبيعته . وبين العدد الفعلى لابنائه ومكانته الاقتصادية والاجتماعية . "

ولابد لنا قبل الشروع فى محاولة تفسير هذا المجمل أن نلقى بعض الضوء على اهم ملامح السياق العام الذى تم فيه ومن خلاله تجميع بيانات الدراسات التى اعتمد عليها تحليلنا . وتتمثل تلك الملامح فى أمرين .

أولا : **الاعتماد على الاستبيانات المكتوبة :**

لقد اعتمدت هذه الدراسات ـ شأنها فى ذلك شأن الغالبية العظمى من الدراسات المشابهة ـ على " الاستبيان " باعتباره الاسلوب الامثل بل والوحيد فى هذا المجال . حتى ان الهيئة القائمة على البحث المعنون " السكان والتنمية فى مصر : روية الفلاحين والعاملين فى مجال التنمية الريفية[(١)] .

قد حرصت فى بداية تقريرها على ابراز انها قد نفضت يدها تماما من أية شوائب مضللة تمثلت فى " عدة مناقشات عارضة اجرتها مع اعداد من عامة المشتغلين فى القطاعين الريفي والحضرى " وأنها لم تلبث أن اكتشفت " كيف ان الانطباعات يمكن أن تكون مضللة...... " واعتمدت هيئة البحث على الاستبيان الموضوعي " والمعالجات الاحصائية الدقيقة لتنتهى الى النتائج التى سبق أن أشرنا اليها فيما سبق أما النتائج " الانطباعية " التى توصلت اليها هيئة البحث فى البداية وتخلصت منها فورا مسجلة اياها من قبيل التحذير فحسب فقد كانت تشير الى " أن غالبية المصريين لا يعتقدون أن بلادهم تواجه مشكلة سكانية ، أو على الاصح فان ... التضخم السكانى لا يمثل مشكلة فى الوقت الراهن ولا حتى فى المستقبل القريب . وأن أحدا فى بلادنا لا يموت من الجوع ... وأن كل ما نحتاج اليه هو التعليم واعادة توزيع القوى العاملة الزائدة عن الحاجة فى بعض المواقع ..

لقد بدأت هيئة هذا البحث بالمقابلات التلقائية المفتوحة ولم تلبث ان طرحتها جانبا لتتبنى اسلوب الاستبيان المقنن فاذا بهما تنتهى الى نتائج جديدة تماما ترى فيها غاية الموضوعية والصدق . ولقد اتيح لى شخصيا ان أعايش خبرة مماثلة وان كنت قد بدأت فيها

---

(1) Knop, E.C. et. al "Population and development in Egypt: Farmers and rural development officials perspectives population studies, 54, . July- sept. 1980.

بالاستبيان المقنن لاتنهى الى المقابلة التلقائية التى رأيت فى نتائجها القدر الاكبر من الصدق والموضوعية وتتلخص تلك الخبرة الشخصية باختصار فى أننى قد كنت ضمن فريق اجرى بحثا ميدانيا للتعرف على اتجاهات الفلاحين نحو تنظيم الاسرة فى بعض قرى البحيرة عام ١٩٥٨ وتحت أشراف الاستاذ الدكتور السيد محمد خيرى (٢) وكانت خطة البحث تقوم على تطبيق استبيان يضم عددا من الاسئلة ، على عينة ممثلة للفلاحين ، وبعد بذل الجهود المضنية المعهودة لتعيين فقرات الاستبيان وترتيبها ، والاطمئنان الى صدقه وثباته ، وتدريب الباحثين على استخدامه ، بعد هذا كله بدأنا التطبيق ، وكنا نقيم فى ضيافة المحافظة ، وكان علينا أن نجتمع كل مساء لاجراء المراجعات المكتبية المطلوبة للاستمارات التى تطبيقها ، ولاحظت فى الايام الثلاثة الاولى أن حصيلة البيانات التى تتجمع لدينا توحى بصورة بالغة الاشراق للفلاح المصرى ، صورة تتناقض تماما مع انطباعاتنا الشخصية ، عن السلوك الفعلى لذلك الفلاح كما نعرفه ، أن فلاح الاستبيان مومن أشد الايمان بتنظيم الاسرة ، مساند أشد المساندة لجهود الحكومة فى هذا المجال داعيا لها بالتوفيق والسداد ، لا فرق لديه بين أن تنكشف زوجته فى حال مرضها على طبيب أو طبيبة فالكل طيبون ، لافرق لديه بين خلفة الذكور وخلفة الاناث ، ولا يرى فى كثرة الذرية سوى الفقر والعوزة ... الى آخره وقبلت الامر على علاته ، فالاستبيان موضوعى مضبوط ، وأمامى اجابات الفلاحين على أسئلة اسمعها وأسجلها ، الى أن اتيح لى ذات ليلة أن اتجول بمفردى فى احدى قرى البحث دون حقيبة الاوراق التقليدية ، ودون [illegible]ارة المحافظة وكوكبة الموظفين ، وساقتنى قدماى الى منزل احد الفلاحين الذين قمت باستجوابهم صباح نفس اليوم ، كان يجلس أمام منزله ، وقبلت دعوته لشرب الشاى وجلسنا نتحدث فى امور الدنيا وكان الحديث سجالا يسألنى كما أسأله واجيبه كما يجيبنى ، ومضى الحديث لاكتشف قرب نهاية الجلسة اننى امام فلاح آخر يختلف تماما عن فلاح الاستبيان

---

(١) يبدو ان وثائق هذا البحث قد استقرت فى مكان ما من ملفات محافظة البحيرة .

الذى قابلته منذ ساعات : يرى فى تنظيم الاسرة الكفر بعينه ويرتاب اشد الريبة فيما تستهدفه الجهود الحكومية فى هذا الصدد • ويفضل دون تردد ان تقوم طبيبة بعلاج زوجته اذا ما امكن ذلك • ويسوق الكثير من خبراته الشخصية وخبرات من يعرفهم شخصيا لتأكيد ان كثرة الذرية تعنى الرزق الوفير وان قلتها نذير بالفقر ••• الى آخره ولم اجد حرجا فى نهاية المقابلة وبعد ان ذابت بيننا الثلوج ان أسأله تفسيرا لموقف المتناقض • واذا به يتمتم مرددا ما معناه " لم أكن اعرفك •• المجاملة واجبة وانتم ضيوفنا قد متم الينا من القاهرة متحملين المشاق فى سبيل تنظيم الاسرة فلم أشأ ان أردكم مكسورى الخاطر " •

ثانيا : الاعتماد على العينات الكبيرة :

وهى تعد سمة عامة للدراسات فى هذا المجال حيث يندر أن تقل عينة أى دراسة عن خمسين فردا • وذلك التزاما بالمنطلقات المنهجية الاساسية التقليدية للقياس النفسى والاجتماعى [1] والتى تنظر الى التعميم باعتباره المدخل الرئيسى لفهم الظاهرة الانسانية • وتنظر فى نفس الوقت الى " الاقتصاد فى الجهد " باعتباره محكا اساسيا من محكات المفاضلة بين أدوات القياس • وعلى ذلك فان الاعتماد على العينات الكبيرة فى ضوء الحرص على الاقتصاد فى الجهد يؤدى بالضرورة الى اختزال فترة معايشة الباحث للفلاح • بل انه يؤدى عمليا فى كثير من الاحيان الى الفصل بين دور " الباحث " الذى يضع خطة الدراسة ويتولى صياغة أهدافها واعداد أدواتها ثم تفسير نتائجها • وبين دور " جامع البيانات " الذى يسمى من قبيل المغالطة الشائعة الباحث الميدانى • والذى يقتصر دوره على تطبيق استمارة البحث المقننة فحسب • وتصعيد النتائج الى هيئة البحث لتفسيرها • ومن ثم فان التفاعل الحقيقى بين الدراسة ككل وبين موضوعها أى الفلاح • يقتصر فى الواقع على

---

(١) انظر فى هذا الصدد :

ـ قدرى حفنى • القياس النفسى • القاهرة • ١٩٨٠.

ـ قدرى حفنى • حوال التاريخ الاجتماعى لعلم النفس • القاهرة ١٩٨٠ •

تلك اللقاءات المقننة " التى تجرى بين جامعى البيانات وبين الفلاحين .

بعبارة أخرى فان سيادة الفكر الامبيريقى فى مجال العلوم الانسانية وما يحمله ذلك الفكر من تجزئية وحيادية كاذبة قد أدت عمليا الى تزايد احتمال تعرض الباحث خلال تصميمه للاستبيان وانبهاره بنموذج تلك الحيادية الى الانزلاق الى خلق هوة تفصل بينه وبين مايصممه وبالاضافة الى الهوة التى أشرنا اليها والتى تفصل بين الباحث وجامع البيانات ، فانه ـ اى الباحث ـ يحرص عادة خلال عملية اعداد جامعى البيانات على تدريبهم على خلق هوة بينهم وبين المفحوصين التزاما بنصوص أسئلة الاستبيان والا انعدمت الحيادية واختلت موازين الموضوعية المنشودة (١) .

كانت تلك هى أهم ملامح السياق الذى احاط بعملية جمع البيانات التى استندت اليها دراسات هذا المجال . ولعل استعراضنا لها ييسر عملية التفسير التى نحن بصددها للمجمل التركيبى الذى انتهينا اليه .

اننا نستطيع ان ننظر الى المحاور الاربعة التى استندنا اليها فى تحليلنا باعتبارها تمثل تدرجا يصح ان نطلق عليه متصل القول ـ الفعل " اذ يبدأ بالتقرير الذاتى المطلق (اعرف ـ لا أعرف) ثم ينتقل الى التعبير اللفظى عن الاتجاه (أوافق ـ لا أوافق) ثم ينتقل الى التعبير اللفظى عن الالتزام السلوكى (أمارس ـ لا أمارس) ثم نصل اخيرا الى الموشرات العملية التى تخرج تماما عن دائرة التعبير اللفظى (المستوى الاقتصادى والاجتماعى ، عدد الابناء الفعلى .. الى اخره) .

(*) لا يعنى ذلك بحال اغفالنا لما تتناوله الكتابات المتخصصة فى منهجية اعداد الاستبيانات وغيرها من أدوات القياس النفسى تحت عنوان ضرورة توفير علاقة بين الفاحص والمفحوص( ) تمثل هذه العلاقة تتحول فى الغالبية العظمى من الاستبيانات وحرصا على التقنين الدقيق لعملية التطبيق الى عبارة محددة لا تتضمن اكثر من التعريف العام بأهداف البحث ، وعلى جامع البيانات أن يلتزم بها حرفيا .

ونستطيع كذلك أن ننظر الى موقف الفلاحين من المشكلة السكانية وتنظيم الاسرة كما يتضح من استجاباتهم التى تضمنتها نتائج الدراسات باعتباره يمثل تدريجا يصح أن نطلق عليه " متصل السلبية ـ الايجابية " والعلاقة بين المتصلين تمضى على الوجه التالى :

كلما اقتربنا من "القول " على المتصل الاول ، ارتفعت " الايجابية " على المتصل الثانى ، والعكس صحيح كلما اقتربنا من الفعل ، " على المتصل الاول ، ارتفعت " السلبية " على المتصل الثانى .

ولعله مما يستوقف النظر أن الغالبية العظمى من الباحثين يكتفون بمجرد التسجيل الرقمى الامين لهذه الظاهرة دون الاهتمام كثيرا بتفسيرها ، والاستثناءات من هذا النمط محدودة . ونستطيع أن نشير فى هذا الصدد الى استثنائين نموذجيين ، لقد حاول لويس كامل مليكه أن يتصدى بالتفسير لهذه الظاهرة، فبعد أن استعرض ارتفاع نسب الموافقين على تنظيم الاسرة فى بحثه الذى شملته عينتنا عقب قائلا " الا ان الشواهد عديدة على أن ذلك لا يعنى أن أفراد البحث يمارسون فعلا تنظيم النسل بما يقرب من هذه النسب ... وتثير هذه النتيجة اكثر من سؤال . ففى المجموعات العمالية التى تقيم فى الريف ، يوجد تخلف فى الفعل عن الفكر ، وهى ظاهرة جديرة بالبحث اذ انها كثيرا ما تصدق العاملين فى تنمية المجتمع فتخدعهم الظواهر والاستجابات اللفظية، وقد يحدث ان يخطط العاملون لمشروعهم على أساس هذه الاستجابات ثم يجدون أن توقعاتهم أو تقديراتهم لا تصيب أهدافها المرسومة . ولكن ذلك لا يقلل من قيمة الاستجابات اللفظية ، اذ أنه بدون المقارنة ، بينها وبين السلوك الفعلى ، يتعذر أن نكشف هذا التناقض . ومن الناحية الاخرى ، قد يمثل هذا التناقض

(١) لويس كامل مليكه ، " ديناميات الاتجاه نحو تنظيم الاسرة " ، فى قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية (المجلد الثانى) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ص ٢٠٢ .

جوهر المشكلة ، اذ قد يعبر عن مرحلة من مراحل ترجمة الفكرة الى خطة عمل • وقد يلقى اضواء كاشفة يتبين منها العامل فى الميدان طريقه الى دعم العوامل المرجحة للفعل "•

واذا كان لويس كامل مليكه قد أبرز أهمية المشكلة وضرورة دراستها واكتفى بتلميح سريع الى تفسيرها باعتبارها مرحلة طبيعية فان هيفاء الشنوانى (١) قد تصدت لها بالتفسير المباشر بقولها " اتضح من نتائج بعض الدراسات الميدانية الحديثة التى اجريت فى الجمهورية العربية المتحدة عقب بدء البرنامج القومى لتنظيم الاسرة عام ١٩٦٥ ، أن درجة استجابة بعض قطاعات السكان لتقبل فكرة تنظيم الاسرة عالية ، حتى فى قطاع الريف حيث لم نكن نتوقع قبولا للفكرة • ويتعارض هذا التعبير الشفهى بالايجاب ••• مع التقدم البطىء فى نسبة الممارسين عموما ••• اى أن هناك تناقضا ظاهريا بين الاستجابة الشفهية للمشروع والعدد الفعلى للممارسين لتنظيم النسل فى الدولة • لماذا ؟ • التفسير العلمى المبنى على قواعد وتطبيق علم الاتصال الجماهيرى الحديث يدل على أن هذا التناقض بين القول والسلوك نابع من عدم معرفتنا بالمراحل المختلفة التى يمر بها الانسان بين تقبل الفكر والممارسة الفعلية لها • وأن فجوة زمنية تفصلها قد تطول او تقصر • وعبور هذه الفجوة يحتاج الى الالتجاء الى أساليب التغيير الموجه ، التى تؤدى بالانسان الى تغيير سلوكه رغم استمرار ضغوط الظروف البيئية التى تشجع كثرة الانجاب • مثل الاعتماد الرئيسى على الزراعة ، وتشجيع عمالة الاولاد ، وارتفاع الامية ، وانخفاض نسبة عمالة المرأة وما يترتب عليه من عدم حمايتها اقتصاديا ، وارتفاع وفيات الاطفال ••• الى اخره •

---

(١) هيفاء الشنوانى ، الاتصال الجماهيرى بين النظريات العلمية والتطبيق فى مجال تنظيم الاسرة ، التوعية والاعلام فى مجال تنظيم الاسرة : كلمات وابحاث مؤتمر تنظيم الاسرة فى مجال التوعية والاعلام ٢٨ ـ ٣٠ أبريل ١٩٧٠ الجمعية العامة لتنظيم الاسرة ص (٢٥) •

وخلاصة القول اذن وفقا لهذين التفسيرين ، أن المشكلة التي نحن بصددها لا تعدو أن تكون تعبيرا عن ظاهرة أشارت اليها مختلف المراجع التقليدية في علم النفس الاجتماعي وهي تتناول طبيعة العلاقة بين " السلوك " والاتجاه " أو بين " التعبير اللفظي " والممارسة الفعلية " الى آخر تلك التسميات ، وانها مجرد مرحلة طبيعية لابد وأن يمر بها الانسان لينتقل من تقبل الفكرة الى الممارسة الفعلية لها ، وأن طرح هذا الامر " الطبيعي " كما لو كان " تناقضا أو مشكلة انما يرجع الى نقص في معرفتنا بقواعد وتطبيقات علم الاتصال الجماهيري الحديث ومن ثم فان علينا الالتجاء الى الاساليب العلمية التي تساعد الفرد على تغيير سلوكه بحيث يتفق مع تعبيره اللفظي رغم استمرار ضغوط الظروف البيئية التي تدعم سلوكه القديم .

ونحن نختلف مع هذا التفسير جملة وتفصيلا سواء من حيث المنطلقات النظرية أو من حيث المترتبات التطبيقية ، فتعارض القول مع الفعل لا يمثل فيما نرى خاصية انسانية ترجع الى طبيعة الانسان بما هو انسان ، بل على العكس فالطبيعي أن يتسق فعل الفرد مع قوله باعتبار ان القول والفعل على حد سواء تعبير عن وعي الفرد بواقعه الاجتماعي ومن ثم فان الفجوة بين القول والفعل انما تعبر عن وجود ضغوط اجتماعية تحول دون الفرد والتعبير اللفظي عن وعيه الخاص بواقعه او تحول دونه ودون السلوك وفقا لهذا الوعي ، وانه بمجرد زوال تلك الضغوط الاجتماعية يعود الفرد الى الاتساق الطبيعي بين الوعي والقول والفعل ، وبعبارة اخرى فان " التعبير اللفظي " لا ينبغي أن يؤخذ على علاته دون نظر الى ديناميات الموقف الاجتماعي الفعلي الذي يصدر فيه ، بل على العكس ينبغي أن نتناول " التعبيرات اللفظية " على تعددها باعتبارها تتباين بتباين المواقف الاجتماعية التي تحيط بصدورها ، والتي تحكمها في النهاية طبيعة العلاقة الاجتماعية المتبادلة بين الفرد والاخر ، اي بين القائل " والمستمع " وهي علاقة حتمية على أي حال طالما اننا لا نتصور " قائلا " دون " مستمع " ولا العكس .

وعلى أى حال فان مجرد اعمال النظر فى خبراتنا اليومية كفيل بابراز حقيقة تعدد التعبيرات اللفظية الصادرة عن الفرد الواحد وتباينها وفقا لتباين مواقف التفاعل الاجتماعى ، والامثلة تفوق الحصر وبدلالتها غنية عن البيان ، ولعلنا لسنا فى حاجة الى سوق بعضها ، فبعض الكثير كثير • ويكفينا ان نشير الى خبراتنا فى بحث البحيرتوالتى سبق أن عرضنا لها ليتضح لنا أن أقوال الفلاحين التى ثبت تباعدها عن أفعالهم كانت أقوال " فلاحى الاستبيانات " وأن لهم اقوالا اخرى تتسق تماما مع أفعالهم •

ومن ثم فان علينا على المستوى التطبيقى أن نبدأ باصطناع الاساليب والادوات التى تمكننا من بلوغ هدفين أساسيين : -

أ - الهدف الاول هو التوصل الى تلك التعبيرات اللفظية " الحقيقية " أى تلك التى تتسق بالفعل مع الوعى الاجتماعى للفرد وتعبر عنه فبلوغ هذا الهدف هو المدخل الوحيد لاى محاولة جادة للتعامل مع الوعى الاجتماعى للفرد تعديلا او تأكيدا •

ب - الهدف الثانى هو التوصل الى تلك الضغوط الاجتماعية التى تخل بالاتساق المفترض بين الوعى والقول والفعل ، وتبين ماذا كانت تمارس تأثيرها فى اعاقة الفعل أم فى اعاقة القول • فبلوغ هذا الهدف هو المدخل الوحيد لاى محاولة جادة للتعامل مع الواقع الاجتماعى المحيط بالفرد تعديلا أو تأكيدا •

وقد حاولنا - فى حدود ما سمح به الوقت - الاقدام على محاولة للاقتراب من أنماط الوعى الفلاحى مستهدفين الاستطلاع الاولى لامكانات التخطيط لبلوغ هذين الهدفين •

محاولة للاقتراب من انماط الوعي الفلاحي

مادة المحاولة وحدودها :

تقوم هذه المحاولة بشكل اساسى على ملاحظات استقيناها من ستة زيارات قصيرة لستة قرى موزعة على أربعة محافظات وذلك على الوجه التالى :

محافظة دمياط : قرية المحمدية ، وقرية كفر سعد .
محافظة الشرقية : قرية كفر أيوب ، وقرية القضا ه .
محافظة أسيوط : قرية أولاد الياس .
محافظة الفيوم : قرية دمو .

وقد روعى فى اختيار مواقع تلك الزيارات عدة اعتبارات منها :

١) ان تتيح الفرصة لرصد استجابات الفلاحين لمستويات مختلفة من الالتقاء بالمسئولين القادمين من (المدينة) . فكانت زيارة قرية أولاد الياس ضمن جولة وفد صندوق الانشطة السكانية التابع للامم المتحدة الذى يضم مجموعة من " الاجانب " الى جانب المسئولين القادمين من المدينة فضلا عن المسئولين المحليين . وكانت زيارة قرية دمو ضمن برنامج اجتماعات اللجنة الاستشارية لجهاز تنظيم الاسرة والسكان والتى تضم عددا من المحافظين وكبار المسئولين فى حين اقتصر " الزوار " فى القرى الاربعة الاخرى على المسئولين المحليين بالاضافة الى الباحث .

٢) أن تشمل زيارة لقرية لم يغطها مشروع السكان والتنمية بعد . وهى قرية كفر أيوب التى سوف يمتد اليها نشاط المشروع فى خطته القادمة .

٣) أن تشمل قرية لم تدخلها الكهرباء بعد الى جانب غيرها من القرى المكهربة وقبل ان نبدأ فى سرد ملاحظاتنا يجب أن نشير الى عدة وقائع :

أولا : اننا قد اعتمدنا فى استطلاعاتنا خلال هذه الزيارات على الملاحظة الميدانية ، والمقابلات الشخصية والمناقشات الجماعية محاولين التزام اكبر قدر من المرونة والتلقائية • وكانت عملية التسجيل تتم كاملة بعد انتهاء الزيارة مباشرة •

ثانيا : تمت تلك الزيارات جميعا فى الفترة من ١٧ سبتمبر• ٨ الى ١٩ اكتوبر ١٩٨٠ • وكانت كلها زيارات نهارية لا تستغرق كل منها اكثر من نهار واحد •

ثالثا : كان اهتمامنا الاكبر موجها الى رصد مظاهر التحديث فى القرية وتقصى انماط وعى الفلاحين بها وتفاعلهم معها •

تسجيل النتائج وأسلوب عرضها :

لقد التزمنا خلال تلك الزيارات التى قمنا بها بتسجيل ما نخرج به من كل زيارة عقب انتهائها مباشرة وبشكل تفصيلى قدر المستطاع ومن ثم فقد تجمعت لدينا فى النهاية ستة تقارير منفصلة ، تناولناها وفقا للخطوتين التاليتين :

١ ـ تحليل ما يتضمنه كل تقرير الى مكوناته التفصيلية ، وفقا لتسلسل ورود تلك التفصيلات فى التقرير وقد تحاشينا فى هذه الخطوة أية محاولة لتفسير التفاصيل التى نسجلها •

٢ ـ تجميع المكونات التفصيلية للتقارير الستة دون ترتيب ، ومحاولة تصنيفها الى فئات اكثر شمولا ، وذلك لتحاشى التكرار ولتيسير عملية التفسير •

موجز لنتائج المحاولة :

أولا : موقف الفلاح من الاخرين

لقد كانت زياراتنا الميدانية ـ كما سبق أن أشرنا ـ زيارات قصيرة ، ولذلك فقد كنت دائما فى موقف الافندى الغريب عن القرية •

وفضلا عن تلك الخبرة المباشرة فقد اتيحت لنا فرصة حضور اجتماع للفلاحين مع " خواجات " غرباء وملاحظة ديناميات سلوكهم ومدى اختلافها نسبيا عن نظيرتها فى اجتماعات مماثلة خلت من
بالاضافة الى هاتين الفرصتين فقد أتيح لنا تجميع العديد من أحاديث الفلاحين عن " آخرين " غيرنا من موظفى المدينة والمسئولين ، ونستطيع أن نعرض لملاحظاتنا تلك على الوجه التالى :

١ — خلال الزيارات الميدانية التى شملت عشرات اللقاءات لم أواجه سوى مرة واحدة فقط بمن يوجه الى السؤال التقليدى البسيط والمتوقع " من أنت ؟ " " وماذا تريد ؟ " أو " لماذا أتيت ؟ " .

٢ — حين انعقدت احدى جلسات المجلس الاستشارى فى احدى القرى وبحضور وفد من الاجانب ، بدا على أحد الفلاحين أنه يوشك أن يبدى رأيا ناقدا لاحد أنشطة تنظيم الاسرة فى القرية ، فاذا ببعض زملائه يحاولون اسكاته ولفت نظره الى وجود الضيوف الاجانب ، وانه من غير اللائق أن ننقد بعضنا امامهم .

٣ — حين جرت المناقشات بشكل تلقائى بين اعضاء احد المجالس وقبل الانعقاد " الرسمى " للجلسة حاول بعض الاعضاء الحصول من رئيس المجلس على توقيعه مصحوبا بختم النسر على شهادة تساعدهم على التهرب من قانون يحظر البناء على الارض الزراعية ، وحين أبدى رئيس المجلس تردده ، كانت حجتهم الغاضبة " اذا كان ده مجلسنا بصحيح يبقى لازم يقف معانا مش مع الحكومة حتى لو كنا غلطانين " .

ان هذه الملاحظات رغم قلتها تؤكد من جديد (*) ميل الفلاح المصرى الى التشكك العميق فى الغرباء ، وفى نواياهم حياله ، واتجاهاتهم

(*) انظر : قدرى حفنى " حول التكوين السيكلوجى للفلاح المصرى " دراسات ، أبريل ١٩٧٤ .

نحوه • وتفسير تلك الخاصية النفسية ليس بالامر الصعب • فالتشكك ــ اذا لم يكن مرضا ــ فلابد وأن يكون نتيجة لتراكم خبرات مؤلمة ومحبطة • والفلاح المصرى طيلة ما يزيد عن الخمسة الاف عام وحتى مؤخرا لم ير من الغرباء الا جندى الاحتلال • والصراف والمأمور ومندوب الجهادية ووكيل النيابة ومن اليهم ممن ساموه سوء العذاب وليست تلك "المجاملة الشديدة " التى نلحظها لدى الفلاحين حيالنا الا نوعا من اتقاء شر الغريب ومحاولة لاسترضائه • ولعل معرفتنا المتكررة لخاصيتى التشكك والمجاملة لدى الفلاح المصرى تدفعنا بشكل او بآخر الى استكشاف السبل الفعالة لعبور حواجز الشك هذه • ولعلها تدفعنا ايضا الى مزيد من الحذر فى تناولنا لاقوال الفلاحين فى " الاستبيانات " •

ثانيا : تدين الفلاحين :

طرحت قضية دور الدين فى الريف بشكل واضح خلال أحد اللقاءات التى أتيح لى أن أشهدها مع الفلاحين • وأهم مافى الامر ان طرحها كان من جانب أحد الفلاحين من غير رجال الدين • فبعد أن أبدى ذلك الفلاح تأييده الشديد وحماسه البالغ للجهود المبذولة فى مجال تنظيم الاسرة انتقل الى الحديث عن الجامع له مقام كبير عندهم والبلد فيها جامع أهلى مش تبع وزارة الاوقاف والخطيب بتاعه مش متنور وبيهاجم تنظيم الاسرة • والبلد بتسمع كلامه طبعا • • • " وختم حديثه مقترحا ضرورة السعى لضم الجامع الاهلى الى اشراف وزارة الاوقاف • واستوقفنى استخدامه لضمير الغائب وتأكيده اكثر من مرة أننا نعرف تدين الفلاحين " طبعا " • وتغيرت الصورة حين سأله احد الزملاء (*) مستنكرا

(*) رغم أن هذا الزميل من "الافندية " الا أنه يقيم على مقربة من القرية بحكم عمله فى القطاع الريفى وبحكم التصاقه الفكرى بأصوله الريفية ومن ثم فقد كان ثمة معرفة شخصية متبادلة بينه وبين الفلاح المستحدث مما سمح له بالتدخل بهذه الصورة فى سياق الحديث الذى كان الفلاح يوجهه الىّ باعتبارى الافندى الضيف •

ضاحكا عما اذا كانوا يلتزمون بالحديث الشريف الذى رد ده خطيب الجامع المذكور كثيرا " من غشنا فليس منا " ،وكيف يتفق ذلك مع اقد امهم مثلا على توشيش اقفاص الطماطم (*) وعندئذ ابتسم صاحبنا و تمتم بصوت خفيض " ماتخليك معانا ياسيدنا الافندى " واستمر حوارنا بعد ذلك ليتضح أن الفلاح لم يكن يهدف فى النهاية الا الى محاولة تحقيق مكسب مادى لقريته يتمثل فى ضم الجامع الاهلى بالقرية الى اشراف وزارة الاوقاف وذلك يعنى فى تصوره اهتماما حكوميا بصيانة الجامع وضمان وصول المياه اليه ، وانه حاول استخدام المبررات التى بدت له اكثر اقناعا لنا من وجهة نظره باعتبارها المبررات التى نردد ها بانفسنا فى أحاديثنا عن الفلاحين وتديينهم ، وتركيز دعاة تنظيم الاسرة على دحض الحجج المناهضة للتنظيم وذات الصبغة الدينية ، وابراز تفسيرات دينية مقابلة ، لقد أدى ذلك التركيز فيما نرى الى أن أصبحت صورة الفلاح المتدين بمثابة احدى الخصائص المطلوبة اجتماعيا Demand Characteristics ولقد وصلت رسالتنا الى الفلاح وتمثلها جيدا وتفنن فى استثمارها وتوظيفها وخاصة فى اجاباته الاستبيانية التى تضمها بحوثنا الميدانية .

وفى دراسة سلوى محمد عبد الباقى (١٩٧٦ ، ص ١٦١) أشارت اجابات الفلاحين الى أن ٣٩ر٤٢ ٪ منهم يرون أن الدين يحرم تنظيم الاسرة ، وأكد ٦٦ ٪ منهم أن الدين يدعو الى زيادة النسل . ولقد اعتمدت هذه الدراسة على استبيان يضم ٣٠ بندا لقياس مختلف أوجه الاتجاه نحو تنظيم الاسرة ،واعيد تطبيق الاستبيان بعد أن قامت الباحثة بتنظيم حملة اعلامية دعائية مكثفة تستهدف تغيير اتجاهات الفلاحين ، وتغيرت استجابات الفلاحين فى التطبيق الثانى عنها فى التطبيق الاول وذلك فى بعض البنود دون بعضها . ومن الطريف أن اجابات الفلاحين

(*) التوشيش او التوجيه تعبير يستخدمه الفلاحون من زراع الفواكه والخضروات ويقصد به فرز الثمرات الناضجة ووضعها فى أعلى الاقفاص المعبأة والمليئة بالثمرات الاقل جودة .

لكافة البنود المتعلقة بالمجال الدينى بالذات قد شملها التغير فى الاتجاه الايجابى بطبيعة الحال •

اما محمود عوده (١٩٧١ ، ص٤٣٥) فقد قام فى دراسة بالمقارنة بين مجموعتين قررت احداهما انها أقدمت على تجربة وسيلة من وسائل تنظيم الاسرة ، بينما قررت الاخرى انها تحجم تماما عن مثل تلك التجربة • وقد شملت المقارنة بين المجموعتين مجال " عمق العاطفة الدينية " التى اشار الباحث الى صعوبة قياسها باعتبارها مسألة ذاتية بحته يصعب الاستدلال عليها بمظاهر السلوك الخارجى • الا أنه قد اتخذ من أداء فريضة الصلاة مقياسا اجرائيا بحتا قد يشير الى عمق هذه العاطفة ويمضى الباحث قائلا " وحينما تم عقد مقارنة بين مجموعتين وفقا لهذا القياس كانت النتيجة غير متوقعه تماما ، وحيث انه من الشائع ان تنظيم الاسرة قد لا يتفق فى بعض جوانبه مع الدين ، ولذلك كان المتوقع أن تحقق المجموعة التجريبية درجة أقل من الولاء الدينى اذا ما قورنت بالمجموعة الضابطة الا أن البيانات تشير الى عكس ذلك تماما ، وبفروق جوهرية ، وحيث نلاحظ أن ٨٣ر٩٥ ٪ من المجموعة التجريبية يمارسون الصلاة دائما ، فى مقابل ٣٩ر٧٢٪ من أفراد المجموعة الضابطة والفرق بين النسبتين فرق جوهرى كما أن ١٧ر٤ ٪ من أفراد المجموعة التجريبية يمارسون الصلاة احيانا ، فى مقابل ٩٥ر٢٠٪ والفرق جوهرى ايضا ، بينما ينتمى أولئك الذين لا يؤدون الصلاة جميعا ـ وعدده‍م ستة أشخاص الى المجموعة الضابطة وهم يمثلون ٧١ر٥٪ من أفرادها • ويطرح الباحث حيال هذه النتيجة احتمالين تفسيريين : احتمال الا تكون المواظبة على الصلاة مؤشرا مناسبا للدلالة على عمق العاطفة الدينية واحتمال أن تكون الجهود الاعلامية المختلفة قد نجحت فى ابراز حقيقة " أن الدين فى جوهره لا يقف عائقا امام التخطيط الاقتصادى للاسرة " ويخلص عودة فى النهاية الى أنه "ازاء" ذلك يصعب الحسم برأى معين "

وقد حاول لويس كامل مليكه (١٩٦٨ ، ص ٨٠) أن يتعرف على أفراد البحث فى موقف الدين من تنظيم النسل بشكل غير مباشر باتباع

الاسلوب الاسقاطى اللفظى وذلك بسؤالهم عن تقديرهم لرأى النـــاس عموما فى هذا الصدد . وقد أفاد ٨٥ر٩٥% من الفلاحين عامة (*) ، باعتقادهم ان الناس بعامة يرون أن تنظيم النسل حلال وحين سئلـــوا عن رأيهم الشخصى فى هذا الصدد ارتفعت نسبة من يرونه حلالا الـــى ٧٥ % .

وخلاصة القول ان فلاحنا المصرى وقد استوعب تصورنا له باعتباره الاشد تدينا كما استوعب ايضا تركيزنا الشديد على ابراز عدم تعـــارض الدين مع تنظيم الاسرة اصبح قادرا على مخاطبتنا بلغتنا اذا صـــح التعبير . فبعد ان بذلت سلوى محمد عبد الباقى (١٩٧٦) جهـــدا مضنيا فى تخطيط وتوجيه حملة اعلانية مكثفة الى مجموعة من الفلاحيـــن استدعت فيها المحاضرين ، وعرضت الافلام واستخدمـــت الفيديـــو أى انها أبدت اهتماما بالغا بالفلاحين ، كانت مكافأتها أن عبر هؤلاء الفلاحون عن تغير تصوراتهم لموقف الدين من تنظيم الاسرة وهو الامـــر الذى اعلنت لهم الباحثة انها تسعى الى تحقيقه منذ البداية . وكذلـــك الحال بالنسبة لمجهود عودة (١٩٧١) ، فالفلاحون الذين صرحـــوا باقدامهم على تجربة احدى وسائل منع الحمل حاولوا التأكيد على ابـــراز تدينهم " رغم ذلك " دفعا لشبهة الاقدام على مواطن الشبهات ، أما الذين أكدوا انهم لم يقدموا من قبل على تلك التجربة فلم يكونوا فى حاجة الى مثل ذلك التأكيد والامر كذلك فيما يتعلق بما انتهى اليه لويس كامل مليكه (١٩٦٨) .

ثالثا : <u>الفلاح وكهربة الريـــف</u> :

لقد ارتبطت الكهرباء وبحق بكافة مظاهر التحديث فى عالـــم اليوم ، وأصبح مألوفا ان نتحدث عن عصرنا باعتباره عصر الكهرباء الـــذى خلف عصر البخار واننا نوشك ان ندخل عصر الذرة والالكترونيات . ومـــن

---

(١) وردت النسب فى البحث المشار اليه بشكل تفصيلى وفقا للجنـــس والموقع وقمنا بتجميعها وصولا الى النسبة العامة .

ثم فان كهربة الريف قد ارتبطت فى أذهاننا بالامال المعقودة على تحديث القرية المصرية •

وفى أولى زياراتنا الميدانية طرحت قضية الكهرباء نفسها على موضوعنا بالحاح شديد • فبينما يتهيأ احد المسئولين المحليين لمرافقتى الى احدى القرى التى شملتها خطة زياراتنا الميدانية دار نقاش بينه وبين احد مساعديه والتقطت طرفا من الحديث ولم ألبث أن شاركت فيه وتعدلت خطة زياراتنا الميدانية تبعا لتلك المناقشة العابرة بأن أضيفت اليها قرية جديدة• لقد كان الحديث حول قرية شكا أهلها مرارا للمسئول المحلى من حرمانهم من الكهرباء• وتخطى مشروع كهربة الريف لقريتهم ظلما وانحيازا •وكيف ان اظلام قريتهم يتحمل مسئولية كبرى فى اخفاق مشروع تنظيم الاسرة لديهم• وبادر الصديق المسئول بأن عرض عليهم تزويدهم مجانا بمولد كهربائى متوسط(٥٠٠ لمبة) لن يكلفهم سوى نقله الى قريتهم وصيانته ووقوده • وكل ذلك لن يتجاوز قروشا قليلة وتطوع كبير اعيان القرية فورا بتحمله لمسئوليات النقل والصيانة والتكلفة وغادر المسئول المحلى القرية محاطا بالدعوات والتشكرات والتصفيق• وظل طيلة اليوم التالى ينتظر أن تبعث اليه القرية بمن يحمل اليها المولد الكهربائى •وطال انتظاره الى ان جاءه من أنباء مؤخرا أن القرية تعتذر عن قبول هديته المجانية• وبدا لى أن الامر يستحق ان نذهب الى أولئك الذين يرفضون الكهرباء التى تقدم اليهم مجانا لكى نتبين ماحدث على الطبيعة ولقد كنت فى حقيقة الامر وحتى يوم الزيارة أميل الى ترجيح أن ثمة خطأ ما قد وقع فى الرسالة التى وصلتنا• وربما كان المقصود أن نعفيهم من مسئولية النقل أو تكاليف الصيانة رغم تفاهتها• وربما كان مصدر الرسالة بعض أصحاب الكلوبات الذين قد يضيرهم دخول الكهرباء• الى آخر تلك الاحتمالات التى تلاشت جميعا خلال الدقائق الاولى من اجتماعنا بالفلاحين فى قريتهم • فالفلاحون الذين ألحوا فى طلب الكهرباء وحملوا الاظلام مسئولية اخفاق مشروع تنظيم الاسرة وهللوا مرحبين بمبادرة المسئول المحلى الخاصة بالمولد الكهربائى• هم نفس الفلاحين الذين قابلناهم يوم الزيارة بأشخاصهم يعلنون امامنا من جديد اعتذارهم عن قبول المولد

الكهربائى وفيما عدا ذلك فانهم يؤكدون كل ماسبق أن اكدوه من حاجاتهم الى الكهرباء . وتحميل الاظلام مسئولية كل شئ الى اخره . ودار حوار طويل معهم سعيت فيه الى تبين طبيعة ما حدث بينهم من الموافقة والترحيب الى الرفض والاعتذار . ونستطيع ان نلخص مجمل ذلك الحوار على الوجه التالى :

١ - اجمع المتحدثون على حاجتهم الملحة الى الكهرباء . وتشوقهم لها .

٢ - حين سألت احد المتصدين للحوار عن العلاقة بين الكهربا ، وتنظيم الاسرة من وجهة نظره أجاب فورا بأن البلد المظلمة لا يأتيها دعاة تنظيم الاسرة كثيرا واذا أتوا لا يطيلون بقائهم بها لانها كئيبة وتصد النفس بعكس القرى المجاورة المكهربة . وان " الفلاحين " (كذا) فى حاجة دائما من يوعيهم ويفهمهم .

٣ - اجمع المتحدثون انهم بعد مغادرة المسئول المحلى لبلدهم فى المرة الماضية اجتمعوا فرحين لمناقشة التفاصيل التنفيذية للمشروع وسرعان ماثار الخلاف حول تحديد المكان الانسب لوضع المولد الكهربائى وتفاقم الخلاف واشتد حين امتدت المناقشات الى تحديد اى المنازل ستمتد اليها الكهرباء . حيث أن طاقة المولد الكهربائى لا تتحمل انارة منازل القرية كلها .

٤ - حين تزايدت حدة المناقشات برز تيار فكرى سرعان ما صادق هوى لدى الجميع : ان ذلك المولد الكهربائى سوف يجلب لنا العداوة والمشاحنة وسوف يوقعنا فى بعضنا . ثم من أدرانا . لعله يشجع المسئولين على مزيد من التباطؤ فى ادراج قريتنا ضمن المشروع العام لكهربة الريف . وانخفض التجمع بالقرار الذى أشرنا اليه .

٥ - لم ترد خلال المناقشات مطلقا فكرة استخدام المولد الكهربائى لانارة بعض المرافق العامة كالوحدة الصحية مثلا . بل كان التصور الوحيد الذى دارت حوله كافة المناقشات هو أن الهدف النهائى للكهربا . هو الاستخدام المنزلى فى الانارة وما أشبه .

٦ ـ حين طرحنا من جانبنا فكرة استخدام المولد الكهربائي لانـــارة بعض المرافق العامة رحبوا بها دون حماس شديد ، وحين سألـــت بعضهم ترى لماذا لم تخطر لكم هذه الفكرة خلال مناقشاتكم؟ بحث طويلا عن الاجابة ثم انطلق قائلا " دى حاجات بتاعة الحكومـــة ولوليها غرض تنورها ده شيء يفرحنا ".

ولعلنا نستطيع أن نتبين في موجز تلك المناقشات الطويلة تأكيـدا لما سبق أن أشرنا اليه من حرص الفلاح في مواقف بعينها على مخاطبتنـا بلغتنا او باللغة التي تثير اهتماما اكثر من سواها . وتأكيدا كذلـــك لتشككه الراسخ في طبيعة نوايا السلطة حياله وحرصه على ابراز الحـــد الفاصل " بينهم " وبيننا " .

ولكـــن أهم مايعنينا ونحن بصدد الحديث عن الفلاح وكهربـــة الريف هو ابراز ما كشفت عنه المناقشة من حقيقة أن الشقة مازالت بعيـــدة بين " الكهربة " والتحديث بمعنى تطوير جوهر أسلوب ممارسة الفلاحيـــن لحياتهم في القرية وهو ما لا يمكن أن يتحقق الا باستثمار الكهرباء استثمارا عاما يسهم في تطوير أساليب الزراعة ويشجع على تصنيع الريف . فوفقـــا لما لاحظناه خلال زياراتنا الميدانية نستطيع أن نجمل أوجه التغيير التـــى ادخلتها الكهرباء على المظاهر السلوكية للفلاح المصرى فيما يلى :

١) لقد اصبح (التليفزيون) بل "الغسالة" وحتى " المروحة " اجهـــزة لا يثير وجودها عجبا بين الفلاحين يقتنيها من يقدر ، ويحـــاول اثناءها من يسعى ، ويتمناها من لا يستطيع . ولنا ان نتوقع والامـــر كذلك تأخذ صورة " الفلاح القانع " في الخفوت ، وأن يـــزداد الاحساس بالحرمان النسبى لدى الفلاحين بصورة متصاعدة .

٢) دخلت حرفة الكهربائي ومحلات الادوات الكهربائية الى بعض القرى ومن الطبيعى ان قدرة القرية على اجتذاب النوعية الجيدة مـــن هؤلاء الحرفيين الجدد قدرة محدودة وخاصة أن المدن اصبحـــت تشكو ندرتهم ومن ثم فان تزايد الاخطار الناجمة عن ذلك يعد أمرا واردا تماما .

٣) أدى انتشار اجهزة التليفزيون الى خفوت الاقبال التقليدى القديم للفلاحين على العروض السينمائية العامة ومن باب أولى على العروض السينمائية التى تتضمنها حملات التوعية .

٤) يرتبط التحديث نظريا بتضاؤل الدور التقليدى للمقهى اما مع دخول الكهرباء الى الريف على الصورة الراهنة ، فقد أدى الى ازدهار ذلك الدور التقليدى للمقهى الريفى . لقد اصبح المقهى اكثر جاذبية وقدرة على استمرار العمل لساعات أطول خاصة مع استمرار الارسال التليفزيونى وبذلك فان المقهى يوشك حاليا أن يحتل مكانة السهراية القديمة التقليدية كمكان للتجمع ، ويعجز فى نفس الوقت عن ممارسة الوجه الايجابى لدور السهراية القديمة كمكان للتواصل الاجتماعى فحيث يوجد التليفزيون ينعدم الحديث أو يكاد .

رابعا : <u>الفلاح والهجرة الموقته الى الخارج</u> :

لقد استقر فى أذهاننا لحين من الوقت فكرة مؤداها أن الفلاح المصرى ملتصق بالارض لا يطيق عنها اغترابا . ولقد حاولنا منذ عدة سنوات (*) أن نتصدى لتلك الفكرة بالنقد ، فكان غاية ما بلغناه من أسانيد يتمثل فى أمرين :

١) نزوح الفلاح المصرى من أرضه الى المدينة طلبا للرزق وسعيا الى التحضر وكيف أن قرى كاملة فى صعيد مصر على وجه الخصوص يكاد يتخصص رجالها جميعا فى أعمال بعينها يمارسونها فى القاهرة كتجارة الاسماك والفواكه وأعمال البناء .

٢) ظاهرة عمال التراحيل باعتبارهم من الفلاحين الذين فرضت عليهم ظروفهم المعيشية عملا يقتضيهم تنقلا وتجوالا دائمين يحول بينهم وبين الالتصاق بالارض .

(*) انظر : قدرى حفنى " حول التكوين السيكلوجى للفلاح المصرى " دراسات " ، أبريل سنة ١٩٧٤ .

كان ذلك منذ سنوات ،وقد اتيح لي بعد ذلك أن التقى مبهورا بفلاحي قرية " الخالصة " وهي قرية عراقية تقع قريبا من بغداد ،أما اهلها ففلاحون مصريون ، قطعوا تلك المسافة الطويلة ليقيموا هناك يزرعون وينتجون ويقدمون خبراتهم لجيرانهم ،وكانت لقاءاتي بهم خبرة ثرية لسنا في مجال عرض تفصيلاتها وما يعنينا هو انه منذ ذلك الحين تكررت لقاءاتي الشخصية بفلاحين مصريين يعملون في مواقع تمتد بامتداد الوطن العربي . وأصبح مألوفا أن أرى الفلاح المصرى في المطارات والطائرات " بلبدته" وجلبابه وطاقيته ، وجواز سفره في يده ، وهو يتلفت حوله باحثا عمن يتطوع فيكتب له الاستمارات المطلوبة. وكنت أتفاءل خيرا بما أرى . فالسفر فضلا عن العمل في الخارج لفترة موقته ،يعد خطوة على سبيل التحديث بمعنى او بآخر . ولكن زياراتي الميدانية الاخيرة تجعلني انظر الى تفاؤلي السابق بقدر كبير من الحذر والحيطة.

وقبل ان اتعرض لابراز بصمات هذه الهجرة على انماط وعى الفلاحين في القرى التي شملتها زياراتنا الميدانية ،أود ان أوكد تسليمي بأن تلك البصمات تختلط وتتداخل مع بصمات انتشار انماط الوعى القاهرية الراهنة وامتدادها الى قرى مصر خاصة مع انتشار وذيوع وسائل الاتصال الجماهيرى كما سبق أن أشرنا.

نستطيع ان نوجز ابرز بصمات الهجرة الفلاحية الموقته الى الخارج على أنماط الوعى السائد بين الفلاحين في قراهم على الوجه التالى :

أ ـ الموقف من الارض والزراعة :

والزراعة التي نعنيها في هذا الصدد يتسع معناها ليشمل الفلاح الاجير والمزارع المالك على حد سواء . فالارض كمصدر للرزق تجمع بينهما رغم اية تناقضات وتشير ملاحظاتنا الى أن المكانة التقليدية للارض الزراعية اخذه في الاهتزاز بدرجة كبيرة : ـ

١) خلال العديد من المناقشات مع المزارعين الملاك حول احلام المستقبل تبين ان حلم توسيع رقعة الملكية الزراعية لم يعد الحلم

المفضل لدى غالبيتهم بل اخلى مكانه لحلم جديد يقوم على المقارنة بين اسعار الارض الزراعية وأراضى البناء . " وماذا يمكن أن يحدث لو تمكنت من بيع أراضى الزراعية او جزء منها كأرض صالحة للبناء ؟ " ولا يفوت بعضهم أن يضيف " أن فلانا الفلاح قد تمكن بعد عودته من الخارج من التحايل على القانون وبناء بيت حديث على قطعة الارض الصغيرة التى يملكها ".

٢) نفس الحلم الجديد السابق قد تكرر بصورة اكثر الحاحا خلال المناقشات المشابهة التى جرت مع أصحاب الملكيات المفتتة الصغيرة " ان اجد عملا فى الخارج ، وأعود لابنى بيتا على قطعة الارض الزراعية التى املكها أو أبنيه بثمنها فى مكان ما .

٣) خلال مناقشة مع مجموعة من الاطفال الفلاحين فى سن الدراسة الاعدادية وان لم يكونوا جميعا من التلاميذ دار الحوار حول آمال المستقبل وطرح السوءال التقليدى " تحب تشتغل ايه لما تكبر ؟ ولم يكن غريبا أن تختفى حرفة الفلاحة من تصورات تلاميذ المدارس وان كان مما يستوقف النظر ان بعضهم فهو قد عبر عن امنيته فى أن يصبح طيارا ليسافر ويرى العالم أما الجدير بالتأمل فهو أن حلم السفر والعمل خارج القرية كان محور احاديث غالبية الاطفال من غير التلاميذ ، وان كان البعض منهم قد عبر عن ذاته يائسا بقوله " احنا جماعة غلابة وطبعا حابقى اجرى زى ابويا .. يعنى حاكون أيه "!.

ب ـ انتشار مظاهر السلوك الاستهلاكي الترفى :

ونستطيع ان نجمل ملاحظاتنا فى هذا الصدد على الوجه التالى :

١) ان تحية الضيف بتقديم المشروب تعد اسلوبا ريفيا بل مصريا نمطيا سائدا وتشير ملاحظاتنا الى أن " الشاى " يتخلى عن صدارته الشهيرة فى هذا الصدد لصالح أنواع المياه الغازية الحديثة

(السفن أب والكوكاكولا) فلم يحدث مرة واحدة أن قدم الـــى الشاى حتى حين كنا فى زيارة احدى الرائدات الريفيات فـــى منزلها • بل لقد اعتذر احد الفلاحين الذين عملوا لفترة فـــى احدى الدول العربية عن شرب " السفن أب " الذى قدم لنـــا كتحية فى احد الاجتماعات هامسا فى أذنى موكدا ان هـــذه الزجاجات تعبئة محلية وانها لا تقارن بالعلب المعبأة فى الخـارج والتى اعتاد عليها • ولا يعبر هذا الموشر ـ فيما نرى ـ عن مجرد توافر هذه الانواع فى القرى فحسب بل ان لـــه مـــن الدلالات الاقتصادية والاجتماعية ما لا ينبغى ان يغيب عن الاذهان •

٢) تشير ملاحظاتنا لما يحتويه دكان " بقال القرية " من سلع الى توافر علب اللحوم المحفوظة • وانواع العصير المختلفة • وعلب الصلصـــة الى آخره وكذلك فان محلات " الخردواتى " قد تحولت الى ما يشبه البوتيكات القاهرة • وفى اكثر من لقاء لنا مع بعض أصحاب تلـــك المحلات تبين أن اكثر اصنافهم رواجا هى الملابس النسائيـــة الداخلية • ومستحضرات التجميل • والروائح • والمعلبات •

٣) صادفنا فى احدى القرى محلا لبيع السند وتشات وفى لقاء جماعـــى مع صاحب المحل وبعض الرواد تبين أنها مهنة رائجة وانهـــا تلقى اقبالا رغم أن السعر ليس منخفضا •

خلاصة القول أن فـلاحنا المهاجر يعود الى قريته وقد التقـط انماطا من السلوك الاستهلاكى التى سرعان ما يجد لممارستها تدعيمـا مع انتشار البث التليفزيون واعلاناته • ونود أن نوكد من جديـــد أن تلك الانماط الاستهلاكية تكاد أن تشكل الانماط السائدة فى الريف المصرى • والنمط السائد كما سبق أن أشرنا لا يعنى بالضرورة تمكـــن الكل من ممارسته • بل ان مكن خطورته يتمثل فى سعى الجميع الـــى بلوغه مع كل ما يعنيه ذلك من مخاطر •

خامسا : دور الحضانة واشتغال المرأة :

قد يبدو للوهلة الاولى أن انتشار دور الحضانة يعد مؤشرا تحديثيا واضحا وانه يرتبط ارتباطا موجبا باتساع نطاق خروج المرأة الى العمل • ويبدو ان ذلك التصور بدوره فى حاجة الى مراجعة فى ضوء ملاحظاتنا الميدانية • فمن خلال لقاء مع مشرفة دار حضانة فى احدى القرى •وبعد الاطلاع على سجلات القيد فيها ، وايضا من خلال مناقشة جماعية مع بعض ابناء القرية على المقهى •وزيارة منزلية لواحد تمن الاسر التى لها ابناء فى الحضانة اتضح بايجاز ان الاسرة الطفل الى الحضانة لكى " يتدرب "على التعليم والنظام والنظافة ، ولايقضى وقته فى " الغيط " وايضا حتى ترتاح الام من شقاوته وتتفرغ لزوجها وطلباته • ولم نلحظ بحال أية رابطة بين اشتغال المرأة والتحاق الطفل بالحضانة بل كان الارتباط الواقعى بين الالتحاق بالحضانة والتمرد على العمل الزراعى والتفرغ لتلبية طلبات الزوج • ولعلنا لا نجاوز الواقع كثيرا اذا ما تخوفنا من أن تتحول دار الحضانة فى القرية الى عامل مشجع على مزيد من الانجاب •

تشخيص وتوصيات

ان اهم ما نخلص اليه من كل ما سبق يتلخص فى أن مشروع السكان والتنمية يعانى نقصا خطيرا فى المعلومات المنظمة والصحيحة والموثقة عن طبيعة انماط الوعى السائدة فى الريف المصرى • وان نجاح المشروع حتى الان ـ رغم معاناته من هذا النقص ـ انما يرجع فيما نرى الى توفيقه فى اختيار كوادره ممن تتوافر لديهم بالفعل المعرفة التلقائية الطبيعية بالفلاحين المصريين فضلا عن حبهم لهؤلاء الفلاحين • ولكن توسع المشروع وحاجته الى المزيد من تلك العناصر النادرة يقتضى التفكير فى سرعة تلافى هذا النقص الذى أشرنا اليه بشكل يكفل تراكم الخبرات وتجميعها ونستطيع صياغة الاهداف العامة لتوصياتنا فى هذا الصدد على الوجه التالى :

١ ــ توفير تصور مكتمل لانماط الوعى الراهنة السائدة لدى الفلاح المصرى وخاصة فى قرى المشروع كبداية •

٢ ــ توفير الوسائل الكفيله بمتابعة ذلك التصور بشكل منظم ورصد ما يمكن أن يطرأ عليه من تغيرات •

٣ ــ توفير القنوات اللازمة لربط تلك المعلومات بعد توافرها باجهزة التخطيط والمشروعات •

وغنى عن البيان أن التوصل الى تصور تفصيلى نهائى لبلوغ هذه الاهداف جميعا امر يحتاج الى تضافر فكر وجهد اكثر من متخصص فرد • ومع ذلك فاننى أطرح للمناقشة اجتهادى فى هذا الصدد على الوجه التالى :

أولا : حصر وتجميع كافة الدراسات الميدانية التى اجريت على الفلاحين المصريين ، وتصنيفها وفقا للقرى التى شملتها ، بحيث يصبح لدينا فى النهاية ملف لكل قرية معينة يتضمن الدراسات التى سبق ان اجريت على أفرادها بهدف اعادة تركيب نتائج تلك الدراسات على مستوى القرية كبداية لمتابعة عمليات رصد انماط الوعى فيها •

ثانيا : تنظيم سلسلة من الدورات التدريبية بهدف رفع مستوى كفاءة التعامل الواقعى مع الفلاح المصرى •وفى نفس الوقت اعداد وصقل الكفاءات اللازمة للمشاركة فى عمليات رصد ومتابعة انماط الوعى فى الريف المصرى •

ثالثا : اجراء تجربة ميدانية تهدف الى مسح موقع فلاحى معين ورصد انماط الوعى السائدة فيه • وذلك لتنميط الاجراءات اللازمة لمثل هذا الانجاز• وكذلك لتدريب مجموعة من الباحثين والاطمئنان الى قدراتهم فى تكرار هذا العمل ومتابعته •

رابعا : دراسة التخطيط الادارى اللازم لضمان سيولة المعلومات وتخزينها ومتابعتها و استدعائها وترشيد استخدامها وما يستلزمه كل ذلك من ربط بين مختلف الادارات المعنية •

المراجـــــــع

١) احمد عبد الفتاح ، " مشروع السكان والتنمية " ، دراسات سكانية أبريل ويونيو ١٩٧٩ .

٢) السيد محمد الحسيني ، " الطبقة الاجتماعية والسلوك الانجابي " دراسات سكانية ، يونيو ١٩٧٦ .

٣) بثينه محمود الديب ، الخصوبة والوفيات في مجتمع ريفي مصري : دراسة لحالة قرية بشلا بمحافظة الدقهلية " ، رسالة ماجستير مقدمة للمركز الديموجرافي بالقاهرة ، ١٩٨٠ ، بحث غير منشور .

٤) سعد جاد الله ، " هل يوجد أمل ؟ الخصوبة وتنظيم الاسرة في مجتمع ريفي مصري " ، (عرض وتعليق بيتسي ستيفز ، دراسات سكانية ، يوليو / سبتمبر ١٩٧٨) .

٥) سلوى محمد عبد الباقي ، " دراسة تجريبية عن الاتجاهات العامة للقرويين نحو تنظيم الاسرة وامكانية تغييرها " ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية البنات الاسلامية بجامعة الازهر ، ١٩٧٦ بحث غير منشور .

٦) علي السيد ابراهيم عجوة ، " دور الاعلام في تنظيم الاسرة بالريف المصري " رسالة دكتوراه مقدمة الى قسم الصحافة بآداب القاهرة ، ١٩٧٤ ، بحث غير منشور .

٧) قدري حفني ، " دراسة في سيكلوجية الفلاح المصري " دراسات أبريل ١٩٧٤ .

٨) ــــــــــ ، دراسة في الشخصية الاسرائيلية : الاشكنازيم مركز بحوث الشرق الاوسط ، ١٩٧٥ .

٩) ــــــــــ ، القياس النفسي ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

١٠) ــــــــــ ، حول التاريخ الاجتماعي لعلم النفس ، القاهرة ١٩٨٠ .

١١) لويس كامل مليكه ، " ديناميات الاتجاه نحو تنظيم الاسرة " ، في قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية ، المجلد الثاني ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ .

١٢) ــــــــ وصلاح الدين ناثق ، " اتجاهات القرويين والعمال نحو تنظيم الاسرة " مركز تنمية المجتمع في العالم العربي ، سرس الليان ، ١٩٦٨ .

١٣) محمد عبد الخالق ذكرى ، ومرزوق عبد الرحيم ، " الاتجاه نحو تنظيم الاسرة في قرية مصرية " ، الحلقة الثانية للدراسات والبحوث الاحصائية ، القاهرة ١٩٦٦ .

١٤) محمود عوده ، أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي : دراسة ميدانية في قرية مصرية ، دار المعارف ، ١٩٧١ .

١٥) مرزوق عبد الرحيم عارف ، " اتجاهات الاسرة الريفية نحو تنظيم الاسرة " ، الاسرة والطفولة ، يونيو ١٩٧٠ .

١٦) المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، العوامل الاقتصادية المؤثرة على السلوك الانجابي للزوجين ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

١٧) نادية شكرى يعقوب ، " تنظيم الاسرة في المجتمع المصري : دراسة ميدانية مقارنة للمجتمع الحضري (القاهرة) والمجتمع الريفي (ثلاث قرى من محافظة الجيزه) ، رسالة دكتوراه مقدمة الى قسم الاجتماع بآداب عين شمس ، ١٩٧٤ ، بحث غير منشور .

١٨) نازك نصير الفيشاوى ، " تنظيم الاسرة في القرية المصرية جزيرة مسعدة " ، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الامريكية بالقاهرة ١٩٧٠ . بحث غير منشور .

١٩) هيفاء الشنواني ، " العوامل المساعدة على ارتفاع الخصوبة في جمهورية مصر العربية ، في : خبرات في مجال تنظيم الاسرة نظرية وتطبيقية ، الجمعية العامة لتنظيم الاسرة ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٢٠) ـــــــــــ ، " الاتصال الجماهيرى بين النظريات العلمية والتطبيق فى مجال تنظيم الاسرة ، فى : التوعية والاعلام فى مجال تنظيم الاسرة : كلمات وابحاث موءتمر تنظيم الاسرة فى مجال التوعية والاعلام ، الجمعية العامة لتنظيم الاسرة ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٢١) وحدة بحوث الاتصال بجهاز تنظيم الاسرة والسكان ، " نتائج بحث تنظيم الاسرة كما يراه المجتمع الريفى " ، دراسات سكانية " يونيو ١٩٧٥ .

22. Knop, E.C. et. al. " Population and development in Egypt: Farmers and rural development officials perspectves", Population Studies, July/Sept. 1980.

٠٤٠٢ المسألة السكانية فى قرية مصرية
دراسة لتجربة اللجان الاستشارية
بمنهج الملاحظة بالمشاركة (*)

(*) يعد هذا البحث جزءا من دراسة اشمل انجزت عام ١٩٨٢ تحت اشراف الدكتور قدرى حفنى ، بعنوان " المنسقون .. من هم ؟ " وكيف يفكرون ؟ وشارك فيها الدكتور احمد خيرى حافظ والدكتور محمد خليل ، والاستاذ محسن العرقان . ومازالت الدراسة بكاملها فى سبيلها للنشر .

المسألة السكانية فى قرية مصرية

دراسة لتجربة اللجان الاستشارية بمنهج الملاحظة بالمشاركة

مقدمة : تحديد الموضوع واختيار المنهج :

يهدف هذا الفصل الى الاجابة على سؤالين مترابطين :

أ ـ " حقيقة " موقف الفلاح المصرى من المسألة السكانية .

ب ـ طبيعة التفاعل بين " الاجهزة " السكانية والفلاحين . .

لقد تبين للمسئولين والمهتمين ان جانبا كبيرا من المشكلة السكانية فى مصر انما يترتبط بالريف ، ولذا كثفت الجهود الموجهة لحل هذه المشكلة فى القرية بما يتناسب مع اهميتها . . ومن بين المشروعات الهامة التى تتناول هذه القضية فى الريف ، مشروع السكان والتنمية التابع لجهاز تنظيم الاسرة والسكان [1] .

قام هذا المشروع على اسس علمية لاخلاف عليها ابتداء من تحديد المشكلة وعواملها وتقييم الخبرات السابقة فى هذا المجال والاستفادة منها ، وتحديد مجال المشروع جغرافيا وبشريا وزمنيا ، والتخطيط للحلول المناسبه فى ضوء ما سبق كله ، وفى حدود الامكانيات المتاحه .

الا اننا نعتقد انه كان من الضرورى بالنسبة لهذا المشروع أن تتوافر له ـ وبشكل مستمر ـ معرفة دقيقة وعلمية بأمرين : الاول ، هو موقف الفلاح من هذه المسألة : المسأله السكانية . . هل هى تمثل مشكلة بالنسبة له ؟ واذا كانت تمثل مشكلة بالنسبة له ، فبأى معنى ؟ وهل معناها كمشكله لدى الفلاح يتفق مع معناها كمشكلة عند المخطط ؟ أم أن لها معنى مختلف ؟ . . أما الامر الثانى فهو ، طبيعة التفاعل بين الاجهزة السكانية والفلاحين . . كيف ينعكس الاتفاق ـ او الاختلاف

---

(١) احمد عبد الفتاح . ، " مشروع السكان والتنمية (ورقة عمل) " دراسات سكانية ، ع ٤٩ ، ابريل / يونيه ١٩٧٩ ص ٥٩ ـ ٧٤ .

بين الفلاح وبين الاجهزة السكانية فيما يتعلق بالموقف من المسألة السكانية ، على العلاقة القائمة بينهما ؟ وكيف تلقى العلاقة التاريخية بين الفلاح والاجهزة الرسمية بظلالها على العمل في مجال المسألة السكانية ؟

ولا نقول ان الجهود لم تبذل لمعرفة الاجابة على هذه التساؤلات بل ان دراسات كثيرة قد سخرت لتناول السؤال الاول تحديدا . وقد اعتمدت الغالبية العظمى من تلك الدراسات على " الاستبيان " كاداه لجمع المادة ..

وغنى عن البيان ان موقف الفلاح من المسألة السكانية يختلف بدرجة أو باخرى عن مايصل الينا على صفحات الاستبيانات[1] .. ويرجع ذلك التباين الى اسباب عدة اهمها فيما نرى :

أ — يذهب باحث الاستبيانات الى القرية بعد تدريب على مختلف الاسئلة الى سيطرحها وتحذيرات بعدم الخروج على النص ، مزود بمختلف أساليب تضيق الخناق[2] على المبحوث .. بعبارة أخرى ، فان خطوات اعداد باحث الاستبيان تجرى كما لوكنا بصدد أعداد لمواجهة المبحوث كخصم مراوغ عليه ان يستنطقه بمهارة جامدة محتميا خلف حاجز الاستبيان ملتزما جانب الحذر دائما في اتباع التعليمات حتى تلك المتعلقة ببناء علاقة مع المفحوص في وقت محدود ومحدود ووفقا لالفاظ متفق عليها مسبقا .

ب — أن الامساك بالورقة والقلم وطرح السؤال وتسجيل الاجابة ، يذكر الفلاح بالمحقق ، ومهما حاول الباحث نفس هذا التصور ، فانه يبقى في خلفية العلاقة ..

---

(١) قدري حفني . " انماط الوعي والسلوك لدى الفلاحين المصريين تجاه تنظيم الاسرة . " دراسات سكانية ، ع ٥٧ أبريل / يونيه ١٩٨١ .

2. Cornering.

جـ ـ ان زيارة باحث الاستبيان للقرية تكون خاطفه ، بحيث يدخل القريه غريبا ويخرج منها غريبا .. ونحن نعلم موقف الفلاح المتشكك في الاغراب .. حتى انه اصبح يتميز بحاسة خاصة يتعرف من خلالها على بغية الباحث ، فيجامله بتقديم الاجابات والردود التي ترضيه وتجعل مقامه في القرية أو في بيت الفلاح قصير بقدر الامكان [1] ..

د ـ واهم ماسبق جميعه ، ان الوجود الخاطف المنشغل لباحث الاستمارة في القرية يجعله عاجزا عن رؤية الوقائع الحقيقية التي تدور من حوله ، وهي ـ من وجهة نظرنا ـ أهم كثيرا من الاجابات على الاسئله .. لا يلتفت الباحث لهذه الوقائع لانشغاله من ناحية ، ولان هذه الوقائع لا تقابلها اسئلة في الاستمارة التي معه .

هـ ـ ان باحث الاستبيان ـ نتيجة لطبيعة الاداء في الاغلب ـ لا يتاح له اعمال فكرة والاجتهاد في التفاعل مع الظاهرة ،فيتحول الى آله او شيء لا روح له ولاعقل .. وهكذا ، فان هذا الاسلوب يسبب اغترابا موقتا للباحثين الذين ينتهجونه ..

و ـ ان هذا الموقف ـ موقف الاستبيان ـ لا يتيح اقامة علاقة انسانية بين الباحث والمبحوث تقوم على التساوي والتناطح والتبادل والمشاركه ـ حيث يبقى من حق الباحث دائما أن يطرح الاسئلة ويكون على الفلاح دائما ان يقدم الاجابة .. اى اجابة .

علينا اذن ان نحاول التعرف على الموقف الحقيقي للفلاح من المسأله السكانية واضعين في الاعتبار حقيقة ان الفلاح المصرى النمطى ..

---

(١) قدري حفني . " حول التكوين السيكولوجي للفلاح المصرى " دراسات ، العدد السابع ، ابريل ١٩٧٤ .

يقرر لفظيا انه على علم بزيادة سكان مصر وبالدعوة الى تنظيم الاسرة وانه مقتنع بضرورة هذا التنظيم . ثم يأخذ اتجاهه الايجابى فى الخفوت عندما يشرع فى الافصاح لفظيا عن ممارسته لوسائل تحديد النسل ثم لاتلبث الصورة ان تتضارب وتتداخل ملامحها لدى محاولة الربط بين مايقوله ايا كانت طبيعته ، وبين العدد الفعلى لابنائه ومكانته الاقتصادية الاجتماعية[١] . ومسلمين على المستوى النظرى بأنه من الطبيعى " ان يتسق فعل الفرد مع قوله باعتبار ان القول والفعل على حد سواء تعبير عن وعى الفرد بواقعه الاجتماعى ومن ثم فان الفجوة بين القول والفعل انما تعبر عن وجود ضغوط اجتماعية تحول دون الفرد والتعبير اللفظى عن وعيه الخاص بواقعه أو تحول دونه ودون السلوك وفقا لهذا الوعى ، وانه بمجرد زوال تلك الضغوط الاجتماعية يعود الفرد الى الاتساق الطبيعى بين الوعى والقول والفعل .. "[٢]

اختيار المنهج :

اعتمدت دراستنا هذه على اسلوبين متكاملين :

١) منهج لجمع البيانات هو " الملاحظة بالمشاركة "[٣] .. وفيه ينتقل الباحث الى حيث الظاهرة موضوع الدراسة ويعيش بين اهلها ملاحظا ومشاركا لفترة زمنيا كافيه .. وفى نهاية كل يوم يقوم الباحث بتسجيل ملاحظاته ومشاهداته المختلفة والمتعلقة بمشكلة الدراسة تسجيلا دقيقا .. وتمثل هذه التسجيلات اليومية فى النهاية مادة الدراسة الميدانية التى تخضع للتحليل[٤] .

---

(١) قدرى حفنى ، مرجع سابق .. ص ١٠
(٢) المرجع السابق .. ص ١٥ .
(3) Participant Observation.
(٤) لمزيد من التعرف بهذا المنهج انظر مايلى :

= احمد أبو زيد ، " الطريقة الانثربولوجيه لدراسة المجتمع " مجلة كلية الاداب - جامعة الاسكندرية ، ١٠ ، ١٩٥٦ ، ص ٥٠ - ٩٩ .

= Babbie R.E. The Practice of Social Research. (2ed ed.) Wadworth Publishing Con., Belmont, California., 1979.

= Spindler G. Beeing An Anthropologist. (eds.) Holt, Rinhart & Winston, N.Y. 1970.

٢) اسلوب لتحليل البيانات هو " اعادة التركيب " .. ونعنى بـه التأليف التركيبى للمعارف المتخصصة المتناثرة عن جماعه بشريه معينه أو تجمع معين .. [١] وقد يرى البعض ان المادة التى يشير اليها التعريف السابق تختلف عن المادة الخاصة بهذه الدراسة ، ونحن نتفق معهم على ذلك ، غير ان هذا لا يغير من الطريقه فى شئ طالما ان المادة المتوفرة لدينا تتوفر فيها الشروط المطلوب توافرها حتى يمكن اتباع اسلوب اعادة التركيب شروط التراكم والتنوع والعدد [٢] ، والتى تتوفر فى مادة بحثنا على النحو التالى :

أ ـ تلقائية الوقائع والاحداث أتاحت التعدد فى وجهات النظر والمنطلقات المرجعية التى وجهت الوقائع والاحداث التى تم رصدها .

ب ـ تنوع مصادر المعلومات من حيث انها لم تقتصر على قرية واحدة ، ومن حيث انها لم تقتصر على تكوين معين أو جماعة معينه داخل كل قرية .. كما تم الاعتماد على اكثر من مصدر للمعلومات داخل القرية الواحدة .

جـ ـ تراكم وتردد الاحداث والوقائع والاسماء الذى يرتبط ارتباطا طرديا مع مدة الاقامة فى موقع الدراسة .

ودون الخوض فى تفاصيل ما اتبعنا من اساليب ، نتوقف قليلا لابراز اهم ما تثيره تلك الاساليب من مشاكل وما يتوافر لها من من مميزات .

---

(١) قدرى حفنى ، "دراسة فى الشخصية الاسرائيلية ـ الاشكنازيم" مركز بحوث الشرق الاوسط مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٥ ، ص ٧٣ .

(٢) المرجع السابق .. ص ٧٥ .

(١) مشكلة الذاتية - الموضوعية :

لاشك أنها مشكلة تقليدية تواجه كل المشتغلين بالعلم دون استثناء ، ويصبح طرحها فى هذه الدراسة اكثر الحاحا نتيجة لطبيعة منهجها ، حيث يخرج الباحث الى الميدان دون ان يتسلح بالادوات التى يرى البعض انها تجنب الباحث الوقوع أسير ذاتيته وتدنو به الى الموضوعية . يقول " سبندلر " .. ان القيام بدور المشارك والملاحظ فى نفس الوقت قد يبدو شيئا مستحيلا ، ولكن هذا هو بالضبط ما يجب على الانثربولوجى ان يدرب نفسه على القيام به .. ان القائم بالملاحظه الموضوعيه يجب ان يكون منغما ومستقلا فى نفس الوقت - متفقا ومتعاطفا وموضوعيا .. (١) .

ويشير ذلك الى ان تحقيق الموضوعية فى هذا المنهج يكون اكثر صعوبه ، ولذا تتابعت جهود الباحثين المختلفين من أجل ان يكونوا متمتعين بالحياد العلمى فى عملهم الميدانى الا أن " سبندلر " يذكر فى موضع آخر من كتابه ما يشبه القول الفصل فى هذه المشكلة حيث يقول " انه لامر مجاف للطبيعة الانسانية ان تكون موضوعيا فحسب فى مجتمع انسانى ، بل اننا نقترب من الموضوعية كثيرا عند ما نقر باهتماماتنا الشخصية ، فبدون اقرارنا بتلك الاهتمامات لانستطيع على الاطلاق ان نحيط بها ، او نتحكم فيها بدرجة أو بأخرى ، او ان نعتمد عليها كمصدر ثرى للبيانات والاستبصارات " (٢) .

واذا كان " سبندلر " يطرح هذه التقنيه من موقعه كأنثربولوجى فاننا نجد ان " هاركابى " يطرح نفس التقنية فى مجال العلوم

(1) Spindler, G. &L. " Fieldwork Among the MENOMINI" In: G.D. Spindler, Beeing An Anthroplogist; (eds.), Holt Rinhart & Winstan, N.Y., 1970.

(2) Spindler G. or cit P. VI

السياسية حيث يقرر بوضوح " ان مشكلة الحكم المتوازن فى البحوث الاجتماعية والسياسية والتاريخية تقتضى متطلبات صعبه فمثل تلك الدراسات تصبح محدودة القيمه اذا ما اقتصرت على تناول الموضوعات التى يمكن ان يتخذ الباحث حيالها موقفا متجردا ليس منحازا ، ولا مباليا بما تحمله من انفعالات وقيم [(١)] ثم يمضى موكدا " ان مجرد تساؤلات الباحث التى يطرحها على نفسه متضمنه اهتماماته الخاصه ، وحيله الدفاعيه ، التى قد توثر على فروضه ونتائجه ، انما تساعده فى حد ذاتها على التغلب على تلك التعصبات ، [(٢)]

(٢) مشكلة الصدق :

لا شك انها وثيقة الصله بالمشكله السابقه ، الذاتيه ـ الموضوعيه ، فربما تودى النظره الذاتية الى عدم كشف الحقيقة كما توجد فى الواقع .. وترتبط هذه المشكلة ، من ناحية اخرى ، بامكانية تعميم النتائج التى نحصل عليها ، فى العادة تتم هذه الدراسات على جماعه او تجمع فرد دون المجتمعات الاخرى الكثيرة التى توجد بها ذات الظاهرة .. وحتى لو تحقق لنا درجة عاليه من الصدق فى دراسة هذا المجتمع أو ذاك ، فأن هذا قد لا يعنى بالضرورة صدق نفس النتائج على المجتمعات الاخرى حيث الظاهرة موضوع الدراسة.

ذلك هو مجمل ما يقال فى هذا الشأن .. وبعد أن اوضحنا ان الذاتية هى جزء من طبيعة الانسان ، بل هى جزء يمكن ان يساعد على تحقيق مزيد من الفهم للظاهرة الانسانية ، والانغماس فيها ، وهذا

---

(1) Harkabi, Y. Arab attitudes towords Israel (Translated by: M. Louvish), Hart, 1972. P 468.

(2) Harkabi, Y. Or cit, P 469.

ما لا تتيحه المناهج التى تدعى الدقة والضبط والموضوعية المطلقة ، والتى تحرص دائما على ان تبقى بعيدة بدرجة كافية عن الظاهرة المدروسة باصطناع الحواجز والادوات المختلفة .. بعد ذلك تقول ان منهج الملاحظه بالمشاركه يتيح الاقتراب من الظاهرة والدخول فيها بالتجوال بين جنباتها والنظر اليها من الخارج ومن الداخل ايضا ، بما يمكن فى النهاية من تحقيق فهما شاملا لها لا تتيحه مناهج اخرى .

يقول " بابى " ... ان البحث الميدانى يمثل الاسلوب الفعال فى دراسة الظلال الدقيقة للاتجاهات والسلوك بشكل خاص ، وفى اختبار العمليات الاجتماعية عبر الزمن .. ولهذه الاسباب ، فان القوة الرئيسية لهذا المنهج تكمن فى عمق الفهم الذى يتيحه ... (١).

هذا الفهم العميق ذاته ، هو الذى يزيد من قابليه النتائج التى نحصل عليها بواسطة هذا المنهج للتعميم .. ان " .. الرأى السائد الان عند الانثربولوجيين هو اننا نستطيع ان نصل الى معرفة اوفى واصدق عن طبيعة المجتمع البشرى فى عمومه بدراسة مجتمعات معينه دراسة مركزة تعتمد على الملاحظة المباشرة ، بقصد التعرف على طبيعة بعض المشكلات المحددة ومحاولة حلها (٢).

وهناك محكات متعددة للتحقق من صدق الانطباعات التى نخرج بها من اعمال هذا المنهج .. اهمها " الاتساق الداخلى " بين المشاهدات المختلفة طولا وعرضا .. اى الاتساق بين انطباعات الباحثين اذا كان هناك اكثر من باحث ميدانى واحد فى الميدان .. وبين الانطباعات التى سجلت فى بداية فترة الملاحظه وبين تلك التى

---

(1) Babbie R.E., o cit. P. 227.

(٢) احمد ابو زيد ، مرجع سابق .. ص ٩٨

سجلت فى نهايتها .. كذلك " الاتفاق الخارجى " ،اى الاتفاق مع مشاهدات وملاحظات ودراسات سابقة.. (١).

تلك اهم المشكلات التى تعترض هذا المنهج ، وان كانت هناك مشكلات اخرى تتعلق بالطبيعة الكيفية لهذا المنهج وصعوبة اعادة الدراسة بنفس المفاهيم الاجرائية ، وغير ذلك .. (٢)

واذا انتقلنا بالحديث الى اهم ميزات هذا المنهج ، فاننا نشير الى مايلى ..

١) انه يحقق التناول الشامل الكلى للظاهرة دون التناول الجزئى التفتيتى لها ..

٢) انه يتيح ـ بقدر كبير ـ التعامل مع الظاهرة فى واقعها المعاش وبقدر قليل جدا من الاصطناع.

٣) انه يمكن من الاقتراب الشديد من الظاهرة والتعمق فيها

٤) انه يحقق ـ فى النهاية ـ فهما عميقا بدرجة تعميمه قد لاتتاح لكثير من دراسات العينة الكبيرة .

٥) انه يتيح اقامة علاقة انسانية حقه بين الباحث ومجتمع البحث ولذا نتوقع ان يخلو موقف البحث من اى نوع من الضغط الاجتماعى على الفلاح ، بما يتيح له الاتساق وعيا وقولا وفعلا ، وخاصة فى المراحل المتقدمة من العمل الميدانى .

لكل ماسبق ابتداء من موضوع الدراسة وطبيعته ، ثم مجتمع الدراسة وخصائصه المعروفه ـ والتى جعلت من اسلوب الاستبيان اسلوبا غير مناسبا لدراسة هذا الموضوع فى ذلك المجتمع ـ ، وانتهاءا الى خصائص منهج " الملاحظة بالمشاركة " وطبيعته ، لكل ماسبق وقع الاختيار على هذا المنهج لعله يتيح لنا الاقتراب من الحقيقة كما تبدو فى الحياة الفعلية وكما يمارسها قاطنى المجتمع

---

(1) Spiro E.M., Children of the Kibbuty. Schocken Books, N.Y. 1965, 30-31.

(2) Babbie R.E., or cit.., P. 227-228.

الاجـــراءات :

فيما يلى عرض موجز للاجراءات التى ابتعناها فى انجاز هـــذه الدراسة ...

(١) **المجال الجغرافي والزمني والبشري :**

تم اجراء الدراسة فى " قرية شنبارة الميمونة " ـ مركز الزقـــازيق ـ محافظة الشرقية .. حيث اتيح للباحث * الاقامة داخلها فـــى استراحة الوحدة المحلية .. وبالفعل اقام بها فى الفترات التالية :

* من ٨١/٧/٥ الـى ٨١/٧/٩ **
* من ٨١/٨/١ الى ٨١/٨/١٢
* من ٨١/٩/١٩ الى ٨١/١٠/١٤

وكان محك الاختيار الاساسى هو ان تكون القرية ضمن مشروع السكان والتنمية ، حيث يفترض ان تكون المسألة السكانية موضع اهتمام اكبــر ، وحيث يمكن تقييم التجربة ، كذلك كان توفر الاقامة داخل القرية من أهــم محددات الاختيار الذى شاركنى فيه ـ مشكورين ـ الاخـوة المسئوليـــن عن مكتب تنظيم الاسرة والسكان بمحافظة الشرقية ..

واذا كانت قرية " شنبارة الميمونة " هى المجال الرئيسى لهــذه الدراسة ، فلقد امكن للباحث جمع بعض المشاهدات من قرى اخرى هى :

أ ـ قرية المشاعله ـ مركز ابو كبير ـ محافظة الشرقية .. وقد ذهبـت الى هذه القرية ضمن فريق من الباحثين النفسيين والاجتماعييـــن

---

* المعنى بتعبير " الباحث " فى هذا المقام هو الاستاذ / محمـــد محمد سيد خليل مدرس علم النفس المساعد بآداب عين شمـــس وعضو هيئة البحـث .

** شارك الباحث فى الفترة الاولى المشار اليها زميل من اعضاء هيئة البحث هو الاستاذ / محمد محسن العرقان ، الباحث بالمركـــز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

لاجراء دراسة تقويمية لاسلوب " التفاعل داخل الجماعة " من حيث قدرته على تغيير اتجاهات فلاحي القرية نحو المسألة السكانية ومشكلة انتشار مرض البلهارسيا ، وكان ماسبق يمثل جزء من نشاط أحدى قوافل التنمية التي خرجت من جامعة الازهر .. وحدث ان ترددت على هذه القرية مع فريق الباحثين على فترات متباينه لعمل دراسة تتبعية لاثر هذا الاسلوب المشار اليه .. كان ذلك في المدة من ٢٥/٣/ الى ٢٧/٣/٨١، وكذلك يوم ٩/٤/٨١.

ب - قرية نزالي الحرجات - مركز ابنوب - محافظة اسيوط. وتواجدت فيها من ١٣/٤ الى ١٦/٤/٨١ ضيفا على صديق لي من ابنائها وهي قرية صغيرة تقليدية ..

جـ - قرية صول - مركز الصف - محافظة الجيزه .. وقد توجه اليها الباحث مع مجموعة باحثين في دراسة استطلاعية استغرقت يوما واحدا (٢٥/٥/٨١) وهي قرية ، ضخمة سكانا ومساحة ، تنتشر بها صناعة الطوب الاحمر ، بما أدى الى مضاعفة ارتفاع أجور الايدى العاملة بها ..

ولقد اتاح هذا الوضع تعددا في مصادر جمع المادة ، حيث شمل :

أ) قرى من الوجه البحري (شنبارة الميمونة - المشاعله) ، واخرى من الوجه القبلي (نزالي الحرجات - صول) .

ب) قرى تتبع مشروع السكان والتنمية (شنبارة الميمونة - صول) ، واخرى لاتتبعه (المشاعله - نزالي الحرجات) .

جـ) قرى كبيرة (شنبارة الميمونة - صول) ، واخرى صغيرة (نزالي الحرجات)

د) قرى قريبة من المراكز الحضرية الكبيرة (شنبارة الميمونة) واخرى بعيدة (نزالي الحرجات - صول) .

هـ) قرى توجه اليها الباحث بوصفه باحثا (شنبارة ، صول ، المشاعله) واخرى توجه اليها بوصفه زائرا لاحد أبنائها (نزالي الحرجات) .

و) قرى توجه اليها الباحث بمفرده (شنبارة الميمونة) ، واخرى ذهب اليها ضمن فريق من الباحثين (صول ـ المشاعله) ..

هذا ولم تقتصر الدراسة على جماعة دون الاخرى داخل القريـــة حيث لم يتحدد بشكل مسبق جماعه معينه تستهدفها الدراسة ، بـــل جرى التعامل مع القرية بمختلف تكويناتها .. وان كانت الجماعــة الرئيسية فى القرية ستفرض ظلالها على مادة البحث .

وفيما يلى وصف للمجال الرئيسى للدراسة وهو قرية "شنبارة الميمونة "

تقع القرية فى اقصى الحدود الغربية لمحافظة الشرقية وبالقرب مــن حدود محافظتى الدقهلية والقليوبية ، وكانت تتبع ـ اداريا ـ محافظـة القدهلية حتى وقت قريب ، وقبل ان تنتقل تبعيتها للشرقية بنــاء على مساعى اهلها ، لان عاصمة محافظة الشرقية قريبه اليهم بعكس عاصمة محافظة الدقهلية .. يبلغ عدد سكانها حوالى أربعة عشر ألف نسمـــه يزرعون حوالى ١٨٢٤ فدان . ومزروعاتهم فى معظمها تقليدية (قطــن ـ قمح ـ أزرة ـ ارز) الى جانب مساحة صغيرة تزرع بالخضروات (وخاصـة البامية) ، وان كانت هذه المساحة اخذة فى الازدياد فى الاونـــة الاخيرة ، حيث انها تحقق دخلا كبيرا مقارنة بما تحققه المزروعات الاخرى من دخل ـ والى جانب الزراعه كحرفة رئيسية ، هناك عدد كبير مـــن الحرفيين (٢٠٠ جـزار ـ ٢٥ خياط ـ ٣٠ بقال ـ ٦ مقاهى ـ ٢مكوجى ـ ٤ ميكانيكى سيارات ـ ٥ عربات نقل ـ ٢٠ جرار ـ ٣مخابز ـ مطحنين ورش نجارة ـ ورش صناعة احذية ـ صيدلية ـ صالونات ـ حلاقـــة ـ العديد من محلات البقاله المزودة بثلاجات عرض وثلاجات " ديب فريزر " ولقد ساعد على انتشار هذه الحرف كون القرية مركز لتقديم خدمات عديدة لقرى المحيطة بها ، كما ان بالقرية عدد من المعاهد الازهرية ابتدائى واعدادى وثانوى للجنسين ـ بحيث ان عددا كبيرا من الطلاب يفــدون اليها من قرى ومحافظات اخرى ، بل ان بعضهم يقيم فى القرية طــوال العام الدراسى فى " شقق مفروشة " ، ولا يقتصر هذا على الذكور ، بــل يشمل الاناث ايضا .. والى جانب ماسبق فان هناك بعض الاستثمارات

التجارية الصغيرة مثل شراء الجرارات الزراعية وتأجيرها للاخرين ، وكذلك السيارات الاجرة ، ومحال المأكولات والمشروبات ، كذلك هناك مزرعه دجاج ضخمة قطاع خاص ... هناك ايضا جماعه متزايده الكبر من الموظفين من ابناء القرية المقيمين بها سواء كان عملهم داخلها او خارجها ..

وليس من الصعب على شاهد العيان ان يلحظ ما يسود القرية من انتعاش اقتصادى ينعكس اساسا فى انتشار انماط استهلاكية ترفيه بالقرية ، وينعكس ايضا فى المشروعات الخدملة الضخمة التى قامت فى القرية بالجهود الذاتية بعيدا عن اى جهاز من الاجهزة الرسمية او الشعبية ، وان كان هذا لم يحول دون ان تشارك تلك الاجهزة فى العمل ، وان كان ذلك من خلال دور ثانوى تسهيلى تشهيلى وربما تشجيعى ، وربما ساعد على هذا الدور ، أن كبار المسئولين عن هذه الاجهزة من ابناء القرية قادتها غير الرسميين من قبل .. ومن هذه المشروعات انشاء المعاهد الدينية ،وشبكة مياه الشرب فى جزء كبير منها ، وشبكة الصرف الصحى فى جزء كبير منها ، وكلها مشاريع تمت فى معظمها بالجهود الذاتية.

ولقد أدى وجود موءسسات التعليم بمراحله الثلاثة داخل القرية فضلا عن وجود جامعة الزقازيق ، وهى تبعد حوالى ١٢ك /م فقط عن القرية ، كل ذلك أدى الى ارتفاع نسبة المتعلمين بها ..

ويبلغ الامتداد العمرانى للقرية حوالى ٢ك /م طولا .. وتنتشر بها مساكن حديثه (طوب احمر - مسلح) بشكل ملفت النظر ، ومن السهل تبين حدود الامتداد العمرانى للقرية منذ فترة وجيزة والذى كان حوالى ثلث الامتداد الحالى ، حيث الزحف العمرانى على الارض الزراعيه بالتحايل على القانون تارة وباستغلال ثغراته تارة اخرى ، ولما كان برج المياه الذى يغذى القرية بمياه الشرب غير قادر على الوفاء بالحاجة المتزايدة ، وغير قادر على دفع المياه للادوار العليا ،فقد كان قرار بناء برج اخر للمياه ، يبلغ ضعف حجم الاخر اتساعا وارتفاعا ، ويوشك

العمل ان ينتهى فيه .. كذلك يوجد بالقرية ثمانية مساجد كبيرة فى معظمها ،وبيت ثقافة، ومركز شباب مطور ، وجمعية استهلاكية صغيرة الحجم وفقيرة الامكانيات.

ومن ناحية اخرى يسود فى القرية جو من الهدوء النسبى ، حيث تخلو من المشاكل التقليدية فى صورتها الحادة ، والتى توجد فى قرى اخرى . ولعل ذلك يرجع الى انكباب اهل القرية على عملهم فى الزراعة أو التجارة او كلاهما معا ، والى ارتفاع وتقارب المستوى الاقتصادى والى ارتفاع نسبة التعليم والى تداخل الاسر من خلال النسب .

(٢) دخول القرية ـ الاخباريون*

فى اليوم الاول من العمل الميدانى ، رافقنى المنسق الاقليمى المسئول عن هذه القرية ، وقدمنى للمسئولين بها ، بصفتى باحثا اقوم بعمل دراسة لصالح جهاز تنظيم الاسرة والسكان .. ورحب بنا المسئولين بالوحدة المحلية بالقرية ، وقدموا مكانا للاقامة الدائمة، فضلا عن كافة المساعدات الاخرى التى كنت اطلبها منهم.

وبذلك امكن دخول القرية على المستوى الرسمى ، وبقيت المهمه الصعبه ، وهى الدخول الى القريه على المستوى الجماهيرى .. بالطبع كان الدخول تدريجى ، وفى البداية كنت حريصا على الظهور فى القرية كثيرا حتى يصبح وجودى مألوفا .. ولقد قام الاخباريون** بدور

* فضلنا ان نستخدم ضمير المتكلم فى المواضع التى تشير الى خبرات " الباحث " المعاشه وملاحظاته المباشرة.

** فى المراحل الاولى من الدراسة تم اختيار عدد من الاخباريين من ابناء القرية ، وكان محك الاختيار هو ما ابدوه من استعداد ذاتى للمشاركة فى البحث ، وماتوسمه فيهم الباحث من نضج انفعالى ودرجة الوعى والالمام بالقرية. وبالطبع تباينت درجة اهمية كل منهم عن الاخر ، كذلك فان درجة المامهم بتفاصيل هدف البحث اختلفت احدهم للاخر .. ايضا ، كا اشتراك بعضهم فى العمل مسبوقا باتفاق بينهم وبين الباحث ،فى حين كان البعض الاخر يسهم فى العمل دون اتفاق على ذلك .. وكانت مشاركتهم جميعا بدون مقابل مادى .

حيوى فى هذا الشأن لكونهم من ابناء القرية ، فمن طريقهم استطعت الدخول الى التجمعات التى ينتمون هم لها ، على الاقل . وعلى الرغم من أن احد الاخباريين قد طرح على فكرة ان يتم تقديمى لاهل القرية باعتبارى احد اقاربه ، فضلا ذلك على تقديمى لهم بصفتى باحثا ، الا اننى لم اوافق على هذا ، وكنت حريصا دائما على ان اذكرهم الاخباريين من حين الى اخر ، بالصفة التى يقدموننى بها لاهل القرية : باحث يدرس مشاكل القرية والفلاح المصرى .. وبالطبع لم يقتصر دور الاخباريين على مجرد تقديمى لاهل القرية ، بل تعدى ذلك كثيرا ، فضلا عن انهم كانوا فى حد ذاتهم مصدرا هاما للمعلومات كانوا ايضا قاموس الحى لفهم ما لا استطيع فهمه من احداث ورموز ، وكانوا عونا فى سد الثغرات فى المعلومات .. والاهم من هذا وذاك أنهم كانوا احد محكات الصدق الهامه ، وذلك من خلال مقارنة ومطابقة مايقدمه كل منهم من معلومات بما يقدمه الاخر ، كذلك بمطابقة الشواهد المباشرة مع الشواهد غير المباشرة .

الفلاح المصرى والمسألة السكانية :

ما هو موقف الفلاح المصرى من المسأله السكانية كما ينعكس فى مواقفه الحياتيه اليومية الفعلية ؟ وهل يتباين هذا الموقف عن الموقف الرسمى الذى يتبناه المخطط ؟ .

فى البداية .. ما الموقف الرسمى من المسألة السكانية ؟
وضعت سياسة تنظيم الاسرة والسكان فى مصر منذ عام ١٩٧٣ ، تصورها للمشكلة السكانية فى ابعادها الثلاثة على النحو التالى

أ ـ سرعة النمو السكانى .
ب ـ التوزيع غير المتكافئ للسكان .
جـ ـ انخفاض مستوى الخصائص السكانية بالنسبة للصحه والتعليم والانتاج ووضع المرأة .(١)

(١) احمد عبد الفتاح .. مرجع سابق .. ص ٦٠

هذا هو الموقف الرسمي من المسألة السكانية ، فما هو موقف فلاحنا المصري منها ؟

أولا : السلوك اللفظي (القول) :

على الرغم من اختلاف المسميات ، الا أن المسألة السكانية مطروحه في القرية المصرية ، ولكن بشكل مختلف .. المشكله السكانية المطروحة بشكل ملح وخطير في القرية الان — كما يطرحها اهلها — هي مشكلة نقص الايدى العامله الزراعية ، مما يوءدى الى : —

١) الزيادة الكبيرة في الاجور مقابل ساعات عمل اقل .
٢) تدهور في كيف العمل المقدم مقابل هذ الاجر الكبير .
٣) محاولة البعض ان يتخلص من هذه المشكلة بالبحث عن مستأجر لارضه — ايجار سنويا — وخاصة حائزى المساحات التى لايستطيع مالكها القيام بخدمتها بمفردة ، والتى لاتتحمل دفع اجور العمال المرتفعة من ناحية اخرى .. وهى في الغالب مساحات تزرع بمحاصيل تقليدية .
٤) اتجاه بعض الحائزين الى انواع اخرى من الانشطة تتجاوز بهم أزمة خدمة الارض ، كأن يستثمر الارض في بناء عمارة سكنية ، وما شابه ذلك .
٥) ازدياد معدلات تشغيل الصبيه والاطفال ، في اعمال كان الكبار يقومون بها في العادة ، ولكن الاطفال يستطيعون القيام بها ، ولكن بأجر اقل ، فأوكلت اليهم .. حتى ان بداية الدراسة هذا العام قبل موعد جنى القطن قد اثر على دخول الكثير من الاسر التى كانت تعتمد على سواعد ابنائها في جزء كبير من هذه العملية واضطرت الى تشغيل بعض العمال بالاجرة كما ان بعض الاسر منعت اطفالها من الذهاب الى المدرسة لكى يشاركوا في عملية الجنى .

ويرجع الفلاحون هذه المشكله للاسباب الاتية :

١) توظيف المجندين المسرحين بعد حرب ٧٣ .. فتحولوا الــى عاطلين ــ على حد قول مجتمع الدراسة..

٢) ازدياد نسبة المتعلمين الذين يفقدون قدرتهم على العمل الزراعى الشاق (ايديهم بقت طريه) .

٣) سعى بعض العمال الزراعيين وصغار الحائزين الى الحصول علـى وظيفة حكومية ثابتة . وقد يبدو هذا معاكسا لما هو سائد الان من المستضعفين.. ومنذ فترة وجيزة تم افتتاح عدة موسسات حكومية فى قرية من القرى ، فأندفع العمال الزراعيين وصغار الحائزيــــن فى التقدم بطلبات الالتحاق للعمل بها ، فما كان من المشرفيـــن على المشروع من ابناء القرية الا أن فرضوا تبرعا يدفعه من يرغـــب فى الوظيفة * ، بدأ هذا التبرع بمبلغ (٣٠٠ج) ثلاثمائة جنيـــه مصرى ، ووصل من خلال مزايدات المتطلعين للوظيفة الى (١٠٠٠ج) الف جنيه مصــرى ، يدفعها الفرد نظير التحاقه عاملا بتلـــك الموسسة فى مقابل راتب شهرى قدره حوالى (٣٠ج) ثلاثون جنيها وانتهز المشرفون على المشروع هذه الفرصة بتوظيف اكبر عدد ممكن من العاملين بغض النظر عن توفر عمل لهم جميعا .

٤) ارتفاع معدلات السفر للعمل خارج القرية أو خارج القطر ، ثـــم العودة .. او الهجرة الدائمة الى المدينة .. وحتى من يعودون للقرية ممن سافروا للعمل فى البلاد العربية ، مثلا ، فان دافعيتهم للعمل تكون منخفضه للغاية ، حتى تنفذ اموالهم ، فيسرعـــون بالسفر مرة اخرى حيث العمل الاقل جهدا ، والاكثر اجـرا ، وهكذا عمليـــة لاتنتهى ..

* كان هذا المشروع قائما على الجهود الذاتيـــة :

تلك هي اهم المشاكل التى يعيشها اهل القرية المصرية — كما عبروا عنها تلقائيا — محددة المضمون والاسباب ، .. وبالطبع هناك مشكلات اخرى مطروحة تلقائيا ايضا ، مثل مشكلة صعوبة التعامل مع الاجهزة الحكومية ، ومشكلة المواصلات التى يرجعونها لسوء خدمات النقل ، ومشكلة ارتفاع الاسعار ، وكذلك مشاكل العملية الزراعية الاخرى .

بمعنى ان المشكلة السكانية باعتبارها زيادة فى معدلات الانجاب غير مطروحة وانما المطروح هو وجود نقص فى الايدى العاملة لم تقابله زيادة فى رقعة الارض او الجهد المطلوب بذله ، بل ان استخدام بعض الالات فى الزراعة الان قد خفض من عدد العمال المطلوبين لخدمة مساحة معينة من الارض .. بالرغم من ذلك فان هناك نقص فى الايدى العاملة ينعكس اول ما ينعكس فى ارتفاع الاجور .

وللحق ، فان احد القيادات فى احدى القرى ، عندما قابلته فى بدايات العمل الميدانى بها — وهو قريب من الطرح الرسمى للمشكلة بحكم موقعه القيادى — هذا الرجل طرح تصوره للمشكلة السكانية بشكل مختلف بعض الشيء .. حيث ذكر إلى ان الارض الزراعية لم تعد كافية للوفاء باحتياجات الاعداد الكبيرة من السكان ، ولكنه يرى ان حل هذه المشكلة يتمثل فى زيادة خدمة الرقعة الزراعية المتاحة بما يزيد من انتاجيتها " زيادة رأسية " ، بما يفى بتلك الاحتياجات .. فى حين لم يطرح الحل الاخر ، وهو خفض معدلات الزيادة فى النمو السكانى .. وفى نفس اللقاء طرح مشكلة نقص الايدى العاملة وارتفاع اجورها — بمرارة شديدة — وأرجعها لبعض الاسباب سالفة الذكر ، وهو لا يجد فى طرح هاتين المشكلتين اية تناقض ، بل انه يرجع سوء خدمة الارض — فى جانب منه — الى نقص الايدى العاملة الزراعية ، ووضعيتها الاجتماعية الجديدة .

<u>وعلى ذلك .. وعلى المستوى اللفظى التلقائى .. تمثل المسألة السكانية فى القرية المصرية مشكلة اهم مظاهرها</u>

نقص الايدي العامله الزراعية وارتفاع اجورها ، وذلــــك بسبب التعليم والالتحاق بالوظائف الحكومية والهجرة الدائمة او الموقتــــة ...

وبغض النظرعن ما قد يعترى هذه النظرة من قصور ، الا أن تلك هي المشكلة السكانية كما يشعر بها فلاحنا المصرى معبرا عنها في سلوك لفظي تلقائي .. ولكن كيف يواجهون هذه المشكلة فعليا ؟

ثانيا : السلوك الفعلي (العمــل) :

فيما يلي سرد لبعض الوقائع التي تنعكس - فيما اعتقد - موقفا معينا حيال المشكلة السكانية ، يتخذه الفلاح المصرى .. لعلنا نجد فيهــا اجابة على السوال السابــق ..

١) في احدى الامسيات الرمضانية ، خرجت مع احد الاخباريين نتجول في القرية ، فقادني لزيادة البعض ومنهم العمال بالوحدة المحليــة .. دخلنا لبيته الفلاحي التقليدي وجلسنا في مدخله الـــذي يفضي الى عدة غرف ، وكان بعض أفراد الاسرة يتابعون التليفزيــون بينما نام معظم الاطفال الصغار على قطعة قماش مفروشه علـــى أرض هذا المدخل الذى نجلس فيه .. ودار بيننا حوار طويــل في مواضيع شتى .. وطوال هذه الفترة كنت مشغولا بما أراه ... الزوجين في الثلاثينات من عمرهما .. اكبر الابناء في الصف الثاني الاعدادى .. الابناء منهم الذكور والاناث .. اعمار الصغار منهــم توحي بأن عملية تنظيم الاسرة لم تبدأ بعد على الرغم من أن عددهم قد بلغ العشرة تقريبا .. والاهم من هذا كله هو الابتسامة التـــي لاتفارق وجه هذا الرجل وحديثه الممتع الذى لاينقطع .. احســاس عام بالرضى .. وطوال جلستنا لم يتوقف عن تقديم الشاى ، وكـــان قد بدأ بتقديم زجاجات المياه الغازية لي ولمرافقي والاخريـــن انضموا الينا .. وفي اثناء الحديث اشار الى كثرة عدد الاولاد ،

وكأنه اراد الاعتذار لي ، وبعد مقدمات مختلفة سألته عن سبب عدم تنظيمه للاسرة .. فكان رده العجيب .. انه لا يملك من المال ما يقدم به العلاج لزوجته عندما تعرض بسبب استخدامها لوسيله من وسائل تنظيم الاسرة !! ولكن ، ليس من الصعب ان نجد في هذا الرد منطقا .. فلو تصورنا انه يسلم بأن استعمال وسائل تنظيم الاسرة يضر بصحة الزوجه ، وهذا ما اتضح من كلامه بالفعل ، ووفقا لما يفضله الفلاح المصري من اسلوب عملي في حياته ، فانه يفضل أن يستدين للانفاق على ابنائه الذين سيمثلون بعد ذلك مصدرا للدخل ، من أن يستدين للانفاق على زوجته المريضه ـ بسبب محاولة منع مصدر الدخل ـ فتضيع الصحه وتضيع النقود هباء وسدى ..

٢) ذهبت لزيادة احد الشبان الجامعيين الذين تعرفت عليهم في القرية وتوطدت صلتي بهم بسرعه .. هذا الشاب لم يتجاوز العشرين ، له اخ اخر لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره ، فضلا عن اخوات اناث تزوجن جميعا .. تقدم العمر بالام واصابها المرض ولم تعد قادرة على خدمة الزوج والذكرين .. وتقدم العمر بالاب واصبح في حاجة لمن يعاونه في العمل .. الابن الاكبر مشغول بالدراسة الجامعية ، وحقيقي انه يساعد بالعمل في الغيط ، الا أن ذلك يكون في الاجازة الصيفية فقط ، ويقتصر على بعض الاعمال الثانوية التي يستطيع انجازها والتي لا تحتاج لخبرة زراعية او جهد عضلي لم يعتد ان يبذله ، وكانت النتيجة الحتمية هي ان يتوقف الابن الاصغر عن مواصلة التعليم ليعمل مع والدة في الغيط ، فهو لم يقطع بعد شوطا طويلا في التعليم ولكن ربما كان في ذلك حلا موقتا لبعض مشاكل الاب في العمل (الغيط) ولكن تبقى مشاكل الام (البيت) .

رحب بي الوالد في المضيفه التي تعكس قدرا من الراحه الاقتصادية .. صديقي الشاب الجامعي يشير الى اخيه الصغير

ويقول لى : " مش تبارك له " فقلت : " مبروك ٠٠ بس على أيه "
وعلمت ان هذا الاخ الاصغر قد تزوج حديثا ، وانه نتيجة لصغر
سنه تم الاكتفاء بكتابة عقد زواج " عرفى " الى ان يبلغ السن القانونية
فاذا حدث وانجب اطفالا فى هذه الفترة ، فأنهم يقيدون فى
بطاقة والده العائلية وهنا صاح صديقى ! " يعنى حايبقوا
اخواتى ٠٠ " وقال الاب انه اضطر ان يزوجه بسبب حاجته
لامرأة تقوم على خدمتهم فى المنزل بعد مرض الام ٠

وسألت الاب عن سبب عدم زواجه لابنه الاكبر ـ صديقى
الجامعى ـ بدلا من زواجه للابن الاصغر ـ الفلاح ٠٠ فأشار
الاب الى الابن الاكبر والحسرة تعلن قسمات وجهه وقال : " ٠٠٠
مراته ماتنفعش ٠٠ مش معقول يتجوز فلاحه لازم حايتجوز متعلمه
وموظفه ٠٠ ده حايتجوز لحسابه ٠٠ لوكان فلاح كنت جوزته واخذت
له عروسته تحت مسئوليتى ٠٠ " ٠

وعلمت من صراف القرية ان ظاهرة زواج الابناء الذكور فى سن
مبكرة واضافة اسماء ابنائهم الى بطاقة الجد ، هى ظاهرة متنشرة
فى الريف وتسبب مشاكل كثيرة وخاصة فى عملية الميراث وانه يعانى
من هذه المشاكل فى جمعه لضرائب الاطيان (المال) ٠٠ ووصف
هذه المشكلة بانها مشكلة يواجهها فى عمله ٠

وليس يخفى على احد الارتباط العضوى بين مشاكل القرية
المختلفة من تعليم الى شيخوخة مبكرة الى اسلوب تقليدى فى
الزراعى لا يزال يعتمد على القوة اليدوية ٠٠ وكيف ان الجهود
التى بذلت فى السنوات الماضية لتحديث القرية لن تؤتى ثمارها
طالما بقيت جزئية وطالما بقيت البنية الاساسية كما هى دون تغيير
٠٠ نفس الاساليب وذات العلاقات ٠٠

ان هذا الاب يشعر انه لم ينجب سوى ذكر واحد ، اما
الاخر فقد تعلم فأسقطه من حساباته كمصدر للدخل او لقوى العمل

الخاصه به او بزوجته واولاده في المستقبل ،فكان لابد ان يعوض مافاته بأن يزوج ابنه الصغير لحسابه الخاص . ولن نتعجب اذا اطلقه في الانجاب حتى لاتتكرر المأساة مرة أخرى .. ولا يجب ان نغفل دلاله ومعنى اضافة ابناء الابن الى بطاقة الاب (جد هم) .. ولنا ان نتصور خصائص هولاء الابناء الصحية والتعليمية ..الخ.

٣) في عيد الاضحى المبارك كنت موجودا بالقرية ، وكما هي العادة في الريف المصرى ، تعقد معظم الزيجات في الاعياد والمواسم المختلفة .. وتسنى لى ان احضر اكثر من حفل زواج .. وكنت أتصور ان الحالة السابقة ـ نرفت توا من عرضها ـ حالة نادرة الحدوث .. واذا بى اجد ان زواج الصبيه الصغار ـ دون السن القانونى ـ منتشر .. في احد هذه الافراح . وكان في وقت العصر حيث ينقل الاثاث من منزل العروسة الى منزل العريس، وحيث الازد حام حول العربات ـ سألت عن العريس ،فأشار مرافقي الى مجموعة من الصبيه والاطفال ،وناداة " ياواد .. تعالى سلم على البيه .. " حضر وقد مت له التهنئه ولكن لم اتمكن من اخفاء د هشتي ، حتى اننى شعرت بأن هذا الصبى قد شعر بالخجل بسبب نظراتي المتعجبه اليه ثم انصرف واختفى بين زمرة من رفاقه الصبيه المتزوجين !! .

٤) شاب جامعى آخر لم ينجب والده سواه ، فضلا عن بعض الفتيات .. (عدم تحديدي لعدد الفتيات لايرجع الى اهمال منى أو الى أقلال من شأنهن ، ولكن في مثل هذه الحسابات ـ مثل ماجاء في النقطتين السابقتين ـ فأن الاباء لايضعون الفتيات في حسبانهم لان الفتاة ستتزوج وتنتقل لبيت زوجها أو اسرة زوجها ، ولن ينتفع بها في العمل بعد ذلك ، سواء في البيت أو الحقل)ـ وكالعادة مرضت الام واصبحت قدرة الاب على العمل محدودة ،واصبح في حاجة الى من يهتم بعما المختلفة .. ويوكد لى هذا الشاب مايعانيه والده منذ م شديد لانه قرر في يوم من الايام ان يعلم

ابنه الوحيد .. ولاشك ان الاهتمام المتزايد بالتعليم فى القرية يتعرض الان لاختبار حقيقى بعد ان مضى عليه حوالى العقدين أو الثلاثة من العمر ، وبدأ الاباء فى حساب فوائده وخسائره .. وتصبح نتيجة هذا الحساب مشكوك فيها بعد أن انخفضت المكانة الاجتماعية للمتعلم فى القرية ، وبعد ان ارتفعت المكانة المادية للحرفيين واصحاب الاعمال الحرة .. هذا فضلا عن ما سقناه من ظروف تتطلب توافر العمالة اليدوية والعادية وليس المتعلمين ضعيفى البنية مرتفعى الطموح .

٥) ولم يكن غريبا بعد ذلك ان نجد بعض الحالات التى يقبل فيها كبار السن من الرجال على الزواج من فتيات صغيرات .. ونحن نعلم الاثار السيئة لهذا النوع من الزواج على الابناء من الناحية النفسية والجسمية والعقلية ، بما يسهم فى تدهور الخصائص السكانية من جانب ، ويعكس الحاجة المتزايدة للانجاب من ناحية اخرى ..

٦) اما عن موقف الفتيات غير المتعلمات فى القرية ، فانه لمن الامور التى لا خلاف عليها ان الفتاة التى تتجاوز سن السادسة عشر من عمرها دون أن تتزوج ، يكون من الصعب ان يقبل على زواجها احد .. فمعنى بقائها دون زواج حتى هذه السن ، هو ان بها عيبا .. وسألت عن مايمكن ان يكونه هذا العيب ، فقيل لى " .. تكون ما تعرفش تعجن وتخبز مثلا .. " وهذا يؤكد مرة أخرى ان هذه الفتاة هى " قوة عمل " اساسا فى نظر الزوج واهله ، ولهذا لابد من التأكد من مهارتها فى العمل المنزلى ، ولهذا _ ايضا _ لا تصلح الفتاة المتعلمة الموظفة .. " .

٧) فى منزل اخر ذهبت للقاء الاب بعد ان قدمنى له الاخبارى _ الاب سبق له ان ذهب اكثر من مرة للعمل فى السعودية وكان موفقا فى عمله هناك حتى أن صاحب العمل كان يسمح له بالكاد ان يعود

لزيارة اسرته٠٠ انضم الى مجلسنا مجموعة من الشباب ٠ بين منتظر لاداء الخدمة العسكرية وبين منتظر للتعيين بعد ثلاث سنوات٠٠ الاب يعرض مشكلة ابنه الذى يريد الزواج ٠ ولكنه لا يرضى ان يقيم فى منزل اسرته لانه مبنى بالطوب النيء ٠ خشية ان يزوره احد اصدقائه ٠ ويريد بناء بيت حديث له٠٠ ويضيف الاب ان هذا يتطلب منه ان يبيع نصف فدان حتى يتمكن من تلبية رغبة الابن ٠٠ ويتصور الاب انه لو سلك نفس المسلك مع كل ابنائه لاصبح معدماً ٠ ويقرر انه لن يفعل ذلك ٠ وان على كل واحد منهم يبنى نفسه بنفسه ٠ وخاصة انه متأكد من ان ابنائه لن يهتموا به بعد زواجهم وانهم سينشغلون عنه بأحوالهم الخاصة٠٠ ولكن هذا الامر ان يبنى كل منهم نفسه بنفسه ـ أمر يتطلب سنوات طويلة٠٠ وهنا يقترح عليهم السفر الى الخارج للعمل وجمع بعض المال ثم العودة للزواج وبناء بيت بالطوب الاحمر ٠٠ ثم قام بحساب عدد السنوات التى يستطيع ابنه ان ينجز فيها ماسبق اذا ما سافر للعمل بالخارج بعد ان يكون قد انتهى من تأدية الخدمة العسكرية ٠ فوجدنا انه سيكون قد بلغ الثلاثون من عمره ٠ وهنا نظر الاب الى ابنه بحسرة شديدة وقال " يعنى تكون انتهيت "٠

وجهة النظر الاخرى :

نخلص مما سبق مايلى :

١ ـ ان مشاكل القرية المصرية ـ مثل اى مجتمع اخر ـ متشابكه مترابطه لا يمكن حل اى منها دون الاخر ٠ وحلها الشامل لا يتأتى الا بتغيير أساليب وعلاقات الانتاج فى القرية حيث انه من الواضح ان هذه الاساليب وتلك العلاقات لم تتغير فى جوهرها خلال المدة السابقة٠

٢ ـ ان الزراعة المصرية ـ فى عمومها ـ تقوم على العمل اليدوى ٠ بما يجعل توافر الايدى العاملة الزراعية أمرا هاما ٠ وبما يجعل من نقصها مشكلة خطيرة ٠

٣ ـ ان الابناء ـ غير المتعلمين ـ هم الرصيد المزدوج من قوى العمل ذلك الرصيد الذى يرتكن اليه الاباء فى الشيخوخة ، والذى يأتى بزوجه تساعد الام فى العمل داخل المنزل .. فى حين ان الابن المتعلم يخرج تماما من هذه الحسابات ـ حسابات قوى العمل والانتاج ـ فهو نمط غير مناسب لاساليب وعلاقات العمل والحياة فى القرية الان ..

ويتضح لنا مما سبق ان فلاحنا يواجه مشكلته السكانية ـ نقص الايدى العامله وارتفاع اجورها ـ بالانجاب ، وبالزواج المتعدد ، فان لم يستطع فبالاسراع بزواج الابن الذى يأتى بزوجه هى مصدر لقوى العمل اساسا ، ثم يأتى الابناء ... وهو فى هذا ولهذا يفضل الابن الفلاح على الابن المتعلم قليل الانتاج كثير المشاكل .

علينا ان نلاحظ ذلك الاتساق بين القول والفعل ..

وعلينا ان نلاحظ ذلك التباين الكبير بين الموقف الرسمى و الموقف الفلاحى من المسأله السكانية .. صحيح ان كلاهما يرى مشكله ، الا أن احدهما يرى أنها مشكله زيادة والاخر يرى انها مشكلة نقصان .. احدهما يرى انها مشكله سوء خصائص والاخر يرى ان هذا التحسين يضره بـه ولا ينفعه .. احدهما يرى انها مشكله سوء توزيع والاخر لا يشغله هذا الجانب من قريب أو بعيد ..

وتفسير هذا الاختلاف الذى يبلغ حد التناقض فى الاحيان ، هو ان كل من وجهتى النظر ينتمى لسياق حضارى مختلف .. السياق الحضرى والسياق الريفى .. هذا الاختلاف لا يصنعه المخطط ـ وهو صاحب انتماء حضرى فى الغالب ـ عندما يخطط لحل مشاكل القرية .. ومن هنا يكون النظر لمشاكل الريف بعين حضريه امر بالغ الخطوره [1] .

---

(١) قدرى حفنى ، مرجع سابق .

الفلاح المصري واللجنة الاستشاريـــة :

تعد اللجنة الاستشارية من اهم الاجهزة المنوطه ،حاليا ،بمواجهة المشكلة السكانية ـ بتحديدها الرسمي ـ على مستوى القرية •• وهي تمثل اخر حلقات البناء التنظيمي لمشروع السكان والتنمية •• اى ان اعضائهـا هم الذين يتعاملون مباشرة مع الفلاح دون الحلقات الاخرى •

ويرى القائمين على هذا المشروع " •• ان الحل النهائي للمشكلة السكانية (بأبعادها الثلاثه) يكمن في التنمية الاجتماعية والاقتصاديـة الى جانب رفع مستوى خدمات تنظيم الاسرة •• (١)

بمعنى ان المشروع يسلك مسلكين • الاول مسلك تقليدى قصيـر المدى (تنظيم الاسرة) والثاني مسلك غير تقليدى بعيد المدى (التنميـة الاجتماعية والاقتصادية) ••

وبحدس عميق من القائمين على المشروع ـ وبعد دراسات مستفيضه ـ وجدوا انه من الضرورى نقل مسئولية تنفيذ السياسه السابقة الـى المستويات المحلية تخلصا من شبهة المركزية وتخلصا من معوقاتها •• فكان تشكيل اللجان الاستشارية •• واللجنة الاستشارية تشرف على مجموعـة قرى تتبع وحدة محلية معينه تسعى لتحقيق اهداف مشروع السكان والتنمية •• ويرأس اللجنــة رئيس الوحدة المحلية • وتتكون من ممثلي الاجهـزة التنفيذية وممثلي الاجهزة الشعبية • فضلا عن بعض الشخصيات العامـة التى يرى رئيس اللجنة ان يضمها لعضوية اللجنة• وحلقة الصله بيـن الاجهزة وبقية البناء التنظيمي للمشروع هوالمنسق الاقليمي • فالمنسـق المركزى ،فادارة المشروع•

بمعنى ان اللجنة الاستشارية قد شيدت من لبنات الاجهزةالتنفيذية والشعبية القائمة بالقرية • ولهذا فهي تتمتع بكل مالهذة الاجهزة وكـل ماعليها ،ولذا ايضا ـ لايمكن الحديث عن اللجنة الاستشارية دون الحديث عن الاجهزة التنفيذية والشعبية الاخرى •

(١) احمد عبد الفتاح ،مرجع سابق •• ص ٦٠

والسؤال الان هو .. الى اى حد نجحت اللجنة الاستشارية في تحقيق ـ او الاقتراب من تحقيق ـ اهدافها ؟ . الاجابة على هذا السؤال لها شقين .. الاول يتعلق بموقف اعضاء اللجنة الاستشارية من المسألة السكانية .. والثانى يتعلق باسلوب اللجنة الاستشارية فى العمل ومدى مناسبة هذا الاسلوب للقرية المصرية .

أولا موقف التنفيذيين والشعبيين فى القرية من المسألة السكانية :

اتضح لنا منذ قليل ان هناك تباينا بين موقف الفلاح من المسألة السكانية ، والموقف الرسمى منها . فما هو الموقف الذى يتخذه التنفيذيين والشعبيين ـ اعضاء اللجنة الاستشارية ـ من هذه المسأله ، هل هم أقرب الى موقف الفلاح ام الى الموقف الرسمى الذى هم ممثله فى القرية .. اذا عرفنا انهم فى معظمهم ينتمون الى القرية فى الاصل ، وان انتمائهم للجهاز الرسمى هو الاحدث ، فأن المنطقى هو أن يكون موقفهم أقرب الى موقف الفلاح من المسألة السكانية .. فما هو الحال ؟

١) فى تصورى ان المواقف الفعلية لعدد كبير من المنتمين لهذه الاجهزة ، لا يختلف كثيرعن موقف الفلاح بخصوص هذه المسأله مع وجود فارق فى الدافع كما سنرى من المشاهدات التالية :

أ ـ عند ما أوشكت فترة العمل الميدانى على الانتهاء ، حدث مصادفة ان التقيت فى مقابلة جماعية مع عدد من موظفى الوحدة المحلية باحدى القرى . وكانت علاقتى بهم قد توطدت بما يتيح لهم مهاجمتى بصفتى ممثلا لجهاز تنظيم الاسرة والسكان بادرنى احدهم قائلا : " مفيش فايدة فى حكاية تنظيم الاسرة دى ، وكمان دى حرام ، وانا شخصيا حا أفضل اخلف طول ما انا قادر اجيب عيال ، دول بيجوا ومعاهم رزقهم .. وضرب مثلا بنفسه وكيف ان طفله الرابع جاء ومعه الخير الكثير ، حيث حصل على عدة علاوات وترقيات فى وظيفته .. ثم بدأ يسخر منى بالاشارة الى اسماء محددة من كبار قيادات

القرية التنفيذية والشعبية الذين تعمدوا تضليلي في احــدى زياراتي المبكرة للقرية ، بالتظاهر بالموافقة على فكرة تنظيم الاسـرة وكيف انهم يطبقونها ذاكرين عدد ابنائهم الذى يقل كثيرا عــــن العدد الفعلي (ذكر لي الموظف هذا العدد الفعلي وهو يبلــغ اضعاف ماذكروه لي ، ويبلغ عند احدهم ٢٨ طفلا ، وعند اخــر ١٠ أطفال وهو لا يزال في اواسط عمره ولا يزال مستمرا في الانجاب) .. قال لي ذلك ، ومعظم الحضور يوافقونه على الاتجاه العـــام لحديثه لي ..

نلاحظ ان المفهوم المطروح هو تحديد النسل ،كما أن قضية التنمية غير مطروحه على الاطلاق .

ب ـ الامر لا يتوقف على التنفيذيين فقط بل يشمل القيادات الشعبيـــة ـ احد القيادات ـ وهو يتمتع بسمعه طيبه في القرية ـ اخذ يناقـش معي مسألة تنظيم الاسرة عدة ساعات ابدى خلالها قناعة يدعمهـــا منطق قوى تؤيده الامثله من حياة القرية ،بأن تنظيم الاســرة ـ باعتباره يعتمد على تحديد النسل ولو مرحليا ـ انما هو امر يضــر من يسلكه باكثر مما ينفعه .. في البداية قال لي ، لنتـــرك جانبا وجهة النظر الدينية ، ولنتحدث عن الجانب الاقتصادى .. وهو يرى ان من لديه عدد اكبر من الابناء ، يستطيع ان يوســع من نشاطه الاقتصادى وبالتالي زيادة دخله ورفع مستوى معيشتــه ، اما من يعمل بمفرده ، فسوف يبقى كما هو ان لم يتدهور مستـــواه الاقتصادى عندما يتقدم به العمر .. وضرب مثالا بنفسه ،وكيــف ان ابناءه الطلاب يعملون في الاجازة الصيفية ويحققون للاســـرة دخلا طيبا .. وضرب امثله اخرى بفلان من الناس الذى لم يتمكن ـ لسبب او لاخر غير تنظيم الاسرة ـ من الانجاب ،وكيف ان حالتــه الان بالغة السوء لانه يشعر بالوحدة ويفكر يوميا في الموت ،وكيــف انه لن يجد من يحمل جثمانه الى القبر أو يرثه .. وناقشته فــي أن الابناء يحتاجون لرعاية وانفاقات كثيرة قبل ان يكونوا قادرين علــى

الكسب والانتاج . فأيدنى فى ذلك ولكنه اوضح ان هذه الفتـــرة قصيرة جدا فى الريف . فلمجرد ان يبلغ الطفل السادســة أو السابعة من عمره يستطيع ان يحقق كسبا يفوق ما يحققه خريـج جامعى امضى فى عمله اكثر من عشر سنوات . وكيف ان هذا قــد لا يعوقه ـ الطفل ـ عن مواصلة تعليمه .. واخذ يجادلنى الحجـة بالحجه والبرهان بالبرهان . وانهى الحديث احد مرافقيه ـ الذى كان يتظاهر اثناء ذلك بانه لا يوافقه على عدم تنظيم الاسرة وتهيمنت بعد ذلك العكس ـ قائلا له : " ياسيدى خلف زى ما انت عايز . وتقـدر كمان تتجوز اربعه علشان تخلف اكثر . وما توجعش دماغنا والدنيـا صيام ".. وكانت خاتمة الحديث بالفة التعبير .. نسيت ان اذكر ان محدثى ناظر مدرسة ثانوى . وان مرافقه جامعى ايضا ويشغـل منصب وظيفى قيادى داخل القرية.

جـ ـ فى لقاء مع الطبيب البيطرى فى احدى القرى . وعندما علم اننـى موفد من جهاز تنظيم الاسرة والسكان . طرح على سؤالا موحدا : " أيه رأيك فى حكاية تنظيم الاسرة وانت اسمك محمد ؟! "

د ـ اما عن الشباب الجامعى من غير المتزوجين ـ والذين توطدت علاقتى بهم بشكل كبير ـ فبالرغم من انهم لا يعيشون هذه المشكلة بعـد . الا انهم ابدوا لى ضيقهم الشديد من ان كل الافلام السينمائيـة التى تعرض فى القرية على فترات متباعدة . تكون ذات مضمون يتعلق بتنظيم الاسرة . ولذلك فأنهم يضطرون الى الانتقال الى المدينـة القريبه لمشاهدة الافلام الاخرى الحديثه .. ونقلنا هذا للحديـث عن اعلانات تنظيم الاسرة . وهى منتشرة فى الريف من خلال اجهـزة الاعلام المختلفة . بل ان البعض يقوم بتسجيلها على شرائط "كاسيت" ويستمعون اليها من حين الى اخر . فذكروا انها لا تتعدى اغنيـة فلاحى ذات ايقاع محبوب قد تهتز له الاجساد . ولكن لا تتغيـر به المواقــف ..

ونلاحظ مرة اخرى ان قضية التنمية غير مطروحه .

٢ ـ وينعكس الموقف السابق في عدم اتخاذ اى اجراءات ـ على الاقل طوال فترة تواجدى بالقرية ـ فيما يتعلق بتوفير او تحسين أو الدعوة لتنظيم الاسرة ، او دعوة الجماهير للمشاركة في مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية .. وهذا ما تؤكده المشاهدات التالية : ـ

أ ـ جلست مع طبيب القرية عدة مرات في مناسبات مختلفة ، بل كنت ألتقي به كل يوم تقريبا و لم يحدث ان كلمني مرة واحدة عن تنظيم الاسرة او اللجنة الاستشارية .. فهو منشغل بمهامه المتعددة داخل القرية ومنها الوقاية والعلاج ومنها الموسمي والمستمر ، ومنها الطارئ ، ومنها المتعلق بالحياة والمتعلق بالموت ، ومنها المتعلق بمتابعة النظافة في مرافق القرية ، ومنها المتعلق بالشئون الادارية والعهدة ومتابعة جهاز من الموظفين ... ومنها ايضا تحقيق قدر من الكسب المادى يتفاوت مقداره من طبيب الى اخر .. ثم منها تنظيم الاسرة دعوة ووصفا وتوزيعا ومتابعة " .. وهو في العادة يكون الطبيب الوحيد المسئول عن مجموعة من القرى .. لكل ماسبق لم اسمع أو اشاهد اى نشاط له في مجال تنظيم الاسرة أو التنمية .

ب ـ لم تطرح المسألة السكانية بشقيها في مختلف الاجتماعات التي تسنى لي حضورها سواء اجتماعات اللجنة التنفيذية او اجتماعات المجلس الاعلى الشعبي .

د ـ القيادات الريفية النسائية ـ ومنهن الرائدات ـ لهن مشاكلهن المعروفة التي تعوق اداء دور مؤثر وفعال .. ولعل ما أوضحناه في هذه الدراسة يوضح لنا مدى الصعوبة التي يمكن ان تواجهها الرائدة الريفية في عملها ، . في احدى اجتماعات المجلس الشعبي المحلي لاحدى قرى الوجه البحري ، ما أن دخلت غرفة الاجتماع حتى اختفت بعد لحظا

ممثلة المرأة بعد ان كانت تجلس في احد اركان الحجرة - السيدة الوحيدة في حجرة مكتظه بالرجال - وبعيدا عن طاولة الاجتماع، وتبينت بعد ذلك انها تتابع الاجتماع من حجرة مجاورة انتقلت اليها نور دخولى غرفة الاجتماع وبعد قليل ارسلت من يهمس في اذن رئيس الاجتماع برغبتها في الانصراف ، فسمح لها .. وعلمت بعد ذلك من المسئولين بالقرية أنها مدرسة وليس لها علاقة بهذه الانشطة وانهم اضطروا الى اضافة اسمها حتى يكتمل للمجلس الشكل المطلوب .. وكيف انهم يفتقدون للقيادات النسائية في هذه القريــة .

وقد توصل " قدري حفني " لنتيجة تؤيد ماسبق ، مؤداها ان الوجود الفعلى للمرأة في اجتماعات اللجنة الاستشارية بالوحدة المحلية لقرية "كرداسة" انما هو وجود محدود للغاية[1] .

د - اجتماعات اللجنة الاستشارية غير منتظمه ، واصبح من الشائع ان الحصول على الجنيه (مكافأة حضور الاجتماع) أصبح هو الهدف .. بل هو الهدف الاول الذى ينجز في بداية الاجتماع وقبل كل شيء حيث يوقع الحاضرين على كشف الحضور ، وربما الهدف الاوحد . وتبين لى ان معظم قياداتها وخاصة الشعبين لايعرفون اهدافها .. احدهم قال لى : " بنقعد ونشوف اذا كان فيه حاجة نعملها بنعملها .. " آخر قال لى " بنمضي الكشوفات ، ونسأل الموظفين ".

---

(1) قدري حفني ، " تحليل مضمون محاضر اجتماعات اللجنة الاستشارية في الوحدة المحلية بكرداسة "، جهاز تنظيم الاسرة والسكان مكتب البحوث ، دور مايو ١٩٨١ (تحت النشر)

ويرى " قدري حفني " ان ماسبق ـ وغيره ـ انما هو جزء من ظاهرة اكثر شمولا وعمقا وهي ظاهرة خفوت العمل الشعبي بعامة ، ويعني بذلك " نقص الدافع الشعبي . ونقص هـــذا الدافع لا يرجع الى سبب واحد بطبيعة الحال . ولعل مـــن أهم الاسباب . وجود تاريخ قديم أرسى لدى الافراد قناعـــة راسخة بعدم فعالية وجدوى العمل الشعبي من حيث تأثيره على القرار التنفيذي . ولعله مما دعم تلك القناعة في حالتنـــا إسناد رئاسة اللجنة الاستشارية الى رئيس الوحدة المحليـــة المعين حكوميـــا .. "(١)

هـ ـ رئيس اللجنة الاستشارية في احدى القرى يقول لي : "تنظيـــم الاسرة مشروع فاشل لان الظروف تدفع الناس للانجاب .. ".

٣ ـ أما عن سمعة جهاز تنظيم الاسرة والسكان الشائعة بين هـــذه الاجهزة ، والتي سمعتها في اكثر من قرية ، وبالتلميح تارة وبالقول تارة اخرى ، فهي سمعة غير طيبة .. قالوا لي والمرارة تمتـــزج بحديثهم ،أن اموال المنح الامريكية التي ترد لجهاز تنظيم الاسرة يساء استخدامها ، فما فائدة تلك الندوات والدورات التدريبيـــة التي تعقد ـ مثلا ـ وخاصة انها باهظة التكاليف ـعلى حد علمهم ـ كما ان اختيار المحاضرين يخضع للمجاملات .. واشار البعض الـــى عدم خضوع هذه الاموال لاى نوع من الرقابة ".. والله أعلم الفلـــوس دي بتروح فين .. " وحقيقي ان ماسبق يشيع بشكل اكبر بين الاجهزة التنفيذية والشعبية ،الا انه يصل الى جماهير الفلاحين .. فـــفي احدى القرى عقدت ندوة حضرها احد المسئولين بجهاز تنميـــة بناء القرية ، وتحدث فيها عن هذا الموضوع وبالتحديد ،واشـــار بشكل مباشر الى ان المسئولين عن جهاز تنظيم الاسرة والسكـــان محددا بعض الاسماء ـ يعيشون من المال الحرام.

(١) قدري حفني .. المرجع السابق .. ص ٩ ـ ١٠

مجمل القول .. ان معظم التنفيذيين والشعبيين على مستوى القرية يتخذون موقفا سلبيا ضد تنظيم الاسرة قولا وفعلا وهذا ينعكس في عدم اتخاذ هذه الاجهزة لاى اجراءات تتعلق بالدعوة لتنظيم الاسرة او توفير وتحسين خدماتها .. ويرجع البعض هذا الموقف الى عدم اقتناعهم بتحديد النسل .. او الى ان ظروف الفلاح تدفعه للانجاب .. وتبقى خلفيه هذا الموقف السمعه العالية المالية السيئة لجهاز تنظيم الاسرة والسكان بينهم. اما قضية التنمية القائمة على المشاركه الشعبية فهى غير مطروحة.

ونلاحظ ان موقف اعضاء الاجهزة التنفيذية والشعبية ـ فى القرية ـ هو أقرب الى موقف الفلاح من المسألة السكانية ، بغض النظر عما اذا كان هذا الموقف نابعا من اقتناع بعض الاعضاء الذاتى ، او كان نابعا من محاولة التماشى مع واقع الفلاح والقرية ..

لاشك ان هذا يطرح قضية خطيرة تتعلق بأثر تعليم وتوظيف بعض ابناء القرية ـ الذين يعودون للاقامة بها والعمل فيها ـ على موقفهم من المسألة السكانية فى القرية المصرية .. وهل يحق لنا أن نعقد الكثير من الامال على متغيرات مثل التعليم والمهنه ـ باعتبارها ترتبط ايجابيا بتنظيم الاسرة ـ بالنسبة لمن يقيمون فى القرية ولم ينتقلوا الى المدينة ؟! الا ان هذا ليس سبيل الخوض فى تفاصيل هذه القضية.

ثانيا التنمية الاجتماعية والاقتصادية : الاسلوب :

ليس بخفى على احد ان الهدف الاساسى الذى تسعى اللجان الاستشارية الى تحقيقه هو دفع عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، بل انه لم يعد هناك خلاف على انه الطريق الوحيد لتجاوز المشكلة السكانية فى مصر والعالم الثالث ..

وتحاول اللجان الاستشارية تحقيق هذا الهدف عن طريق دعوة وتنشيط المشاركه الشعبية فى جهود التنمية تخطيطا وتمويلا وادارة ٠٠ فهل يمكن لفلاحنا ان يستجيب لهذه الدعوة ٠

الاجابة على هذا السوءال تتطلب التعرف على موقف الفلاح المصرى من الاجهزة التنفيذية و الشعبية نكذلك اللجنة الاستشارية ٠٠ وتتطلب ايضا التعرف على تصور هذه الاجهزة لروءية الفلاح لها ، ثم موقفه منه ٠٠ وهذا هو ما سنحاوله فيما يلى ٠٠

= موقف الفلاح من الاجهزة التنفيذية بالقرية :

(١) الاساس فى هذا الموقف هو الابتعاد وتجنب المواجهة ــ فى مختلف اشكالها ــ او على الاقل تقليل فرص حدوثها ٠٠ من المواقف التى تعبر عن هذا المعنى مايلى :

أ ــ تجنب الدخول فى عمليات ماليه اختيارية تكون الحكومه طرف فيها ، مثل مشروعات الامن الغذائى و بنوك التنمية بما ادى ببعض المحافظين الى ان يجعل الاشتراك فيها اجبارى على الفلاحين ، بعد ان كانت اختيارية ٠

ب ــ محاولة حل اكبر عدد ممكن من المشاكل بعيدا عن الاجهزة الحكومية تجنبا لتوسيع نطاق المشكله ، وتجنبا لاجهاد التعامل مع الحكومة ٠٠ فمثلا ، تبذل كافة المساعى العرفية لحل مشاكل الميراث داخل الاسرة قبل ان تتدخل الحكومة فى صنع الحل ، ونفس الشيء بالنسبة لمشاكل عديدة اخرى ٠

(٢) هذا الموقف السابق لم يأت من فراغ ، وانما هناك خبرات تاريخية متراكمه لازالت تلقى بظلالها على العلاقة ، ولا زالت بعض رواسبها قائمة ٠٠ بعض الفلاحين يعتبرون ان الحكومة باخذها للمحاصيل الزراعية ، انما هى تمارس الاستغلال لهم ، فثمن المحصول لايعادل قيمته وخاصة اذا كان للتصدير كالارز مثلا ٠٠ وهو لا يقتنع بأن يوءخذ

ارزة ــ او اى محصول آخر ــ ليصدر الى الخارج ، ثم يأكل هــو من الارز المستورد الاقل جودة والمدعم .. هو لا يقتنع بهذا كلــه .. ويظل التشكك المصحوب ببعض مشاعر العجز عن رفع هــذا الظلم ، ممتد الجــذور.

٣ ــ هذا الموقف السابق ــ الابتعاد والتجنب ــ غير متاح دائمــا .. ولابد من حدوث المواجهة ، فما الذى يحدث عندئذ ...

أ) المجاملــــه .. وهى بالطبع تتناسب مع موقع المسئـول ، اى قدرته على المنح والمنع ، انزال العقاب او رفــع الاذى .. فمثلا ، ينال المهندس الذى يقوم بعملية فرز القطــن قدرا كبيرا من مركز التجميع ، وهو فى الغالب من أبنـــاء القرية او مألوف لاهلها ــ بعكس الاخر ــ فانه لا يلقى نفــس القدر من المجامله لمحدودية سلطاته .. الا أن المجاملــه ليست الاسلوب الوحيد للمواجهة .. ففى بعض الاحيـــان يكون من الضرورى تقديم قدر من المال للمسئول المباشــره حتى يمكن ان يحصل بعض الفلاحين على حقوقهم .. واصبح هذا شبه قاعده فى القرية ، فاذا لم تدفع فهناك اخرون ، بل ان الامر يأخذ فى بعض الاحيان شكل المزايدة ، فمــن يدفع اكثر يحصل على حقوقه أولا .. هكذا جهارا نهارا .. فى احدى القرى ، حيث كان يجرى مد شبكه مياه الشــرب ، وفقا لخريطة حددها المجلس الشعبى المحلى وفقا لاســس وقواعد معينه .. اى ان بعض شوارع القرية لم تكن ضمـــن الخطة فى تلك المرحله .. جاء المهندس المسئول عــــن التنفيذ ، وطلب " الدخان " له وللعمال وقرر مبلغا معينا على كل شارع .. وخوفا من عدم ادخال المياه فى بعض الشوارع التى ضمن الخطه ــ فلاشئ مؤكد ــ تسابق سكان كل شـارع بدفع مبلغ اكبر حتى يضمنوا وصول المياه الى شارعهم .. فــى ظل هذا الجو ــ من يدفع اكثر ــ قام بعض اهالى الشوارع

التى لم تكن ضمن الخطة يدفع " الدخان " ، وبالفعـــل امتدت المياه الى شوارعهم وضرب المهندس بخريطـــة المجلس الشعبى المحلى عرض الحائط .. وعندما اشتكـــى بعض اهل القرية الذين أضيروا ، ما كان من المهنـــدس الا أن اوقف العمل بالمشروع ، عقابا لهم ..

ب) التحايـل .. لسان حال الفلاح فى هذا الشأن ـ الذى لايجد فيه اى غضاضه ـ على الحكومه ان تعطى مقابـــل ماتأخذه منى ، فان لم تفعل فانى آخذ ماأستطيع .. الامثله كثيره .. منها محاولة البعض التهرب من توريد بعـــض المحصول للانتفاع به وهذا ما دفع المسئولين الى ســـن القوانين الصادره التى تحرم ذلك .. ومنها قيام البعـــض بصرف اكثر من نوع من المعاشات التأمينية والاعانـــات الاجتماعية .. ومنها نقل البعض لبطاقاتهم التموينيـــة من القرية الى المدينة حتى يتمتع بالزيادة فى المخصصـــات التموينية التى يتمتع بها اهل المدينة .. امثله كثيرة ..

جـ) التقاعـــس .. فى لقاء مع احد المهندسيين الزراعييـــن ـ وهو من ابناء القرية التى تخضع لاشرافه ـ ذكر لى ـ شاكيـا ان الفلاح اليوم لا يعمل بنفس الكد والاجتهاد كما كان يفعل من قبل ، بالرغم من أن اعباء العمل اصبحت أقل الان بعد استخدام بعض الالات فى الزراعه ، وبعد ان أصبحـــت مديرية الزراعه تقدم له العديد من الخدمات .. وضرب لـــى مثالا .. فى الماضى كان الفلاح يتابع الصبيه الذين يجمعون لطع دودة القطـن " فى ارضه عن كثب مشجعا لهم احيانا ومهددا لهم احيانا اخرى ، وكان لا يهدأ طوال فترة العمل حتى يتأكد من حسن ادائه، اما الان ، فانه يتمدد مسترخيا على " رأس الغيط " ولا يلقى بالا لما يحدث من اولئـــك الصبيـــة .. وكان على ان أسأله تفسيرا لذلك ، فأرجعـــه

الى ان عملية المقاومة تتولاها الحكومة الان ، بينما كان هو - الفلاح - الذى يقوم بها من قبل .. فاذا اضفنا الى ذلك احتماع انه زرع هذا القطن لمجرد انه مضطر لزراعته واذا أضفنا الى ذلك حقيقة ان القطن اصبح غير قادر منافسة ايه زراعات اخرى من حيث ما يحققه من ربح للفلاح ، فان تصرح هذا الفلاح ومسلكه لايكون غريبا .

د) وبالرغم من كل ذلك الا ان الانضمام للبناء الحكومى لايزال أمرا مرغوبا فيه على الرغم من كل التغيرات التى طرأت على المجتمع والتى اخسرت من مكانه الوظيفه .. وكما ذكرنا ، فان بعض الفلاحين دفعوا الف جنيه (١٠٠٠ جنيه) للعمل فى موسسة حكومية داخل قرية نظير راتب شهرى قدره ثلاثون جنيها (٣٠ جنيه) .. وقد يبدو الامر نوعا من الجنون ، ولكن ما نحن بصدده هو استثمار مرتفع الفائدة مضمون ، لايمكن ان يحققه اى استثمار اخر ، فضلا عن ما يوفره هذا العمل من استقرار وضمان للمستقبل .

٤ - هذه الصورة تنسحب بدرجة او باخرى على كل من ينتمى لتلك الاجهزة الرسمية اقول مرة ثانية ، بدرجه او باخرى .. بمعنى أن هناك متغيرات اخرى تحكم قدر انسحاب هذه الصورة على مثل هذه الاجهزة .. منها موقعه وما يتيحه له من قدرة على المنح والمنع .. ومنها ما اذا كان من ابناء القرية ام لا .. .. وغيرها من متغيرات ..

مجمل القول .. ان فلاحنا يتخذ من الاجهزة الرسمية التنفيذية موقف ابتعاد وتجنب فى مختلف مجالات حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وان هذا الموقف نتاج خبرات تاريخية متراكمه تلقى بظلالها على انعلاقة ، ولا زالت بعض وقائعها قائمة .. الا ان الابتعاد والتجنب ليس

متاحا دائما ، وعندما لايكون هناك مفر من المواجهة فان فلاحنا يكون مجاملا .. متحايلا .. متقاعسا .. أو ينفض لهذا الصرح .. الحكومى ..

قد يجد البعض قدرا من الصعوبه فى قبول هذه الصورة .. ولكن لعل ما يجسد حقيقة الموقف انه فى الوقت الذى لا يستجيب فيه الفلاحون - فى معظم قرى الدراسة - لدعوات المشاركه فى المشروعات التنموية التى تنشأ فى تلك القرى ، فان نفس الفلاحين يشتركون فى بناء المدارس والمعاهد والمساجد التى تتجاوز تكلفتها مئات الالوف من الجنيهات يدفعونها لبعض رجال القرية - دون المطالبه بايصال فى بعض الاحيان .

ولقد سبقنا على رصد هذه الظاهرة - العلاقة بين الفلاح والاجهزة الرسمية - العديد من الدراسات(١) .

* موقف الفلاح من الاجهزة الشعبية بالقرية :

يمكن ايجاز الصورة العامة لهذه الاجهزة لدى الفلاح على النحو التالى ..

١) الاحتراف .. نتيجة لان الاسماء تتكرر عبر مختلف الاجهزة ومختلف الانظمه ولفترات طويله لاتنتهى الا بما يقعد صاحب الاسم .. فان صورته تبتعد بدرجة أو بأخرى عن صورة العمل التطوعى ، وتقترب من صورة الاحتراف " بتاع الانتخابات " .

---

(١) انظر مايلى على سبيل المثال لا الحصر :
- قدرى حفنى .. مرجع سابق ..
- عزت حجازى .. " الشخصية المصرية بين السلبية والايجابية الفكر المعاصر ، ع . ٥ ، أبريل ١٩٦٩ ص ٤٢ - ٤٩ .

٢) الاقتراب من السلطة التنفيذية .. وبحكم موقع العضو ، فانه يكون على اتصال بالمسئولين وفقا لمستوى عضويته ، وهذا فى حد ذاته يخلق هوة بينه وبين قاعدته ، " فقد اصبح منهم وليس منا " .

٣) كيف نجحوا .. ان سوء سمعة عملية الانتخابات من تكتلات وشلليه الى مايشاع عن حدوث تزوير ودفع رشوة .. كذلك مايقال عن الارقام التى ينفقها المرشحين من اموالهم بهدف شغل موقع للعمل التطوعى .. كل هذا يلقى الكثير من علامات الاستفهام فى ذهن الفلاح الذى يطلق لخياله العنان فى التفسير ، المهم انه خيال اساسة خبرات الواقع .

٤) التعميم بأن يتبوأ منصبا لا يعمل الا للحفاظ عليه .. الوقائع التى تذكر فى القرية عن ذلك لاتنتهى .. ولكن يبدو ان هذه المناصب تخلق حاجزا بين العضو وقاعدته الشعبية لاسباب كثيرة ، وان هذا الحاجز يزداد ، كلما صعد هذا العضو الى مستوى المركز أو المحافظة ..

مجمل القول .. ، ان فلاحنا ينظر الى السلطة الشعبية باعتبارها احترافا منها تطوع .. وتزداد الهوة بينه وبينها بسبب اقترابها من السلطة التنفيذية .. وسوء سمعة عملية الانتخابات .. والتعميم بأن من يتبوأ منصبا لايعمل الا للحفاظ عليه .

■ موقف الفلاح من اللجنة الاستشارية

نود ان نذكر القارئ بأن اللجنة الاستشارية تتكون اساسا من السلطتين التنفيذية والشعبية بالقرية .. بمعنى انها تتمتع بمكانة مختلف الاجهزة التنفيذية والشعبية فى قلب الفلاح وفضلا عن ذلك ، فان تكوينها هذا يعنى انها تجمع بين جناحيها جماعتين متناقضتين .. وكم من صدام حدث بين التنفيذيين والشعبيين ، وخاصة بعد انشاء المجالس

الشعبية — اعلى سلطة فى القرية وفقا للدستور .. التنفيذيون يعتبرون ان الشعبيين يفتقدون الى الخبرة الفنية والسمعة الطيبة التى تتيح لهم ادارة شئون القرية.. فى حين أن الشعبيين يرون ان التنفيذى موظف عليه تنفيذ ما يطلب منه دون ان يستغل موقعه استغلالا سيئا.. ويتم هذا التصارع بشكل علنى فى بعض الاحيان — يصل فيها الامر الى تدخل الشرطة — وبشكل خفى فى معظم الاحيان — حيث تحاك الخطط للايقاع بالطرف الاخر .. اما عن كيفية حل هذا الصراع ، فله أوجه مختلفة تحكمها امور كثيرة داخل كل قرية. وهكذا ، تضم اللجنة الاستشارية فى جنباتها قنبلة لاينزع فتيلها فى معظم الاحيان.

وعن اللجنة الاستشارية نورد مايلى :

١) ان اللجنة الاستشارية فى حالة عزلة عن معظم الشرائح العريضة بالقرية.. فلايعرف اسمها الا اعضائها وبعض الصفوة فى القرية .. ولا أذكر ان احدا من الفلاحين قد ذكر اسمها أمامى كما يحدث فى بعض الاحيان ويذكرون اسم المجلس المحلى.

٢) ان هذه العزلة قد ترجع الى تكوينها من ممثلى السلطتين التنفيذية والشعبية ، وقد اوضحنا موقف الفلاح من المسألة السكانية.

٣) ان هذه العزلة قد ترجع ايضا الى أهدافها ، وخاصة " توفير خدمات تنظيم الاسرة " ، وقد أوضحنا موقف الفلاح من المسألة السكانية.

٤) ضعف الامكانيات الفنية والمادية للجنة ، بما يجعلها غير قادرة على القيام بدور ايجابى ملموس بغية تحقيق هدفها الثانى " التنمية الاجتماعية والاقتصادية " ، وخاصة بعد ان دخل الى الساحة محترفى الاستثمار والتنمية ..

٥) وربما يرجع ذلك الى عدم معرفة بعض اعضاء اللجنة باهدافها ، وهو ما اتضح لى من سؤال بعضهم ، وعلى عدم ايمان — بعض من يعرفون الاهداف — بها ..

مجمل ما سبق ، ان اللجنة الاستشارية لاتختلف عن أي تشكيل تنفيذى او شعبى فى القرية .. فضلا عن انها تجمع جنباتها جماعتين متناقضتين لايتاح للصراع الذى بينهما ان يرى النور فى معظم الاحيان .. وهى فى عزله عن الجماهير العريضه .. وربما يرجع ذلك الى تكوينها .. او الى اهدافها وضعف امكانياتها الفنية والمادية .. او الى عدم معرفة بعض اعضائها باهدافها ، وعدم ايمان البعض الاخر بتلك الاهداف .

ماسبق يفسر لنا عدم وجود اى دور يذكر اللجنة الاستشارية فى المشاريع التنموية التى تدار فى القرى ـ مجال الدراسة ـ والتى تتولاها الاجهزة التنفيذية .. وعدم وجود اى دور يذكر لها فى المشاريع المقامة على الجهود الذاتية فى تلك القرى ..

* تصور الاجهزة التنفيذية والشعبية لموقف الفلاح منها :

حتى تكتمل الصورة وضوحا ، نعرض الان لتصور الاجهزة التنفيذية والشعبية لموقف الفلاح منها .. هل التصور السابق له صدى لديهم ..

١) يرى هؤلاء القيادات انهم موضع تشكك الفلاح ، بما يدفعهم فى بعض الاحيان الى اتخاذ المزيد من الحرص فى عملهم درءا للشبهات .. ويسوقون الوقائع التالية :

أ ـ طبيب احد الوحدات الريفية ذكر لى انه يعانى من تشكك الفلاحين فيه ، نهم يتصورون دائما ان لديه دواء يمنعه عنهم ، لكى يقدمه لمرضى الكشف الخصوصى .. وهو ينفى ذلك بشدة مستندا الى كشوفات رسمية تبين عملية صرف الدواء .

ب ـ موظف اخر يخبرنى بأنه يعلم ان هناك كلام كثير يقال عليه من أهل القرية ، يتعلق بذمته وطهارة يده ، ولكنه اعتاد هذا

فى كل القرى التى يعمل بها يتعلق بذ مته ، وانه لاسبيل لايقاف
هذا الكلام ، وطالما المرء يثق فى نفسه فلا يجب ان يهتم ..

جـ — فى احد الوحدات المحلية ، تقرر عدم شراء سيارتى الميكروباس
من القطاع الخاص — كما كان مقررا — على ان يتم الشـــراء
من القطاع العام ، وذلك حتى لايقال ان هناك عمولات قـــد
دفعت لاحدهم ، او غير ذلك .. هذا القرار اتخذ فى اجتماع
اللجنة التنفيذية فى احدى القرى ، حيث تمنى لى حضـــور
هذا الاجتماع ..

٢) هناك صعوبة — قد تبلغ درجة الاستحاله — فى ان يشارك الفـــلاح
فى المشروعات التنموية التى تتولاها هذه الاجهزة .. هذا مايعرفه
جيدا اولئك القيادات ، ويرجعونه الى عدم ثقة الفلاح فى الموظف
والاجهزة المختلفة ، بل ان البعض يعتبر ان هذا هو احد معوقات
التنمية الريفية الرئيسية .. فى حين يوجهه اخرون الى ان الفلاح
يتوقع ان يقدم له المسئولين مختلف الخدمات والمرافق فى مقابـــل
ما يأخذونه من محاصيـــل ..

مجمل القول .. ان القيادات التنفيذية والشعبية فـــى
القرية يدركون انهم موضوع تشكك الفلاح بما يدفعهـــم
فى بعض الاحيان الى اتخاذ المزيد من الحرص فـــى
عملهم درءا للشبهات .. وهم لذلك يجدون صعوبـــة
— قد تبلغ درجة الاستحالة — فى ان يشارك الفـــلاح
فى المشروعات التنموية التى تتولاها هذه الاجهزة ..

وهكذا يتضح لنا الصعوبة التى يواجهها هولاء القيادات بلجانهـم
المختلفة — بما فيها اللجنة الاستشارية — فى تحريك وتوجيه واستثمـــار
الطاقات والقدرات الشعبية فى الحركة التنموية الشامله المأموله .. وان
كان هذا لايعنى عدم وجود مشاريع تنمية فى هذه القرى ، الا أنها تتـــم
خارج نطاق المشاركة الشعبية ، والمجال هنا لايسمح بتقييمها .

■ موقف الاجهزة التنفيذية والشعبية من الفلاح :

ماهو رد فعل تلك الاجهزة من موقف الفلاح منها بعد ان عرفنا ان هذه الاجهزة تدرك تماما هذا الموقف بوضوح ؟ .. بطبيعة الحال فاننا لانتوقع رد فعل واحد ..

أ — البعض ينتهز فرصة أزمة الثقة بين الفلاح وبين الاجهزة المختلفة ، فيستغل موقعه مصورا للفلاح انه يقدم له خدمة خاصة ماكان ليحصل عليها الابعد جهد جهيد ، وذلك فى مقابل بعض المال أو أى شئ آخر .

ب — وهذا يعكس — فى جانب منه — تصورا بأن الفلاح بسيط ، يقبل اى شئ — مهما كان قليل — يرضى .. " ريحه بأى كلمتين .. " بل ان البعض — مدفوعا بهذا الفهم — يحاول استغلال الفلاح بصورة بالغة السوء .. من ذلك مثلا انتشار طريقة الفحص الطبى بمجرد سماع الشكوى ودون اجراء اى نوع اخر من الفحص .. وهذا مايفسره الفلاح بطريقة اخرى ..

جـ — التشكك فى الفلاح .. الا ان فكرة البساطه (أو السذاجه) تلك تزول سريعا او تقترن بها فكرة انه " حويط ولئيم " ، كما قال لى احد الموظفين " .. كنت فاكر ان الفلاح عبيط ، لكن ده يقدر يوديك البحر ويرجعك عطشان " .. " (هذا الموظف من اصول حضرية) .. ويقترن بهذا الاحساس ان يتخذ البعض بعض اجراءات الحرص والحيطه عند التعامل معه ..

د — لا فائدة من الفلاح .. فهو لا يستجيب لاى شئ حتى ولو كان لمصلحته .. وهذا يرجع لانخفاض وعيه الذى يرجع لارتفاع نسبة الامية .. هكذا يقرر البعض الاخر .. الا ان البعض لا يتوقف عند مجرد تقرير ذلك ، بل يقررون تمضيه فترة خدمتهم بالقرية بأى شكل استعدادا لانتهاز اى فرصة للحصول على عمل فى المدينة او فى دولة عربية .. احد الاطباء لايبقيه فى القرية سواى ان يكمل

الادنى من سنوات الخبرة المطلوبة للعمل في احدى الـــدول العربية .. في حين ان بعض ابناء القرية العاملين بها يشعرون بالندم الشديد لانهم قبلوا في الاصل ان يعملوا بها ، ولم يتركوها للعمل في المدينة حيث فرص الحياة اكثر وأوسع .

مجمل القول .. ان بعض المنتمين للاجهزة التنفيذية والشعبية يستغلون مواقعهم في استغلال الفــلاح متنهزين ازمة الثقة بينه وبين تلك الاجهزة ، وهـــذا يعكس في جانب منه تصورا بأن الفلاح بسيط (ساذج) وذلك التصور الذي يزول سريعا او يقترن به تشككـــا في الفلاح ونسبيا لسوء النيه له ، ومن ثم الحرص فـــي التعامل معه .. كما ان البعض الاخر يصل به الامـــر الي القول بأن لافائدة في الفلاح ، فهو لا يستجيب لاي شيء حتي ولو كان في مصلحته هو ..

مجمل تركيبـــي .. وتعليـــق :

يرى الفلاح المصري ان المسألة السكانية مشكلة أهم مظاهرهـــا نقص الايدى العاملة الزراعية وارتفاع اجورها بسبب التعليـــم ، والالتحاق بالوظائف الحكومية والهجرة المؤقتة أو الدائمـــة .. وهو يواجه هذه المشكلة بالانجاب ، والزواج المتعـــدد ، والزواج المبكر للابناء لاضافة قوى عمل زوجة الابن ثم الابنـــاء بعد ذلك (الاحفاد) ، فضلا عن انه في هذه الظـــروف يفضل الابن الفلاح علي الابن المتعلم كثير المشاكل مرتفـــع الطموح ويتخذ معظم التنفيذيين والشعبيين ـ علي مستـــوى القرية ـ موقفا سلبيا ضد تنظيم الاسرة قولا وفعلا مرجعيـــن ذلك لاسباب مختلفة منها ما يتعلق بقناعتهم الشخصية بذلـــك ومنها ما يتعلق بمحاولتهم التماشي مع موقف الفلاح والقريـــة .

.. في حين ان قضية التنمية القائمة على المشاركة الشعبيـــة غير مطروحة لديهم ... ويرجع هذا لموقف الفلاح المصري من من الاجهزة التنفيذية القائم على الابتعاد والتجنب لاسبـــاب تاريخية واخرى راهنة . ولموقفه من الاجهـــزة الشعبيـــة التي يرى فيها مجموعة من المحترفين بأكثر من المتطوعيـــن . الذين يصلون عن طريق انتخابات سيئة السمعه ، وعند مـــا يصلون لايسعون الا لتحقيق مصالحهم الخاصة . وكذلـــك لموقفه من اللجنة الاستشارية التي تجمع بين جنباتهـــا وبين التنفيذي والشعبي . وان كانت اكثر عزلة لاسباب مختلفه .. هذا الموقف يصل الى الاجهزة التنفيذية والشعبيـــة في القرية بوضوح . فهم يعرفون انهم موضع تشكك الفلاح ،وهذا يدفعهم الى الحرص في التعامل معه ومبادلته التشكك ،فضلا عن ان البعض يعمل على استغلاله ،ثم مجموعة اخرى فقـــدت الامل في ان يثمر اى مجهود مع الفلاح حتى ولو كان هـــذا المجهود لصالحه .. والجميع يجد صعوبة تبلغ درجة الاستحالة في دفع الفلاح للمشاركة في المشاريع التنموية التي تتم من خلال اجهزتهم سواء التنفيذي او الشعبي او المشترك ..

ماسبق يعنـــي الاتـــي :ـ

١) ان هناك تباينا ـ يبلغ حد التناقض في بعض الاحيان ـ بين موقف الفلاح من المشكلة السكانية وبين الموقف الرسمي منها .

٢) ان ممثلي الموقف الرسمي في القرية ـ في معظمهم ـ يتبنون موقفـــا اشبه بموقف الفلاح من المشكلة السكانية .

٣) ان اللجنة الاستشارية نتيجة لتكوينها من التنفيذيين والشعبييـــن ـ اساسا ـ بما يؤدى الى ان ينسحب عليها موقف الفلاح ـ الـــذى اوضحناه ـ من مختلف الاجهزة التنفيذية والشعبية . ونتيجـــة لاسلوبها الخاص القائم على دعوة وتنشيط المشاركة الشعبية في عملية

التنمية ، تقول ان اللجنة الاستشارية بوضعها الحالي تجد صعوبة تبلغ درجة الاستحالة في معظم الاحيان في تحقيق اهدافها .

وبالرغم من مايحمله مشروع السكان والتنمية من نوايا طيبه ، الا أنه اغفل بحق الالمام بمايلي :

١ - موقف الفلاح الحقيقي من المسألة السكانية .. كما ينعكس ذلك في اهداف المشروع ..

٢ - علاقة الفلاح بالاجهزة التنفيذية والشعبية ، كما ينعكس في التكوين والاسلوب ..

وبالرغم من أن القائمين على المشروع قد تعمدوا نفي الصيغة المركزية على المشروع ، تحسبا لموقف الفلاح مما هو مركزي ، ولتفادي الهوة الضارية ، الا أن هذا النفي كان ظاهريا حيث ان الاهداف وأسلوب تحقيقها قد تحدد مركزيا ، ثم اوكل التنفيذ للمستوى المحلي في نطاق خطوط عريضة محددة ، وامكانيات محدودة ، فكان التناقض بين دور اجهزة القرية التنفيذية والشعبية كممثله للموقف الرسمي ، وبين دورها النابع من الانتماء العميق ممتد الجذور للقرية ..

وبعد .. فان الامر جد خطير ، فاذا كان هذا هو حال واحد من اكثر المشاريع جدية وأوفرها اخلاصا من القائمين عليه ، فما بالنا بجهود اخرى عشوائية كثيرة ليس من الصعب على رجل الشارع ان يحكم عليها بالفشل .. وفي نفس الوقت تزداد المشكلة السكانية تفاقما ويزداد المجتمع تعرضا للخطر المدمر ، وهذا في حد ذاته شاهد اثبات بأن الجهود المبذوله لاتحقق المأمول منها ، ان لم تكن قد فشلت فشلا ذريعا .

ولاشك أن التنمية الشامله هي طريق الحل ، ولكن علينا ان نختار ما يتناسب مع طبيعة مجتمعنا - المتعدد - من أساليب وطرق لتحقيق هذا الهدف ، من ناحية ، وان يخيط بوضعيه القرية المصرية باعتبارها جزءا من المجتمع المصري ، الذي يشغل بدوره وضعية معينة في المحيط الدولي .

قائمة بالمراجــــع

= احمد ابو زيد " الطريقة الانثربولوجية لدراسة المجتمع " مجلة كليــة الاداب ـ جامعة الاسكندرية ، ع١٠ ، ١٩٥٦ ، ص٨٥ ـ ٩٩ .

= احمد عبد الفتاح " مشروع السكان والتنمية (ورقة عمل) " دراســات سكانية ، ع ٤٩ ، ابريل / يونيه ١٩٧٩ ، ص ٥٩ ـ ٧٤ .

= عزت حجازى ، " الشخصية المصرية بين السلبية والايجابيــــة " . الفكر المعاصر ، ع٥٠ ، ابريل ١٩٦٩ ، ص ٤٢ ـ ٤٩ .

= قدرى حفنــى ، " حول التكوين السيكلوجى للفلاح المصــــرى دراسات ، ع ٧ ، ابريل ١٩٧٤ .

= ـــــــــ ، " دراسة فى الشخصية الاسرائيلية " الاشكنازيم " مركز بحوث الشرق الاوسط ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٥ .

= ـــــــــ ، " انماط الوعى والسلوك لدى الفلاح المصــــرى تجاه تنظيم الاسرة " ، دراسات سكانية ، ع ٥٧ ، أبريل / يونيه ١٩٨١ (تحت النشر) .

= ـــــــــ ، " تحليل مضمون محاضر اجتماعات اللجنـــــة الاستشارية فى الوحدة المحلية بكرداسة جهاز تنظيم الاســرة والسكان ، مكتب البحوث ، مايو ١٩٨١ (تحت النشر) .

= Babbie R.E., The Pratice of Social Research, (2ed ed.) Wadworth Pubishing Com., Belmont, California. 1979.

= Harkabi Y., Arab attitudes towords Israel. (Translated by: M. Louvish), Holt, 1972.

= Spindler G.D., (introductian) Beeing an Anthropologist, (eds.) Holt Rinhart, Winston, N.Y., 1970.

= Spindler G.D.L. Spindler, "Fieldwork Among the MINOMINI", In: G.D. Spindler, Beeing an Anthropologist, (eds.) Holt, Rinhart, && Winston , N.Y. 1970.

= Spiro E.M., Children of the Kibbuty , Schooken Books, N.Y., 1965.

الباب الثالث

ـ

المشكلة السكانية

ـ

(١) السلوك الانجابى وتيارات الفكر العالمى

(٢) علم النفس والسلوك الانجابى

١٠٣ ـ السلوك الانجابى وتيارات الفكر العالمى

يرى لين سميث فى كتابه " أساسيات علم السكان " ان العالـــم الانجليزى جون جرونت يمكن أن يعد بمثابة المؤسس الاول لعلــم الديموجرافيا ، بل وعلم الاحصاء كذلك . فلقد نشر جرونت عام ١٦٦٢م تقريرا بعنوان " ملاحظات سياسية وطبيعية على قوائم الموتى " ، أورد فيه عددا كبيرا من الملاحظات الديموجرافيه التى لم تفقد صحتها حتى اليوم بل ولم تفقد حداثتها كذلك . لقد توصل جرونت مثلا الى تبين أن ثمــة هجرة كبيرة ومستمرة تتجه من الريف الى المدينة ، وأن هذه الهجـــرة تجتذب الى صفوفها أساسا ابناء الاسر كبيرة العدد ، وان معدل الخصوبه فى الريف اعلا منه فى المدينة . [1] بل أن ثمة من يرى أننا نستطيـــع تتبع جذور النظريات السكانية فى كتابات كونفوشيوس (٥٥١ ــ ٤٧٩ ق م) وأفلاطون (٤٢٧ ــ ٣٤٧ ق . م) [2] .

ولعله يبدو غريبا اننا نجد انفسنا بعد مضى ما يكاد يجـــاوز العشرين قرنا من الاهتمام بظاهرة السكان ، مازلنا نشهد جدلا شديدا حول تفسير هذه الظاهرة ، وجدلا أشد حول طبيعة الموقف الذى ينبغى اتخاذه حيالها .

يقول ستايكوس فى مقال له نشر عام ١٩٦٣ " لعلنا لانجاوز الصواب كثيرا اذا ما قرنا ان معرفتنا حتى الان بتوقعات ورغبات وممارسات البشر فيما يتعلق بأنجاب الاطفال تقل كثيرا عن نظيرتها فيما يتعلق بزراعـــة القمح أو شراء اجهزة التليفزيون مثلا " [3] .

---

(١) لين سميث ، أساسيات علم السكان ، القاهرة : الدار القوميـــة للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ، ص ١٠٨ .

(2) U.N. " The determinats and concequences of population trends; A summary of the findings of studies on the relationships between population changes and economic and social conditions" Population stud es, UN, 1953, No. 17 PP. 21 - 44.

(3) Stycos, J.M. "Obstacles to programs of population control : Facts and fancies Marriage and Family Living, 25, 1963, 25, 1963, 5- 13.

وفى رأينا ان استمرار هذا الجدل الحاد طوال تلك الحقب الطويلة انما يرجع الى أن الظاهرة السكانية لايمكن تناولها فى اطار اكاديمى متخصص محدود فى معزل عما يموج به العالم المعاصر من صراعات فكرية وسياسية ٠

ويقول عالم النفس الامريكى م٠ بريوستر سميث فى مقال له نشر عام ١٩٧٢ بعنوان "الجوانب الاخلاقية فى السياسات السكانية : وجهة نظر لواحد من علماء النفس " يقول :

" ان تناول أى سياسة سكانية معلنة ، يؤدى بنا مباشرة "
" الى خضم القضايا السياسية والاخلاقية٠ أما الطابع "
" السياسى لتلك القضايا فيرجع الى حتمية تعرض السياسات "
" السكانية لصالح سياسية متصارعة٠ كما يرجع الطابع "
" الاخلاقى الى ضرورة ان تقوم تلك السياسات على تحديد "
" الاولويات بالنسبة لقيم متصارعة " (١)٠

لابد لنا قبل أن نتلمس موقعا بين تيارات الفكر العالمى لظاهرة السكان أن نلقى بنظرة عجلى على نماذج من النظريات الحديثة فى هذا المجال ٠

لقد تبنى كول وهوفر فى نهاية الخمسينيات نظرية عرفت بأسم نظرية التحول الديموجرافى Demographic transition وتقوم هذه النظرية على التسليم بأن ثمة قانونا يحكم التغيرات السكانية ، وان هذا القانون يرتبط بالتغيرات الاقتصادية والتاريخية المتتابعة التى يشهدها المجتمع :

---

(4) Smith, M. Brewster "Ethical implications of Population Politics: A Psychologist's view", American Psychologist 27 (1), 1972, 11 - 15.

" يتميز الاقتصاد الزراعي ذو الدخل المنخفض بارتفاع معدل المواليد "
" والوفيات . وبينما تكون معدلات المواليد ثابتة آنذاك ، فـــان "
" معدلات الوفيات تتذبذب بتفاوت الشروات ، وعندما يتحول الاقتصاد "
" نحو المزيد من اقتصاد السوق المتخصص ، فان معدل الوفيـــات "
" يتناقص . ويظل في تناقصه متأثرا بتحسن التنظيم والمعرفة والرعـــاية "
" في المجال الطبي . ثم لا يلبث بعد ذلك أن يبدأ معدل المواليد "
" في الانخفـاض ايضا .. [1]

ويعتبر ك . دافيز من أنصار نظرية الاستجابة ذات الاوجه المتعددة Theory of Multiphasic Response ، وتقوم هـــذه النظرية اساسا على أن التنبيهات الاجتماعية القوية تؤدى الى العديد من الاستجابات التوافقية المتنوعة وليس الى استجابة واحدة حتمية [2] .

ويتبنى كل من بيكر ، وايسترلين ، وشبنجلر ما يسمى النظريـــة القرار الاقتصادى Economic decision theory والتى تقـوم على النظر الى انجاب الاطفال باعتباره اختيارا اسريا تحدده العلاقـات المتبادلة بين الدخل ، وما تتكلفه تربية الاطفال ، وما يرتبط بالاطفـــال وانجابهم من تفضيلات وقيم [3] .

---

(1) Coale, A.J. & E.M. Hoover Population growth and economic development in low - income countries, Princeton Univ. Press, 1958 pp. 12 - 13.

(2) Davis, K. "The theory of change and response in modern demographic history", Population Index, 1963, 29 345 - 366.

(3) Becker, G.S. "An economic analysis of fertility" IN, National Bureau of Economic Research, (Ed.) Demographic and economic change in developed Countries, Princeton Univ Press, 1960, pp. 209-240.
Easterlin, R.A. "Toward a socio-econmic Theory of fertility: A survey of recent research on economic factors in American fertility", IN, J. Behrman, et al. (Eds.) Fertility and Family planning: A world view, Univ. of Michigan Press, 1969, pp. 127 - 156.
Spengler, J. "Values and ferti ity analysis", Demography, 1966, 3, 109-130.

ويرى سميث أننا " نستطيع النظر الى خصوبة السكان باعتبارها نتاجا للعديد من الافعال والقرارات الفردية التى يتم اتخاذها داخل اطار من الضغوط البيولوجية والبيئية (١) .

لقد فضلنا ان نعرض لهذه النماذج من المحاولات النظرية لتفسير ظاهرة السكان دون تعليق ، ومستهدفين فحسب ان نلمس مدى تباين واختلاف الجهود النظرية فى هذا المجال . ولو أضفنا الى هذا التباين والاختلاف حقيقة أن النظريات والاجتهادات فى هذا المجال قد تعددت وتراكمت بحيث اصبح مجرد حصرها يعد مشكلة فى حد ذاته لاتضح لنا مدى ضرورة - وصعوبة - التوصل الى اطار نظرى لتصنيف هذه الاجتهادات و النظريات .

ولقد تعرض طومبسون ولويس لمشكلة التصنيف هذه ، وحاولا التفرقة بين " النظريات الطبيعية " التى تقوم على النظر الى الانسان والطبيعة نظرة حتمية آلية ، و " النظريات الاجتماعية " التى تقوم على أنه ليس ثمة قانون طبيعى ثابت يتحكم فى النمو السكانى . بل ان هذا النمو انما يتحدد بخصائص الانسان الموروثة والتى تتطور فى المحيط الكلى (الفيزيقى والحضارى) الذى يعيش فيه . وقد ساعد هذا التصنيف المؤلفان على التوصل الى أن مسار التاريخ فى هذا المجال - أى فى مجال تفسير الظاهرة السكانية - قد اتجه من النظريات الطبيعية الى النظريات الاجتماعية (٢) .

ولسوف نحاول أن نلتزم بتصنيف اكثر ملاءمة لتبيين تأثير تيارات الفكر العالمى على فهم ظاهرة السكان .

---

(1) Smith, M.B. Social psychology and human values Aldine Publishing Co., 1969, P.292.

(2) Thompson, W.S. & D.T. Lewis Population problems , (5th ed.) McGraw-Hill, 1965 pp. 52.

أولا : الاتجــاه التجزئيـــــى :

ويقوم هذا الاتجاه فى جوهره على عزل الظاهرة السكانية عمــا يحيط بها من ظروف اجتماعية وتاريخية ، والقول بأن ثمة قوانين أبديــة ثابتة للسكان لاترتبط ارتباطا جوهريا ببقية القوانين الاقتصاديــة التاريخية التى تحكم الظواهر الاجتماعية جميعا .

ولعل الجذور الحديثة لهذا الاتجاه تتمثل فى فكر رجل الكنيسة الانجليزى مالتوس (١٧٦٦ — ١٨٣٤) الذى أصبح اسمه علما على اتجاه فكرى كامل فى مجال الدراسات السكانية . ويقوم الفكر المالتوسى فــى جوهره على ان ثمة تفاوتا طبيعيا وحتميا ومطلقا بين حجم وسائل السكان الذى يتزايد وفقا لمتوالية هندسية . ولقد اعتمد تضيق هذه الفجــوة فى العصور البدائية على ثلاثة عوامل كبرى هى لافتراس والمرض والمــوت جوعا . ثم لم يلبث أن حلت محلها الحروب والاوبئة والمجاعات . وهــى جميعا — فى اطار الفكر المالتوسى — عوامل طبيعية وحتمية .

ونستطيع ان نستخلص من ذلك دون عناء كبير أن سعى البشر الى الحد من الحروب والاوبئة والمجاعات ، لابد وان يؤدى بالضرورة الى اتساع الفجوة بين حجم السكان وحجم ما هو متوافر من ضـــرورات لحياتهم ، أى الى ازمة سكانية مستحكمة ، لابد وأن تدفعهم حتمــا الى دوامة الحروب والاوبئة والمجاعات من جديد .

ولقد يبدو للوهلة الاولى ان ثمة حلا يتمثل فى اقناع البشـــر بالتقليل من انجابهم . الا انه فى اطار الفكر المالتوسى ، بل وايضــا لدى بعض المعاصرين من المتأثرين بالفكر المالتوسى ، يبدو وكأن هذا الحل حلما بعيد المنال .

ولقد نظمت الامم المتحدة مؤتمرا عالميا للسكان فى بلجراد عـــام ١٩٦٥ . وكان ممن حضروا المؤتمر الدكتور رودريخ فون انجرن ستيرنبرج ممثلا لجمهورية المانيا الاتحادية . وبعد ان عرض ستيرنبرج لضخامــة المشكلة السكانية فى العالم ، ومدى الاخطار التى تحدق بالحضـــارة

الانسانية نتيجة للانفجار السكاني الذى تشهده الدول النامية ، تناول الموقف قائلا [1] :

" اذا ما ارادت تلك الدول ذات الحضارات غير الاوربية [2] "
" ان تغير من عاداتها التقليدية في الانجاب ، فان عليها "
" أولا وقبل كل شيء أن تحدث ثورة في عقليتها تقفز بها "
" في الاتجاه الاوربي الغربي ، فهل هذا ممكن ؟ هل يمكن "
" لتلك القفزات العقلية التي اصبحت بمثابة الاساس للنمط "
" السائد للسلوك الانجابي في اوروبا الغربية في نصف القرن "
" الاخير ، أن تتسلل في المستقبل القريب الى المراكز "
" الحضارية للصينيين أو المسلمين او الهندوس ؟ انه لامر "
" بعيد الاحتمال تماما ... ولذلك فان الدعوة الى تقليل "
" معدل المواليد لم تلق اى نجاح ملحوظ في الشرق . "

ولم يطرح ستيرنبرج حلا للمعضلة ، غير أن أ . ف . هيل كان قد طرح قبل ثماني سنوات من موتمر بلجراد تساولا يشي بخطورة الحل المقترح ، وذلك في مقال له نشر عام ١٩٥٢ بعنوان " الازمة الاخلاقية لرجل العلم " يتعرض فيه اساسا للتساول عن مدى ضرورة الالتزام بالمبادئ الاخلاقية اذا مالم تعد الظروف مناسبة لها ، واختيار هيل مثالا _ يوضح به وجهة نظره _ يدخل في صميم موضوعنا ، يقول هيل [3] :

---

(1) Ungern-Sternberg, R. "Les Conceqences futures de l'accroissement de la population en Europe comparé a celui de l'Asie, surtout de la Chine et de l'Afrique du Nord", U.N, Belgrade, report No. 17, 1965 .

(٢) التأكيدات من لدينا

(3) Bernal, J.D. Science in history, Watts, 1957, pp. 680-681.

" فلنسلم بأننا قد تأكدنا الان بما لا يدع مجالا للشك أن "
" ضغط متزايد السكان ، الذى لاتحد منه الاوبئة، سوف "
" لا يودى فحسب الى انهاك التربة الزراعية وبقية مصادر "
" الثروة بل انه سوف يودى ايضا الى استمرار وزيادة التوتر "
" والاضطراب على النطاق الدولى مما يجعل من استمرار "
" الحضارة فى حد ذاته امرا صعبا . ترى هل على غالبية "
" البشر من ذوى العقل والانسانية أن يغيروا من مبادئهم "
" أذن ؟ اذا كانت مبادئنا الاخلاقية تنكر علينا حقنا "
" فى اتيان الشر، ترقبا للخير ، فهل لدينا مايبرر الان "
" الالتزام بفعل الخير ، اذا ما كان المستقبل القريب المرئى "
" لا يحمل الا شرا ؟ "

وعلى أى حال ، ورغم صعوبة الخروج من المأزق المالتوسى ، فان الحل العملى الوحيد الذى يظل مطروحا فى نطاق المالتوسية بصورتها الحديثة هو الحد من المواليد ، الذى يعتبره جوليان هكسلى " بمثابة الاساس الذى لاغنى عنه لاى تحسين راديكالى لاحوال جماهير البشر "(1).

أما ساكس فانه يطرح الامر بشكل اكثر وضوحا فى كتابه " الانفجار السكانى فى العالم " اذ يقول (2) :

" اذا ما تمكنا من السيطرة على النمو السكانى ، فان لدينا "
" من المعرفة ومن الموارد المتاحة ما نستطيع به أن نكفل "
" حياة طيبة لسكان العالم قاطبة ، ولسوف يعتمد ضبط "
" النمو السكانى فى المستقبل كما اعتمد فى الماضى على "
" الحروب والكوارث والامراض الا اذا ما تم على الفور تخفيض "

---

(1) Huxley, J. Population Crisis and the use of world resources, The Hague, 1964, p. 11.

(2) Sax, K. The World's exploding population, Boston Un. Press, 1960, p. 192.

" لمعدل المواليد في كافة انحاء العالم ... "

ويقول ساكس ايضا ، في كتاب له صدر في نفس العام (1) :

" ان اختراع وسائل لمنع الحمل ابسط وارخص واكثر فعالية "
" من تلك المتوافرة حاليا ، وسوف يسهم في تحسين الاحوال "
" المعيشية للجماهير في العقود القليلة القادمة باكثر "
" مما يمكن أن تسهم به كافة تلك البحوث الصناعية الباهظة "
" التكاليف التي نجريها الآن ".

خلاصة وجهة النظر هذه اذن أن العوامل الديموجرافية ذات القوانين الطبيعية المستقلة تمثل السبب الرئيسي للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها العالم ـ وبخاصة الدول النامية، ومن ثم فانهم ينتهون الى أن الاسهام في التغلب على تلك المشكلات انما يتمثل فحسب في تنظيم النسل .

وكما أن لهذا الموقف انصاره ، فان له ايضا معارضيه . يقول ياروبولك جوزيفاتي (2) :

" بصرف النظر عن النوايا الذاتية لهؤلاء العلماء المهتمون "
" بالموقف الديموجرافي الحالي ، فان تأكيدهم على أن "
" ضبط النسل هو الشرط الاساسي لتحسين أحوال المعيشة "
" لشعوب العالم الثالث ، يؤدي حتما الى النتيجة "
" المالتوسية حول الاصل الطبيعي غير الطبقي لهذه "
" المشكلات . مما يؤدي بدوره الى صرف الانتباه عن "
" الحقيقة . "

---

(1) Sax, K. The underdeveloped lands: A dilemma of international economy, San Francisco Press, 1960, p. 128.

(2) Guzevaty, Yaropolk "The developing countries: demographic policy and ideology" IN, Population problems, G. Abramov (Ed.), USSR Academy of Science, 1971, p. 105.

كذلك فان لوريمر بعد أن يعرض لأسس نظرية مالتوس فى مقـــال له نشر فى عام ١٩٦٣ يتناولها بالنقد قائلا (١) :

" انه (أى مالتوس) لم يدرك ما يمكن ان يحمله العلـــم "
" والتكنولوجيا من امكانيات ، واستمر اتباعه فى التقليل مـــن "
" اهمية ذلك . كما انهم قد قللوا ايضا من اهمية ما يحدث "
" فى البنيان الاجتماعى ، والحضارة ، والمؤسسات الاقتصادية "

أما العالم البريطانى برنال فانه يصل بالامر الى اقصاه فى ادانـــة المالتوسية وانصارها حيث يقول وهو يتحدث عن المشكلة السكانية (٢) :

" لقد اصبح واضحا الان ، وتحت تأثير الافكار الاشتراكيـــة .. "
" أن اى حديث عن خطر تزايد السكان لا يعدو أن يكون لغوا "
" رجعيا ... انه يفصح فحسب عن الاخفاق الاساســـى "
" للرأسمالية فى القيام بوظيفة المجتمع الاولية وهى الحفـــاظ "
" على البشر احياء... ومادامت قد عجزت عن تحمل مسئولية "
" الحفاظ على حياتهم ، فلتتركهم اذن يموتون ... وذلك . "
" بالحيلولة دون ميلاد الاطفال ! . ان مثل هذه الافكـــار "
" التى تنتشر تحت ستار العلم ، انمـــا تقدم الذرائـــع "
" لاحتقار تلك الاجناس غير المتحضرة التى تتوالد كالارانـــب "
" مبررة بذلك فكرة التحكم فيهم كحشرات كـــريهة .. "

ثانيا الاتجـــاه الراديكالــــى :

ويقوم هذا الاتجاه على التسليم بأن الخصائص البيولوجية المميـــزة للسكان — بما تتضمنه من معدلات للمواليد وللخصوبة وما الى ذلـــك —

---

(1) Lorimer, F. "Issues of population policy", IN, P.M.Hauser (Ed.) The population dilemma, Prentice-Hall, 1963, pp. 143-178.
(2) Bernal, J.D. Op. Cit. p. 680.

انما تتغير تغيرا جوهريا مع تغير الظروف الاقتصادية الاجتماعية • وأن لكل نظام اقتصادى اجتماعى قانون السكانى الخاص والمتغير تاريخيا وفقا لطبيعة المرحلة التى يمر بها المجتمع • ورغم ان أصحاب هذا الاتجاه يسلمون بأن نمو السكان انما يتوقف على عوامل شتى منها مستوى القوى ، الانتاجية وعلاقات الانتاج ، والقانون ، والاخلاق ، والدين ، والنظام السياسى • وكذلك البيئة الجغرافية ، الا أن الدور الرئيسى فى نمو السكان انما تقوم به علاقات الانتاج وطبيعة النظام الاقتصادى الاجتماعى •

ولقد يتطرف بعض اصحاب هذا الاتجاه فى راد يكاليتهم حيث(١) :

" ••• يرفضون بصامة الاعتراف بأن النمو المتزايد للسكان "
" يخلق من المشكلات المتميزة ، والعقبات الاضافية "
" مايعرقل محاولات التخلص من التخلف الاقتصادى وينظر "
" اتباع وجهة النظر هذه الى تزايد الموارد البشرية "
" باعتباره عاملا ايجابيا مواتيا للتطور الاجتماعى الاقتصادى "
" طالما ان البشر يمثلون القوة الانتاجية الرئيسية فى "
" المجتمع ••• (وبناء على ذلك) ••• فانهم يرفضون "
" جدوى ضبط النسل باعتبار ان معدل المواليد سوف "
" ينخفض تلقائيا دون اتخاذ اجراءات تستهدف ذلك ، نتيجة "
" للتصنيع وتحرير المرأة ورفع المستوى الحضارى للسكان "

ويعتمد هذا الفكر فى حقيقة الامر على نقيض المقولة المالتوسية حيث يرى برنال مثلا (٢) :

" ان تزايد سكان العالم لا يمثل مأساة فى حد ذاته ، اذ "
" انه يتراوح بين ١ و ١ $\frac{1}{2}$ فى المائة سنويا ، فضلا عن أنه "
" قابل للتناقص مع ارتفاع مستوى المعيشة • ان اهم "

(1) Guzevaty, Y. Op. Cit. pp. 108-109.
(2) Bernal, J.D. Op. Cit. pp. 682-683.

" مانحتاج اليه اذن لتزايد استهلاك الغذاء لايعدو أن "
" يكون زيادة انتاجه فى حدود ٢% سنويا ، وهو أمر ممكن "
" تماما حتى فى حدود أساليب الانتاج الراهنة ".

ويستند برنال فى حديثه السابق الى ماورد فى تقارير منظمة فاو FAO من أنه لم يزرع من مساحة سطح الارض البالغة ٣٣ بليون فدان سوى " ثلاثة بلايين فقط اى ما يعادل ١٠% فحسب من مساحتها . كما يشير برنال ايضا تدليلا على وجهة نظره الى ما يقول به العالم الجغرافى ل . د . ستامب Stamp من أنه فى حدود أساليب الانتاج المتاحة يمكن اعاشة عشرة بلايين انسان أى ما يزيد عن أربعة اضعاف العدد الحالى من سكان العالم فى مستوى مناسب من حيث التغذية . وينتهى برنال من ذلك الى تقرير " ان المصاعب الحقيقية التى تواجهنا ليست بحال مصاعبا علمية أو تقنية ، بل انها تتمثل اساسا فى كيفية تحقيق الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى تسمح بجعل العلم قابلا للتطبيق ."

تلك هى الصورة المتطرفة للاتجاه الراديكالى ، وهى ليست بالصورة السائدة فى صفوف اتباع هذا الاتجاه . ويتمثل الاتجاه الراديكالى الاكثر اعتدالا والاكثر شيوعا ايضا فى القول (1) بأنه :

" رغم أن الظواهر الديموجرافية ـ بما فيها معدل الانجاب "
" تعتمد دون شك على نظام المجتمع الاقتصادى ، فان هذا "
" الاعتماد ليس بالاعتماد المنعزل ، بل انه يتأثر بعوامل "
" اجتماعية نفسية واجتماعية حضارية ، وما الى ذلك من العوامل "
" التى تنتمى الى البنية الفوقية ـ بما فيها من تقاليد "
" وعادات وقوانين ومعتقدات دينية الى آخره ـ والتى "
" تتغير بمعدل أبطأ كثيرا من معدل تغير الاساس "
" الاقتصادى " .

---

(1) Guzevaty, Y. Op. Cit. p. 109.

وبناء على ذلك فان اصحاب وجهة النظر هذه يرون : (١)

" ... ان الرغبة فى تنظيم الانجاب لها مايبررها تماما اذا "
" ما صاحبتها معالجة لمشاكل التطور الاقتصادى.... أن "
" اجراءات تنظيم النسل يمكن أن تحقق نتائجا ايجابية "
" وان تسهم فى تخفيف المصاعب الاقتصادية اذا ما قامت "
" على اساس من تحولات اجتماعية اقتصادية وحضارية ذات طابع "
" راديكالى . وبدون مثل هذه التحولات يصبح لا قيمة "
" لاجراءات تنظيم النسل . ان مجرد الدعاية " لتنظيم "
" الاسرة لايمكن ان يؤدى الى أية نتائج فى ظل تقاليد "
" جامدة وفى مجتمع يرفض الافكار الجديدة . ويحجم عن التقدم "
" نحو احداث تغييرات حقيقية فى حياته... ".

هذان ـ فيما نرى ـ هما الاتجاهان الفكريان الرئيسيان فى هذا المجال . ونستطيع ان نضيف الى ماسبق ان هذين الاتجاهين لم يتمايزا فكريا فحسب بل انهما فى عالم اليوم يتمايزا جغرافيا وحضاريا ايضا . ولقد اتضح ذلك الانقسام اكثر ما اتضح خلال ما عقدته الامم المتحدة من مؤتمرات للسكان .

يرجع الاهتمام الدولى المنظم بموضوع السكان الى عام ١٩٢٧ حيث دعت عصبة الامم للمؤتمر العالمى الاول للسكان ، ثم نظمت الامم المتحدة المؤتمر العالمى الثانى فى روما عام ١٩٥٤ ، والمؤتمر الثالث فى بلجراد عام ١٩٦٥ ، ثم انعقد المؤتمر الرابع فى بوخارست عام ١٩٧٤ وهو العام الذى خصصته الامم المتحدة ليكون العام العالمى للسكان . ولسوف نركز حديثنا على هذا المؤتمر الاخير الذى انعقد فى بوخارست (٢) :

---

(1) Guzevaty, Y. Op. Cit. pp. 109-110.

(٢) عزت حجازى ، " المؤتمر العالمى للسكان : بوخارست من ١٩ ـ ٣٠ اغسطس ١٩٧٤ " المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٧٤ ، غير منشور .

لقد تصارع فى المؤتمر تياران : يميل اولهما الى النظر الى المتغيرات السكانية فى حد ذاتها والتعامل معها مباشرة ، ويعتبر الوضع السكانى فى العالم بعامة خطيرا ، يدعو الى حملة واسعة لخفض معدلات المواليد فى الدول النامية. ويتميز التيار الاخر بأنه لاينظر بانزعاج الى الوضع السكانى ، ويميل الى اعتبار المشكلات السكانية نتاجا للتخلف وبالتالى لايمكن التصدى لها الا من خلال الاوضاع الاقتصادية الاجتماعية.

وبجانب هذا الانقسام فى تصور المشكلات السكانية ، فقد برز خلاف اخر . لقد تركز اهتمام غالبية الدول النامية على مشكلة تزايد سكانها بمعدلات عالية ، واختلال التركيب السكانى فيها. بينما ابدت الدول المتقدمة _ وخاصة الدول الغربية _ قلقها من جراء هبوط معدلات نمو سكانها وما يترتب على ذلك من نتائج .

وانعكست هذه الانقسامات فى مجال استراتيجية العمل حيث ظهرت فكرتان اساسيتان تمثلان موقفين فكريين مختلفين : فقد نادى البعض بأن التعاون الدولى وزيادة المساعدات التى تقدمها الدول المتقدمة للدول النامية هى من الامور الحاسمة فى حل المشكلة السكانية ومن ناحية اخرى رأى البعض انه لما كانت المشكلة السكانية انما ترجع اساسا الى التخلف ، الذى يرد بدوره الى الوضع غير الملائم للدول النامية فى نظام العلاقات الاقتصادية الدولية ، واستغلال الدول الرأسمالية الغنية لها ، فان الحل انما يتحقق اذا ما استطاعت الدول الفقيرة او النامية ان تضغط لتغيير وضعها فى نظام العلاقات الاقتصادية الدولية.

ولعل الامر يزداد وضوحا اذا ما القينا بنظرة الى مؤتمر شهدته اديس أبابا فى نهاية هذا العام العالمى للسكان [1]. لقد انعقد مؤتمر

---

(١) عاطف مدكور ، (عرض) " مؤتمر خبراء السكان الافريقيين : اديس ابابا نوفمبر ١٩٧٤ " دراسات سكانية (نشرة شهرية يصدرها مكتب البحوث بجهاز تنظيم الاسرة) العدد ١٦ ، يناير ١٩٧٥ ، ١٤_٣٣

خبراء السكان الافريقيين فى أديس ابابا فى الفترة من ١١ — ١٥ نوفمبر ١٩٧٤م. وقد نظمت هذا المؤتمر اللجنة الاقتصادية لافريقيا بالاشتراك مع قسم السكان بالامم المتحدة وصندوق الانشطة السكانية بالامم المتحدة وقد حضر المؤتمر ممثلون لحكومات ١٣ دولة افريقية ، فضلا عن ممثلى بعض المنظمات الافريقية الحكومية وغير الحكومية. ويعد هذا المؤتمر امتدادا على مستوى القارة الافريقية لمؤتمر السكان العالمى الذى شهدته بوخارست فى نفس العام.

لقد ظهر فى المؤتمر اجماع على اعتبار تنظيم الاسرة جزءا لايتجزأ من السياسة الاجتماعية والاقتصادية للتنمية الشاملة. كذلك فقد رأى المؤتمر ان السكان فى كثير من الدول الافريقية يقلون عن المعدل المطلوب لتحقيق افضل استثمار ممكن للموارد المتاحة ،ولذلك فان قادة هذه الدول الافريقية يحبذون وجود اعداد اكبر من السكان على اساس أن هذا يفتح المجال واسعا أمام خلق أسواق محلية لتصريف المنتجات القومية وكذلك استثمار الموارد المتاحة .

وقد رأى المؤتمر ان النظام الاقتصادى والسياسى العالمى يتسم بعدم الانصاف ،وهو الى حد كبير سبب التخلف الذى تعانى منه القارة. كما رأى المؤتمر ان المشكلات السكانية تعد نتيجة اساسية للتخلف على الرغم من أن وجود هذه المشكلات يمثل مشكلة فرعية فى نطاق التركيب الكلى لمشكلات التنمية.

كما رأى المؤتمر انه لا ينبغى على الوكالات الدولية العاملة فى مجال السكان فى القارة الافريقية ان تقوم باعطاء انطباع مؤداه أن تنظيم الاسرة هو العلاج الناجع لجميع المشكلات التى تواجه عمليات التنمية فى القارة الافريقية.

ولا يقتصر تأثير التيارين الفكريين اللذين أشرنا اليهما على المستوى الدولى فحسب بل انه يمتد ايضا الى المستويات الاجتماعية المتباينة داخل الدولة الواحدة .

يقول جيمس ت فاوست [1] :

" ان ثمة قضايا سياسية حساسة ترتبط بالسياسات السكانية "
" سواء في الدول النامية او المتقدمة . فعلى المستوى "
" الدولى ثمة هجوم يتركز على أن الضبط السكاني ماهو "
" الا صورة للاستعمار الجديد او لامبريالية البيض التى "
" تنتشر فى دول اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . . وعلى "
" المستوى القومي ايضا ـ بمافى ذلك داخل الولايات "
" المتحدة الامريكية ـ تنادى الاقليات العرقية والسلالية "
" والجماعات الدينية بأن السياسات السكانية التى تخططها "
" الاغلبية انما تستهدف افناءهم . . . "

ويعود فاوست ليؤكد [2] :

" ان السياسات السكانية كثيرا ماتهاجم ايضا داخل الدولة "
" استنادا الى عدد من الاعتراضات كالاعتقاد بأن القوة "
" السياسية والعسكرية انما يرتبط بحجم السكان "

ولم تمض سوى سنوات قليلة على نشر هذه الكلمات ، الا وقد شهد موتمر بوخارست [3] ما أثاره بعض ممثلى " السكان الاصليين " فى عدد من الدول وبخاصة كندا وبعض دول امريكا اللاتينية والدول العنصرية فيما يتعلق بتدهور اوضاعهم وحرمانهم من أبسط حقوق الانسان بل واضطهادهم بهدف القضاء عليهم فى النهاية .

ولم تمض سنتين على موتمر بوخارست الا ونشرت صحيفة عال همشمار الاسرائيلية فى ١٩٧٦/٩/٧ وثيقة بعنوان " مشروع كينيغ " [4] بشأن

(1) Fawcett, James T. "Psychology and population", The population Council, 1970 p. 24125.
(2) Op. Cit.

(٣) عزت حجازى ، مرجع سابق .

(٤) نشرة موسسة الدراسات الفلسطينية ، السنة السادسة ، العدد ٩ ١٩٧٦/١١/١ ص . ص ٣٣٢ ـ ٣٤٧ .

الموقف من العرب فى اسرائيل • وهذا المشروع هو مذكرة قد مها يسرائيل كينيغ حاكم لواء الشمال حيث تعيش اكثرية العرب فى اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ • ويضع كينيغ فى مقدمة " المسائل المعقدة " التى تتناولها ذكرته موضوع " المشكلة الديموجرافية " مظاهر الشوفينية العربية " حيث يقرر مايلى :

" يبلغ التكاثر الطبيعى لدى السكان العرب فى اسرائيل "
" نحو ٩ر٥٪ سنويا ، مقابل تكاثر طبيعى للسكان اليهود "
" بمعدل ٥ر١ ٪ فى السنة • ويصبح هذا التكاثر مشكلة "
" حادة على نحو خاص فى لواء الشمال ، الذى يضم عددا "
" كبيرا من السكان العرب •• وحسب نسبة الزيادة هذه "
" ستصل السكان العرب فى هذا اللواء الى مايزيد عن ٥١٪ "
" سنة ١٩٧٨ • ويشعر الشوفينيون — وهذا تقديرى ايضا "
" بالنسبة للسكان العرب — أن تكاثرهم فى الجليل خطر "
" علينا يتهدد سيطرتنا بالذات على المنطقة ••• ان ازديا د "
" السكان العرب من ١٥٠ الف نسمة عام ١٩٤٨ الى مايزيد "
" عن ٤٣٠ الف نسمة ١٩٧٥ يعطى الشوفينيين العرب احساسا "
" بالقوة والامل بأن الوقت يعمل لصالحهم " •

وينتهى كينيغ الى أنه يجب درس امكان تخفيف عدد السكان فى التجمعيات السكانية العربية القائمة •

٠٢٠٣ علم النفس والسلوك الانجابـــــى

يرى كيرت باك [1] أن العلاقة بين علم الاجتماع والديموجرافيا انما ترجع الى دوركايم (١٨٩٧) حيث كانت دراسته الامبيريقية الرئيسية دراسة ديموجرافية للانتحار. ورغم ذلك فقد تأخرت مساهمة علم النفس فى تناول ظواهر السكان بعامة حتى اواخر الستينات فى هذا القرن [2].

ويقرر سليز [3] ان تناول الظواهر المتعلقة بالسكان عامة ، قد مر بمراحل ثلاث . فلقد ظلت النظرة الى ظواهر الميلاد والموت وتزايد السكان باعتبارها معطيات بيولوجية خالصة ، هى النظرة السائدة الى عشرينيات هذا القرن . الى أن بدأ استخدام علماء الديموجرافيا بشكل مكثف للمتغيرات الاجتماعية البنيانية لتفسير تنوعات الخصوبة ، واتجاهات الهجرة . وكان يطلق على هذا المجال احيانا مصطلح الديموجرافيا الاجتماعية Social demography باعتباره مجالا موازيا ومتميزا عن الديموجرافيا التقليدية Formal demography وظل الامر كذلك حتى مشارف الستينيات ، حيث لم يكن هناك سوى قلة من علماء النفس يهتمون بدرجة أو باخرى بالقضايا السكانية .

وفى اكتوبر عام ١٩٦٩ شكلت الرابطة النفسية الامريكية APA جماعة عمل متخصصة لدراسة " علم النفس وتنظيم الاسرة السياسة السكانية [4]

---

(1) Back, Kurt W. "Neglected psychological issues in population research", American Psychologist, Vol. 28, No. 7, July 1973, pp. 567-572.

(2) Fawcett, James T. Psychology and Population, The Population Council, 1970, p. 1.

(3) Sills, David L. "Forward", J.T. Fawcett (Ed.), Psychological perspectives on population, Basic Books, 1973.

(4) APA Task force on psychology, Family planning, and population policy, "Population and Family planning: growing involvement of psychologists", American Psychologist, Vol. 27, No. 1, Jan. 1972, pp. 27-30.

ونستطيع ان نعتبر ذلك بمثابة البداية الرسمية من جانب علماء النفس لاقامة علاقة منظمة بظواهر السكان ودراستها علميا • وعلى اى حال منذ مشارف الستينات والدعوة تتزايد الى ضرورة مشاركة علماء النفس فى دراسة الظواهر السكانية ، باعتبار ان المتغيرات السيكلوجية كثيرا ما تتدخل فى تحليل ظاهرة الخصوبة بحيث يصعب بدون وضع هذه المتغيرات فى الاعتبار تفسير اصباع الافراد لمعدل الخصوبة الشائع فى مجتمع معيد أو انحرافهم عنه •

ويعلق فريدمان على قلة اسهام علماء النفس فى هذا المجال قائلا(١)
" ••• اذا ما وضعنا فى الاعتبار تلك المكانة الهامة التى "
" تحتلها فى النظرية السيكلوجية الحديثة ، مفاهيم مثل "
" علاقة الطفل بوالديه ، والدوافع الجنسية وما الى ذلك "
" أصبح غريبا الا يتجذب العزيد من علماء النفس الى "
" البحث فى الجوانب النفسية للاختلافات فى معدل "
" الخصوبة "•

ويتفق ذلك مع مايشير اليه فاوست قائلا (٢) :

" يرجع النمو السكانى الى ارتفاع الخصوبة ، وانخفاض "
" الوفيات ولكن ماهى اسباب ارتفاع الخصوبة ؟ لقد قام "
" علماء الاجتماع والديموجرافيا بتحليل تتيعى تاريخى "
" للفروق فى الخصوبة بين المجتمعات وبعضها ،وداخل "
" المجتمع الواحد • وقدموا خلال ذلك العديد من "
" التفسيرات التى تقوم على متغيرات التدريج الاجتماعى "
" كالتعليم والدين ، والاقامة فى الريف او فى الحضر ، "
" واشتغال الاناث ، الا أن علماء النفس لم يقدموا تحليلا "
" مناظرا على مستوى الفرد •• ان عدم تعرض البحوث "

---

(1) Freedman, R. The sociologu of human fertility: A trend report and bibliography, Oxford: Basil Blackwell, 1963, p. 82.

(2) Fawcett, J.T. Psychology and population, Op.Cit., pp. 2-4.

" للاجابة على السؤال : لماذا يريد الناس اطفـــالا ؟ "
" يعد من أبرز المؤشرات على عدم مشاركة علماء النفـس "
" فى مجال البحوث السكانية "•

أما نيومان [١] فانه يسوق دليلا اخر يعتمد فيه على توزيع الاعتمادات المالية فى الولايات المتحدة الامريكية بالنسبة لمجال البحوث السكانيــة ، مقررا ان الاعتمادات المالية المخصصة لدعم البحوث السكانية غير الحكومية فى الولايات المتحدة الامريكية خلال السنة المالية ١٩٧٠ قد بلغـــت ٣٢ مليون دولار ، بلغ منها نصيب البحوث البيولوجية والطبية ٨١٪ فـى مقابل ١٩٪ للبحوث السلكية ـ الاجتماعية•

يتفق هولاء جميعا ، فضلا عن غيرهم ، على وهن العلاقة بيـن علم النفس والظواهر السكانية • ولكنهم يختلفون الى حد كبير فى تفسيـر اسباب هذه الجفوة • فضلا عن أن الكثيرين من علماء النفس لا يتعرضـو ن اصلا لمحاولة التفسير هــذه •

يقف نيومان [٢] ـ مثلا ـ فى محاولته تفسير تباعد علماء النفـس عن مجال الظواهر السكانية عند حد القول بعدم اقبالهم على المشاركـــة فى هذا المجال • معتبرا ان ذلك فى حد ذاته هو السبب فى ضعـف الاعتمادات المالية المخصصة للبحوث السيكلوجية ،وبالتالى فى تقليـــل حجم المشاركة السيكلوجية فى البحوث السكانية•

أما باك [٣] فانه يرجع الامر الى عوامل تتعلق بتاريخ العلـــم وطبيعة الموضوع مقــررا :

---

(1) Newman, S.H. and M.F. Kelty "Support for Psychologists in population and family planning areas", American Psychologist, 27, (1), 1972 pp. 31-36.

(2) Newman, S.H. and M.F. Kelty Op. Cit.

(3) Back, Kurt W. (1973). Op. Cit.

" ان مجال البحوث السكانية فى حاجة ماسة لجهود "
" جديدة وخلاقة من جانب علماء النفس • ولقد وقف "
" التاريخ الماضى فى طريق العديد من مثل هذه "
" الاسهامات • حيث كان ينظر تقليديا للدراسات السكانية "
" باعتبارها مرتبطة بعلم الاجتماع • بل حتى باعتبارها "
" فرع من فروعه • ولعل ذلك انما يرجع من ناحية الى طبيعة "
" التسلسل التاريخى • ومن ناحية اخرى الى سهولة النظر "
" الى البيانات السكانية كبيانات جماعية •ان الديموجرافيين "
" حتى اليوم لايتقبلون بسهولة تحليلا يقوم على التعامل "
" مع مجموعات تقل عن ••افرد • ".

ويطرح راسل ك• داروخ تصورا اخر للمشكلة فى مقال له نشر عام ١٩٧٣ (١) يربط فيه بين اهتمام علماء النفس مؤخرا ببحوث السكان وبين ما أبدته الدول النامية من تنبه عام للمشكلات البيئية التى تواجهها البشرية • ويوضح داروخ أنه قبل شيوع هذا الاهتمام بالمشكلات البيئية والايكولوجية • لم يبد علماء النفس اهتماما يذكر بقضايا السكان• بل أن غالبية البحوث القليلة ذات المضمون السيكولوجى التى اجريت فى هذا المجال حتى السبعينيات كان يجريها متخصصون فى علم الديموجرافيا او علم الاجتماع • ويمضى داروخ موضحا ان الجانب الاكبر من البحوث السيكلوجية التى اجريت بالفعل فى مجال المشكلات السكانية •قد اقتصرت على دراسة مجتمعات تخفف فيها ضغوط النمو السكانى • وتتوافر فيها وسائل ضبط النسل •أى انها قد اقتصرت على دراسة الظاهرة فى الدول المتقدمة متجاهلة للدول النامية•

ويرجح داروخ ان يستمر هذا الاتجاه فى تجاهل دراسة الجوانب السيكلوجية لمشكلات السكان فى الدول النامية •مرجعا ذلك الى أربعة أسباب :

(1) Darroch, Russell K. "Psychologists and population research: A need for discipline planning", American Psychologist, 28 (8), 1973 pp. 683-693.

١ ـ ان البحث التقليدي للترقية الاكاديمية ، والذى يتطلب تعدد البحوث المنشورة ، سوف يقلل من فرص انجاز تلك البحوث التى تتطلب الكثير من الوقت ، ومن تضافر الجهود •

٢ ـ قلة عدد علماء النفس فى الدول النامية مما يؤدى الى صعوبة توثيق الباحث الغربى لعلاقاته المتبادلة معهم •

٣ ـ عدم تشجيع الطلاب الجامعيين على اجراء دراساتهم العليا فى الدول النامية نظرا للاعتبارات المالية فضلا عن نظم التقييم السائدة فى الجامعات ايضا •

لقد تعرضنا للعلاقة التاريخية بين علم النفس وظواهر السكان ـ بما فيها ظاهرة السلوك الانجابى ـ ، وتعرضنا كذلك وبسرعة لمحاولات بذلت لتفسير عدم مواكبة الاسهام السيكلوجى لازدياد اهمية تلك الظواهر ، وبقى لكى تكتمل الصورة أن تتعرض لطبيعة الاسهامات التى يمكن لعلم النفس ان يقدمها فى هذا الصدد ، ولطبيعة الاسهامات التى قدمها بالفعل •

يحدد باك (١) ثلاثة أفرع من علم النفس ، يرى فيها الاساس الحقيقى لانجازات علم النفس فى هذا المجال " لقد استطاع علماء النفس مهتمون باساليب القياس التوصل الى صياغات لاساليب القياس النفسى تلائم تناول مشكلات مثل عدد الاطفال المرغوب ومدى تقبل وسائل منع الحمل الى اخره " ، كما تتضح اهمية علم النفس النمائى " اذا ما تساءلنا عن كيفية نشأة وتطور الاتجاهات نحو تنظيم الاسرة ، لقد ادت اهتمامات علماء النفس النمائى الى النظر فى التنشئة الاجتماعية للاطفال ، والعلاقة بين التنشئة الاجتماعية والادوار الجنسية ، وتطور المعايير المتعلقة بانجاب الاطفال ، وكيف يمكن ان يتوقف تحقيق الفرد لذاته على عدد الاطفال الذين ينجبهم ، ولقد تزايدت اهمية هذا المجال بشكل خاص

---

(1) Back, Kurt W. (1973) Op. Cit.

مع تزايد الاهتمام حاليا بالدور الانثوى ، ومسألة تمايز الجنسين خلال التنشئة الاجتماعية ... ذلك فضلا عن قضية اخرى تحتل مكانا هاما فى علم النفس النمائى وهى العلاقة بين حجم الاسرة ونمو الطفل وانماط تربية الاطفال " . أما علماء النفس الاجتماعى فيهتمون " بقضايا التأثير والاتصال ، والفعل الجامعى ... وبالتالى فاننا نستطيع دراسة وتطبيق نظريات الفعل الجماعى ، وتحول المعلومات الى أفعال فى السياق الاسرى ، وتطبيق تلك النظريات فى مجال تنظيم الاسرة . كذلك فان القضايا المتعلقة بالاتصال ، او التغذية المرتدة Feed Back ، او اساليب الوصول الى اتفاق ، يمكن دراستها جميعا فى علاقتها بتقديم وسائل منع الحمل ومدى استمرارية استخدامها ".

وفيما نرى فان اسهامات علم النفس فى مجال السكان يصعب الاحاطة باطارها العام اذا ما اتبعنا اسلوب باك فى تقسيم علم النفس الى أفرع ثم حاولنا معالجة اسهامات كل من تلك الافرع على حدة .

اننا نستطيع ان نتصور لعلم النفس مدخلين يدخل من أى منهما ـ او منهما جميعا ـ الى موضوع تنظيم الاسرة ، الوصف ، التفسير ، علينا ان نتساءل اذن : ماالذى قدمه علم النفس فى مجال وصف ظاهرة السلوك الانجابى ؟ ثم ما الذى قدمه فى مجال تفسير ما وصفه منها ؟ .

أولا <u>ما الذى قدمه علم النفس فى مجال وصف ظاهرة السلوك الانجابى :</u>

نستطيع ان نوجز اسهام علم النفس فى هذا الصدد فى استغراقه فى استخلاص الارتباطات بين الاتجاه الانجابى وبين ما لانهاية له من المتغيرات . ولعل مقال جيتا ماشير [1] يصلح لتوضيح ذلك .

---

(1) Meier, Gitta "Research and action programs in human fertility control: A review of the literature", J. Soc. Work, 11 (3), 1966, pp. 40-54.

لقد لخصت جيتا ماثير في مقالها المشار اليه أهم موضوعات البحوث التي اجريت في هذا المجال على الوجه التالي :

١) العلاقة بين تفاقم المشكلة السكانية وبين :

أ — اضطرابات العلاقة الزوجية .
ب — تدهور الاسرة اقتصاديا .
ج — اضطراب سلوك الاطفال .

٢) التكلفة الاقتصادية الفعلية للفشل في ضبط النسل .
٣) المخاطر الصحية لتكرار الحمل .
٤) الارتباط بين زيادة حجم الاسرة وبين التخلف الدراسي ، والفصل من المدرسة ، وعدم الصلاحية للخدمة العسكرية الى اخره .

ولعل أهم ما يعنينا في هذا المجال الوصفي هو أن نشير الى أن البحوث الوصفية المقارنة قد كشفت عن الكثير من أوجه الشبه في السلوك المتصل بتنظيم الاسرة بين الدول المتقدمة والدول النامية من حيث ارتباط ذلك السلوك بالمستوى الاقتصادي الاجتماعي .

يشير بيجل [1] في بحث له نشر ١٩٦٦ الى انه رغم التقارب الملحوظ بين الريف والحضر في الولايات المتحدة فلا تزال هناك فروق كبيرة نسبيا بين المجتمعين في مجال السلوك الانجابي . فمستويات الخصوبة في الريف مازالت أعلى من نظيرتها في الحضر بالنسبة لفئات السن جميعا . ويربط بيجل بين هذه الفروق وبين المتغيرات التالية :

١ — مستوى التعليم .
٢ — دخل الاسرة .

---

(1) Beegle, J. Allan "Social structure and changing fertility of the farm population", Rural Sociology, 31 (4), 1966, pp. 415-427.

٣ ـ اشتغال المـــرأة
٤ ـ الدخل الشخصى للانثـى •
٥ ـ نسبة العاملين بالزراعـة •
٦ ـ نسبة الاناث المتزوجات فى سن الولادة اى من ١٥ ـ ٤٠ سنه
٧ ـ مدى الابتعاد المكانى عن أقرب مركز حضرى •

تلك مجرد نماذج تمثل الاسهام فى مجال الوصف ، وهو اسهـــام يقف عند حدود الرصد الذى قد تتفاوت بصدده البحوث من حيث دقتهـا واحكامها وعدد ما تدخله فى اعتبارها من متغيرات دون ان تتجـــــاوز حدود الرصد والوصف الى مشارف التفسير •

ثانيا ما الذى قدمه علم النفس فى مجال تفسير ظاهرة السلوك الايجابى :

ان الاسهام السيكلوجى فى هذا المجال ضئيل غاية الضآلة • ولعل ذلك انما يرجع الى فلسفة معينة سادت علم النفس ، ومازالت حتى الان ، تحاول ان تقف به ما استطاعت عند حد الوصف الموضوعى فحسب باعتباره غاية العلم " العلمى " [1] ولا يعنى ذلك بحال انه لم تبذل محاولـــة على الاطلاق فى مجال التفسير • ولعلنا نستطيع ان نشير فى هـــذا الصدد الى محاولتيــن :

أ ـ لقد حاولت هيلين دويتش [2] وفى اطار من نظرية التحليل النفسى أن تطرح تفسيرا لحرص المرأة على الانجاب مؤداه أن الرغبـــة فى انجاب طفل تظل قائمة شعوريا أو لا شعوريا خلال سنـــى الخصوبة " و " أن كل دورة شهرية تذكر المرأة بفشلها فى الحمل

---

(١) قدرى حفنى : " علم النفس بين الطبقية والموضوعية " الفكر المعاصر (القاهرة) ٦٨ ، اكتوبر ١٩٧٠ ، ص ص ١٣ ـ ٢٢
(2) Deutsch, H. Psychology of Women, Vol. I, Stratton, 1944, p. 173.

وان الاكتئاب الذى يصاحب هذه الدورة انما يشير الى شعور بخيبة الامل ٠

ب ـ حاول هيل[1] وزملائه فى كتاب لهم نشر عام ١٩٥٩ ومن خلال تحليله لتجربة بورتريكو فى مجال تنظيم الاسرة ، حاول ان يطرح تفسيرا لما اسفرت عنه بحوث عديدة من تفاوت واضح بين الحجم المفضل للاسرة وحجمها الفعلى ٠ وقد ارجع هيل هذا التفاوت الى ما أسماه بتناقص الدافعية او تناقضها حيال تنظيم الاسرة ٠

والذى يؤخذ على كل التفسيرين ،وعلى كثير من التفسيرات المماثلة ،الاقتصار على المستوى السيكلوجى الخالص ٠ وهو امر قد عانت وتعانى منه الكثير واسهامات علم النفس فى هذا المجال ولقد اورد هاوزر ودنكان[2] مناقشة مستفيضه لمحاولات علماء النفس اختزال الظاهرة السكانية الى مجرد عوامل نفسية ٠ فى حين انها ليست بالظاهرة السيكلوجية الخالصة ٠

تشير كافة الدراسات التى اجريت فى مجال السلوك الانجابى ، والظواهر السكانية بعامة ،الى ان ثمة تمايزا ملحوظا فى هذا الصدد بين الدول النامية والدول المتقدمة وان هذا التمايز يمتد الى داخل هذه الدول جميعا حيث يختلف سكان الريف عن سكان الحضر ، بل وحيث يختلف سكان المدن المتحضرون عن سكانها الاقل تحضرا ٠ ولقد طرحت هذه النتيجة ببروزها وتكرارها ووضوحها قضية العلاقة بين التحديث والسلوك الانجابى ٠

---

(1) Hill, R. et.al. The family and population control: A peurto Rican experiment in social change, College and University Press, 1959, p. 146.

(2) Hauser, P.M. & O.D. Duncan The study of population: An inventory and appraisal, Univ. of Chicago Press, 1959, pp. 96-102.

ولقد تعرض فاوست وبورنشتاين [1] لهذا الموضوع فى مقال لهم نشر عام ١٩٧٣ بعنوان " التحديث ، والفرد العصرى ، والخصوبة ". يقول المقال التحديث هو المصطلح المستخدم عادة لوصف حركة الانساق الاقتصادية الاجتماعية نحو المستويات الارقى من التطور ، كما يتضح من المقارنات عبر القومية ومن التغيرات التى تطرأ على المؤشرات الاقتصادية الاجتماعية عبر الزمن ".

ويمضى المقال مشيرا الى أن الدراسات المتعلقة بالتحديث غالبا ما تنصرف الى تناول المتغيرات المجتمعية كالامية ، والدخل ، وتوزيع الصحف ... الى اخره . ولكن ثمة أهتمام اخذ يتبلور مؤخرا مركزا على قياس مدى عصرية الفرد Modernism فى مقابل قياس عملية التحديث Modernization التى سبقت الاشارة اليها .

والغرض الاساسى الذى تقوم عليه الدراسات فى هذا الاتجاه ، هو " ان الافراد الذين يصنفون اجتماعيا باعتبارهم اكثر عصرية ، كعمال الصناعة الحضريين مثلا ، سوف يشبهون بعضهم البعض فى كثير من الخصائص النفسية التى يمكن قياسها . وفضلا عن ذلك فان الجماعة العصرية (عمال المصانع) سوف يختلفون عن الجماعة التقليدية (الفلاحون) بالنسبة لنفس هذه الخصائص ".

ويمضى المقال موضحا ان العلاقة بين العصرية ـ سواء على المستوى المجتمعى او الفردى ـ وبين الخصوبة انما تتمثل فى أن بناء المجتمعات المتحضرة ينجبون أطفالا أقل ، ومن ثم " فلعل اختيار الخصائص النفسية التى تميز الفرد العصرى عن الفرد التقليدى يمكن أن يلقى بعض الضوء على تلك العمليات الشخصية المعقدة التى تربط بين التغير الاجتماعى وتغير معدلات الخصوبة ".

---

(1) Fawcett, J.T. & M.H. Bornstein "Modernization, individual modernity and fertility", J.T. Fawcett (Ed.), <u>Psychological perspectives on population</u>, Basic Books, 1973, p. 106-131.

ولقد سبق لفاوست [1] أن طرح تساؤلات هذه في كتابه المنشور عام ١٩٧٠ والذى سبقت اشارتنا اليه حيث يقول :

" ... هل من الضرورى للمجتمع ، ان يصبح مجتمعا حديثا ،
" من المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية ، قبل ان يحقق هدف
" تخفيض الخصوبة على نطاق واسع ؟ هل تحتل ممارسة وسائل
" منع الحمل مكان الصدارة حقا بين انماط السلوك الحديثة "
" التى نراها فى التجمعات البشرية التى تمر بمراحل الانتقال "
" ام انها ينبغى ان تكون تالية لتغيرات أوسع مدى تشمل "
" مثلا تغيير وظائف الاطفال فى النظام الاجتماعى ؟ . هل "
" ينبغى ان يحدث التحضر Urbanization أولا ، "
" وان تفقد الاسر الكبيرة توافقها ، قبل ان يقبل الناس على "
" ممارسة تحديد حجم الاسرة ؟ ام انه ينبغى ان تتوافر "
" أولا معرفة وممارسة وسائل منع الحمل ." .

ترى ما هو المقصود بالتحديث فى هذا المجال ؟ يحدد ليرنو [2] خمسة مكونات رئيسية للتحديث هى :

١) النمو الاقتصادى الذاتى Self-sustaining

٢) المشاركة لعامة فى السياسة .

٣) انتشار المعايير الدنيوية ـ العقلانية فى الثقافة .

٤) الحراك فى المجتمع Social mobilization

٥) ما يقابل ذلك من تعديل فى الشخصية المنوالية بحيث يتمكن الافراد من العمل بفاعلية فى نظام اجتماعى تتوافر فيه الخصائص السابقة .

---

(1) Fawcett, J.T. (1970) Op. Cit. p. 27
(2) Lerner, D. "Modernization: Social aspects" D. Sills, (Ed.), International Encyclopedia of Social Sciences, Macmillan and Free Press, 1968, Vol. 10, 386-395.

كذلك فقد استخلص انكلز (١) من نتائج عدد من الدراسات التـــى اجراها تسعة موضوعات تتصل بالاتجاهات والقيم اعتبر انها تحتل موقعـا مركزيا بالنسبة لتعريف الانسان المتحضـر :

١) الاستعداد لتقبل الخبرات الجديدة ، والانفتاح حيال الابتكار والتغييـر .

٢) التمكن من تكوين رأى خاص حول عدد كبير من القضايا التـــى لاتنحصر فحسب فى نطاق الهيئة الراهنة للفرد بل تتعداها الى الخارج . والوعى بتنوع الاراء التى يتبناها الاخرون ، وعدم رفض أو قبول آراء الاخرين تلقائيا استنادا الى مالديهم من سلطان او ما يتمتعون به من مكانة اجتماعية .

٣) التوجه الزمنى نحو الحاضر والمستقبل اكثر منه نحو الماضـــى والالتزام الدقيق بالساعات والجداول الزمنية المحددة .

٤) الاهتمام والايمان بالتخطيط والتنظيم كأسلوب للتعامل مــع الحياة .

٥) الفعالية Efficacy اى الاعتقاد بأن فى استطاعة الانســان أن يتعلم كيف يسيطر على بيئه ويسخرها لبلوغ اهدافه .

٦) التوقعية المحسوبة Calculability اى الثقة فى أنـــه يمكن الاعتماد على الاخرين ــ أفرادا او مؤسسات ــ للوفاء بالتزاماتهم ، انطلاقا من الايمان بأن العالم تحكمه قوانيـــن عقلانية يعرفها البشر .

٧) الوعى بكرامة Dignity الاخرين ، والاستعداد لابـداء الاحترام تجاههم ، وخاصة تجاه النساء والاطفال .

---

(1) Inkeles, A. "The modernization of man", M. Weiner (Ed.,) Modernization: The dynamics of growth. Basic Book , 1966, pp. 138-150.

٨) الايمان بالعلم والتكنولوجيا •
٩) الايمان بالعدل الذى يشمل الافراد جميعا • أى بأن الثواب ينبغى ان يتحدد وفقا لما يقدمه الفرد • وليس تبعا لما لديه من ممتلكات او ما يحتله من مكانة اجتماعية•

ويحاول فاوست [١] ان يتلمس العلاقة بين التحديث والخصوبة• فيحدد أربعة عوامل يراها بمثابة العوامل الاكثر تأثيرا فى هذه العلاقة :

١) انخفاض معدل الوفيات نتيجة للتحضر ومن ثم تزايد الرغبة فى تحديد حجم الاسرة فى المجتمعات المتحضرة•

٢) انخفاض قيمة عمل الاطفال اقتصاديا • وتزايد اعباء تنشئتهم اقتصاديا •

٣) ارتفاع مكانة المرأة وما يستتبع ذلك من تزايد فرص التعليم أمام النساء ومن اتساع مجال العمل امامهن خارج المنزل مما يستتبع زيادة الحاجة الى تقليل حجم الاسرة•

٤) ضعف قوة التقاليد وزيادة وانتشار الاتجاه العقلانى •

ولعل من أهم واشمل الدراسات الميدانية التى حاولت دراسة ابعاد ظاهرة التحديث تلك الدراسة المعروفة باسم " مشروع هارفارد لدراسة الجوانب الاجتماعية والحضارية للتقدم [٢]
Harvard Project on Social and cultural aspects of development.

ولقد اعتمدت هذه الدراسة على اجراء مقابلات مخططة متعمقة مع مايزيد عن ستة الاف شاب من الارجنتين وشيلى والهند والتجمع

(1) Fawcett, J.T. (1970) <u>Op.Cit.</u>, pp. 109-110.
(2) Inkeles, A. "Making men modern: On the causes and concequences of individual change in six developing countries", <u>Amer. J.Sociology</u>, 75, 1969, pp. 208-225.

الاسرائيلى ونيجيريا وباكستان الشرقية • وقد تم اختيار أفراد عينات البحث بحيث يمثلون جماعات على درجات متفاوته من التعرض لتأثيرات التحديث •

ولقد تناول وليامسون (١) بالتحليل تلك البيانات المتعلقة بالخصوبة فى دراسة هارنارد هذه • وشمل التحليل البيانات الخاصة بعمال المصانع فى خمسة بلدان • واهتم وليامسون بتحليل العلاقات بين الحجم الامثل للاسرة • وتحبيذ تنظيم النسل • والفعالية الذاتية للفرد وقد اعتبر وليامسون الحجم الامثل للاسرة • والفعالية الذاتية للفرد بمثابة المتغيرات المستقلة • وفى نفس الوقت بمثابة المتغيرات الوسيطة intervening المرتبطة بعديد من المؤشرات الاجتماعية كالتعليم • ومستوى المهارة • ومستوى المعلومات •والدخل وما الى ذلك ونستطيع ان نوجز اهم ماتوصل اليه وليامسون فيما يلى :

أ ـ اتضح أن المتغيرات النفسية (أى الحجم الامثل للاسرة • والفعالية الذاتية) تفوق الى حد ما المؤشرات الاجتماعية كالتعليم ومستوى المهارة • ومستوى المعلومات • والدخل وما الى ذلك • من حيث صلاحيتها للتنبوء بالاتجاهات نحو تنظيم النسل •

ب ـ ان الحجم الامثل للاسرة والفعالية الذاتية يعتبرا محددات مستقلة للاتجاه المحبذ لتنظيم النسل • باكثر من كونهما متغيرات وسيطة بين المؤشرات الاجتماعية وهذا التحبيذ •

---

(1) Williamson, J.B. "Subjective efficacy and ideal family size as predictors of favorability towards birth control". Demography, 1970, 7, pp. 329-339.